أساليب المجابهة بين العرب والبيزنطيين

الدكتـور
عدي سالم عبدالله حمد الجبوري





أساليب المجابهة بين العرب
والبيزنطيين
في العصر الأموي

أساليب المجابهة بين العرب والبيزنطيين في العصر الأموي

الدكتور

عدي سالم عبد الله حمد الجبوري



رقم التصنيف : 956.04
المؤلف ومن هو في حكمه : عدي سالم الجبوري.
عنوان الكتاب : أساليب المجابهة بين العرب والبيزنطيين في العصر الأموي.
رقم الإيداع : 2013/6/1899
الواصفات : المجابهة//العلاقات الدولية//العصر الأموي/
بيانات الناشر : عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.
(ردمك) ISBN 978-9957-32-785-9

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2014-1435هـ



دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية
هاتف: 5231081 6 962+ فاكس : 5235594 6 962+
ص.ب . (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن
www.daralhamed.net
E-mail : daralhamed@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدوّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِم لاَ تَعلَمُونَهُم اللهُ يَعْلَمُهُمْ وما تُنْفِقُوا مِنْ شَيءٍ في سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إلَيكُمْ وَ أَنتُم لاَ تُظْلَمُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الأنفال آية 60]

الإهداء

الى كل شهيد بذل روحه و دمه من أجل العروبة والإسلام

إلى كل مجاهد وقف حياته و قلمه لخدمة العروبة والإسلام

إلى والدي و والدتي .... حباً و وفاءً

الشكر والتقدير

يكل اليراع وتعيى الألسن دون أن تحيط شكراً وثناءً بمن بذل الجهد والنصح والوقت معضداً إياي في سبيل إكمال هذا الجهد المتواضع ويجيء في مقدمة هؤلاء أستاذي الفاضل_المشرف_ الأستاذ الدكتور نافع توفيق عبود التكريتي الذي كان نِعم العون لي بما أبدى من سديد نصح وإرشاد فجزاه الله تعالى عنيَ خير الجزاء.

وأثمن عالياً الجهود القيمة التي بذلها أستاذي الجليل الدكتور محمود عباد محمد الجبوري ومتابعته الدؤبة إياي بغية تحقيق أعلى النتائج طيلة مدة دراستي الجامعية ولأجل إخراج هذا الكتاب بأحسن ما يمكن من الدقة العلمية التاريخية والمنهجية البحثية فله خالص الشكر وجزيل الامتنان.

ويطيب لي أن أسجل أصدق عبارات الشكر والثناء إلى كل من علمني و أجاد عليَ بالرأي والنصح والمشورة، وكان لي شرف التلمذة على يديه وأخص بالذكر أساتذتي الأجلاء رئيس وأساتذة قسم التاريخ في كلية الآداب / جامعة بغداد وأساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ بكلية التربية / جامعة تكريت، كما واشكر كل من قدم لي العون أو أحاطني بالاهتمام ولا يسع المجال لذكر اسمه، وأقدم خالص شكري وامتناني إلى الأساتذة الذين تفضلوا بقراءة وتقويم الكتاب من النواحي اللغوية والعلمية فجزاهم الله تعالى خير الجزاء.

وأسجل جزيل الشكر و الامتنان إلى الأخوة و الأخوات العاملين في مكتبات: الدراسات العليا في كلية الآداب، مكتبة المجمع العلمي العراقي، مكتبة المتحف العراقي، المكتبة المركزية في جامعة بغداد ومكتبة المدرسة القادرية الكيلانية على ما قدموا من مساعدة وعون، وأشكر الزملاء الذين تفضلوا بطباعة صفحات هذا الكتاب، وأسأل الله العزيز الجليل أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتي وإياهم أجمعين.

المحتويات

المقدمة

من المعلوم تاريخياً أن أولى الصلات السياسية أو ما يمكن عده مظهراً من مظاهر التماس على الصعيد الرسمي – إن صح التعبير – بين الدولة العربية الإسلامية والدولة البيزنطية ترجع إلى العهد النبوي، وتحديداً إلى السنة السادسة من الهجرة، إذ بعث رسول الله ﷺ رسله ومبعوثيه إلى الأمم والملوك، ومنهم ملك الروم يبلغهم رسالة الإسلام ويدعوهم، ومن خلالهم من يحكمون إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له كما أمر بذلك عز وجل، وانطلاقاً من أن الرسالة الإسلامية رسالة سماوية إلى الإنسانية جمعاء. وقد أظهرت الأحداث التاريخية اللاحقة والقريبة من هذا التاريخ ملامح موقف عدائي بغيض لطالما أبداه الروم البيزنطيون تجاه الدين الإسلامي واتجاه الكيان السياسي العربي الجديد الذي تأسس في قلب شبه جزيرة العرب، وباتت أنباؤه تطرق مسامعهم وتقض مضاجعهم بين الحين والآخر، وقد كانت معركة مؤتة سنة 8هـ/629م إيذانا فعلياً ببدء الحرب بين الطرفين وصفحة من الصفحات الأول في سفر العلاقات العربية – البيزنطية، ذلك السفر الذي تميز على الدوام بميزة الصراع الحربي المحتدم، وهو أمر أكدته أيضا أحداث معركة تبوك سنة 9هـ/630م وما تلتها من معارك الفتح الإسلامي معهم – على ارض الشام وسائر الأراضي التي خضعت طويلاً لهيمنتهم – في العصر الراشدي والأموي.

ولا ريب في أن سنوات المجابهة الطويلة تلك مع الروم البيزنطيين قد حتمت على العرب المسلمين اعتماد كل ما تيسر لهم من أساليب ووسائل قتالية وغير قتالية في حرب ضروس سجال كهذه تكافئ أساليب ووسائل عدوهم أو تتوف عليها في كل الحسابات، حماية لدينهم وذوداً عن دولتهم؛ لذا يرى القارئ المتفحص لتاريخ الحرب بين الطرفين إذا ما أمعن النظر في النصوص وحللها بتمعن ان هذه الأساليب قد تنوعت وتعددت حسب مقتضيات ومستجدات الحرب بين الحين

والآخر، وأبدى العرب المسلمون براعة قل نظيرها في ابتداع واستخدام وتوظيف كل أسلوب ووسيلة في الوقت والمكان المناسبين الذي كانت تمليه عليهم صفحات المجابهة وأحداثها.

إزاء ذلك فان أهم الأسباب والدوافع التي حدت بي لتناول هذا الموضوع الحيوي بالدراسة والبحث الرغبة بالاطلاع والتعمق في دراسة صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الجهادي الخالد للأمة العربية الإسلامية إلا وهي صفحة الحرب مع الروم البيزنطيين، ومحاولة جادة لبيان الكيفية التي تمت بها إدارة هذه الحرب من قبل قيادة الدولة في العصر الأموي، ولبيان الخصوصية أو المزية التي تميزت بها هذه الجبهة دون سواها من جبهات الجهاد الأخرى إلى الحد الذي جعل النشاط الحربي الجهادي للأمراء المقاتلين من البيت الأموي بارزاً ومتميزاً، لاسيما وان الحرب فيها ظلت قائمة ومتواصلة طوال العصر الأموي. ولمعرفة التطورات والمتغيرات التي طرأت على العسكرية العربية الإسلامية فكراً ومادة في هذا العصر استجابة لمتطلبات المجابهة مع البيزنطيين وتحدياتهم، حتى غدت أنموذجا احتذى به من تلا الأمويين في قيادة الدولة العربية الإسلامية في صراعهم الحربي ضد الروم.

ومن قراءة أولية للمصادر التاريخية الإسلامية وللدراسات الحديثة ذات الصلة بالموضوع بدا من الواجب عليَّ طرح عدة أسئلة تمس جوهر الموضوع يأتي في مقدمتها تحديد ماهية الأساليب المتبعة خلال سنوات المجابهة الطويلة؟ وما الأسباب والدواعي الموجبة لا تباع هذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحرب دون سواه؟ و ما هي الأسبقيات والأولويات التي وضعتها الدولة العربية الإسلامية ومنذ العصر الراشدي وصولاً إلى نهاية العصر الأموي عند رسم خطة الحرب وتنفيذها؟ و ما هي أهم النتائج المترتبة على ذلك وما هي انعكاساتها الآنية والمستقبلية على مجريات الحرب بين الطرفين؟.

هذه التساؤلات مما قد يقدح في الذهن حاولت جاهدا في هذا الكتاب إيجاد إجابات شافية لها من خلال اعتماد منهجية علمية في الكتاب قائمة على تقصي المعطيات والشذرات التاريخية التي قدمتها المصادر والأصول التاريخية لاسيما المحققة منها حديثا، وجمعها من ثنايا كتب التواريخ المحلية وكتب الطبقات والحديث النبوي الشريف ومن طيات المصادر البلدانيه والأدبية؛ وحاولت جاهدا ربط كل الأحداث العسكرية والسياسية على الجبهتين البرية والبحرية من ميدان الحرب بالأحداث الداخلية للطرفين وقوة الجيش والأسطول فيهما لتفسير عجز وتراجع إحدى القوتين أمام طموح القوة الأخرى يوما ما من أيام المجابهة.

أما عن المصاعب التي واجهتني أثناء البحث فمن أهمها ان المصادر التاريخية الإسلامية قد ركزت بشكل كبير في تلك المدة على الأحداث الداخلية في الدولة العربية الإسلامية وأحداث الحرب في الجبهات الأخرى كما هو الحال في المشرق مثلا متناسية إلى حد ما الحرب مع الروم بمختلف أساليبها ووسائلها التي ستكون موضع البحث والتي جاءت على شكل شذرات متفرقة في ثنايا الموضوعات، لذا يواجه الباحث عنتا كبيرا في تقصي وجمع مادة موضوع كهذا من مصادرها الأصلية المتنوعة، كما ان قلة المصادر التاريخية البيزنطية التي من شأنها إعطاء وجهة النظر المقابلة للباحث، استكمالا لمتطلبات البحث، كانت صعبة المنال مما وضعت أمامي عقبة أخرى، وما وجد من هذه المراجع التي تسنى لي الاطلاع عليها سواء المعربة أو المكتوبة باللغات الأجنبية الأخرى لم يقدم سوى سرد تاريخي للأحداث يفتقر إلى الاستنتاج، لذا وجب علي تقصي ومتابعة اكبر عدد ممكن من هذه المراجع وترجمتها ومقارنتها إلى حد ما بما قدمته المصادر الأخرى، لأجل الوصول إلى رأى تاريخي أو نتيجة علمية مقنعة، فضلا عن ذلك فان وجود أكثر من دراسة جامعية تحدثت بشكلٍ عام عن العلاقات العربية البيزنطية الحربية والسلمية على مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ العصر الراشدي مروراً بالعصر الأموي وانتهاءً بالعصر العباسي،

وبموضوعات وعنوانات بحثية تكاد تكون متشابهة ومعتمدة المصادر نفسها تقريباً، أضاف صعوبة أخرى إلى البحث، وقد أملت عليَ دراسة الموضوع بأسلوب بحثي ومنهجية مغايرة لمن سبقني إلى حدٍ ما وأوجبت عليّ محاولة الحصول على معلومات جديدة عسى ان تقوم هفوات من سبقني من الباحثين.

تم تقسيم هذا الكتاب إلى سبعة فصول وفقاً لما أوجبته ضرورات دراسة جميع جوانب الموضوع وتلافياً لما قد يحدث من خلل في الناحية المنهجية وتوازن الفصول، وطبقاً لما قدمته المصادر التاريخية من مادة تتعلق بكل جانب من جوانب الكتاب، فقد خصصت **الفصل الأول** لدراسة جغرافية ميدان المجابهة، إذ تبين لي وأنا أدرس موضوعاً تاريخياً – عسكرياً أنه لامناص من دراسة وتحليل المظاهر التضاريسية والمناخية لميدان الحرب وكما أوضحت ذلك مصادر الجغرافية التاريخية والكتب البلدانية، بعد تحديد حدود ميدان المجابهة في المدة التي ستكون موضوع الكتاب؛ لما لذلك من اثر كبير في بيان علّية استخدام هذا الأسلوب القتالي والتعبوي أو ذاك خلال صفحات الحرب المختلفة وعلى مختلف فصول السنة.

وفي **الفصل الثاني** تم فيه دراسة أهم الدوافع التي حدت بالعرب المسلمين إلى خوض غمار الحرب ضد الروم وعلى مدى أكثر من قرن من الزمان في ثلاثة مباحث تمثل أكثر الدوافع وضوحاً في ضوء ما قدمته المصادر التاريخية – هي الجهاد في سبيل الله تعالى بوصفه الهدف الأسمى والأساسي وراء انطلاق العرب المسلمين خارج حدود شبه الجزيرة العربية قاصدين من حولهم من الأمم والشعوب المخالفة لعقيدة التوحيد ومنهم الروم البيزنطيون، أما المبحث الثاني فقد بحثت فيه تحرير الأرض العربية التي خضعت لسنوات طويلة تحت الهيمنة الرومية بوصفه دافعاً آخر من دوافع المجابهة بدا جلياً في الأيام الأولى للتماس الحربي بين الطرفين في العصر الراشدي، وأفردت المبحث الثالث لبيان مقدار التحديات الرومية الموجبة للرد عليها بوصفها دافعاً مهماً ورئيساً وحالة قائمة لازمت تاريخ الحرب معهم إلى ما بعد العصر الأموي.

وفي **الفصل الثالث** تمت دراسة الخطة التعبوية و الاستحضارات الدفاعية العربية الإسلامية في الثغور المواجهة للروم بوصفها خط الدفاع الأول عن حدود دار الإسلام الذي كانت تنطلق من خلاله العمليات الحربية السنوية باتجاه الأراضي البيزنطية، إذ قسمت هذا الفصل إلى ستة مباحث تناولت فيها مفهوم الثغر في اللغة والاصطلاح وأفردت مبحثا" آخر لبيان أهمية هذا الجزء الحيوي من جبهة القتال مع الروم عند المسلمين خلافة ورعية، وفي مبحث آخر تمت دراسة جغرافية منطقة الثغور لأجل التعرف على المزايا التعبوية والسوقية للمدن والحصون الثغرية التي وفرتها تضاريس المنطقة لها، ومن ثم عرض تفاصيل الخطة من حيث الوسائل والأساليب المتبعة في تحصين القلاع والحصون وكيفية تشييدها وتوزيعها بهيئة عقد دفاعية على طول خط التماس الحربي، وبيان أهم التجهيزات المعاشية والعدد الحربية التي دأبت الخلافة الأموية على توفيرها للجند المرابطين هناك دفاعاً عن حدود الدولة العربية الإسلامية وكيف تابعت أدق تفاصيل حياتهم اليومية.

وأفردت **الفصل الرابع** للبحث في أسلوب آخر من أساليب المجابهة الا وهو الصوائف والشواتي وهي الحملات الحربية الفصلية السنوية التي كانت توجهها الخلافة الأموية صوب الأراضي الرومية في عدة مباحث وجدت أن من الضروري التحدث عنها، لاسيما وان الدراسات السابقة تجاهلت هذه الأمور لصعوبة الحصول على تفصيلات كهذه من المصادر، فقد تم بيان دلالات مفهوم الصوائف والشواتي في اللغة والاصطلاح، ومن ثم تطرقت إلى البدايات التاريخية الأولى للاتباع هذا الأسلوب الحربي، ومنذ العصر الراشدي، ومن ثم انتقلت للحديث عن دواعي وأسباب اعتماد هذا الأسلوب الحربي وتحدثت عن تنظيمات مقاتلة الصوائف والشواتي وما تحلوا به من سجايا أهلتهم للقيام بهذا العمل الجهادي العظيم، وخصصت فقرة أخرى للحديث عن كيفية إعداد مقاتلة الصوائف والشواتي واستنفارهم وتجهيزهم بعدد الحرب وآلاتها وما يحتاجون أليه من شؤون إدارية أخرى، أفردت فقرة تالية للبحث في علاقة المجاهدين الذاهبين في هذه الحملات

فيما بينهم ومع من يقع أسيرا بأيديهم من مقاتلة الروم، وبحثت في كيفية تعبئتهم في أثناء المسير والتعسكر والقتال، وخصصت الفقرة الأخيرة للبحث في الأهداف المتوخاة من إرسال هذه الحملات صيفاً وشتاءً إلى العمق البيزنطي وما هو انعكاسها على مجريات الحرب بين الطرفين.

وتناولت بالكتاب- في **الفصل الخامس**- أسلوبا حربيا آخر هو المجابهة الحربية البحرية، مبتدئ بالحديث عن تقويم القواعد الثغرية الساحلية الإسلامية وتحصينها كخطوة أولى في هذا السياق، ومن ثم تأسيس الأسطول الحربي الإسلامي والانطلاق به لفتح الجزر القريبة من السواحل الإسلامية في البحر المتوسط، وكيف تم الانتقال إلى مرحلة تالية من مراحل المجابهة في الميدان البحري بعد ان صار عند المسلمين ما يلزمهم من الخبرة والقدرة القتالية الا وهي مهاجمة القواعد البحرية الرومية في البحر المتوسط وبحر ايجة ؛ لأجل إحكام السيطرة الإسلامية عليها وعلى الطرق والمسالك البحرية المفضية إلى العاصمة البيزنطية ليتموا بذلك فرض سيادتهم المطلقة على بحر ايجة والبحر المتوسط شرقاً وغرباً ويحولوا الأخير إلى بحر عربي إسلامي بعد ان كان اسمه بحر الروم تمهيداً لأطباق الحصار التام على القسطنطينية.

وخصصت **الفصل السادس** من هذا الكتاب لدراسة أسلوب حربي آخر اعتمده العرب المسلمون في حربهم مع الروم وهو توجيه الحملات الحربية المباشرة تجاه القسطنطينية؛ لأنها مكمن الخطر الرومي على الدولة العربية الإسلامية وبؤرته والذي ظل قائماً إلى ما بعد العصر الأموي، إذ تمت دراسة هذه الحملات من حيث الاستنفار والإعداد والتجهيز والدروب التي سلكها الجند المسلمون براً وبحراً وكيف تم لهم تأمينها، وما هي الأساليب التعبوية القتالية التي اتبعوها في مسعاهم لفرض الحصار التام على القسطنطينية ولأكثر من مرة في أثناء العصر الأموي، وما النتائج التي ترتبت على استخدامهم لهذا الأسلوب الحربي على مجريا الحرب بين الطرفين.

أما **الفصل السابع** فقد تناولت فيه بالبحث أساليب المجابهة السياسية والفكرية والاقتصادية، وقد تم بحث كل أسلوب منها في مبحث منفرد اعتماداً على ما تيسر من النصوص التاريخية، وإذا كان هذا الفصل لا يكافئ من حيث مادته بقية الفصول آنفة الذكر، فان ذلك يعود إلى ان المجابهة مع الروم البيزنطيين غلب عليها طابع القتال وتبادل المناوشات الحربية بين الطرفين، كما ان ذلك يرجع إلى ندرة النصوص التاريخية الدالة على اعتماد مثل هذه الأساليب في المصادر، ومع ذلك فان ما أوردت به من مادة هو كل ما تسنى لي الحصول عليه، آمل ان يتم ذلك بقية فصول هذا الكتاب ويحقق شيئاً من الفائدة العلمية.

وفضلا عما تقدم جاء هذا الكتاب بخاتمة أوجزت فيها أهم النتائج التي خلصت إليها من خلال البحث أرفقت بها ملحقاً احتوى أهم الخرائط التاريخية التي استعنت بها لتعزيزها وزيادة في التوضيح.

أما عن المصادر والمراجع التي استعنت بها في انجاز كتابي هذا، فلا بد من القول ان الخوض في بحث ذي طبيعة عسكرية – تاريخية تعود جذوره إلى صدر الإسلام والعصر الأموي يقتضي تنوع مصادر المعلومات من مؤلفات تاريخية مختلفة: تاريخ عام وتواريخ محلية وطبقات أو تراجم وانساب وكتب السنن والحديث النبوي الشريف وتفاسير ومؤلفات أدبية ودواوين شعر، كما يتطلب الإفادة من المؤلفات الجغرافية البلدانية، ومع إن كل صنف من هذه المصادر قد ركز على ناحية معينة، الا انه لم يهمل النواحي الأخرى، لذا فقد أفدت من مختلف هذه المصادر ولو جزئياً في كل موضوع من موضوعاته، الا أن هناك تفاوتاً في الإفادة بين مصدر وآخر وحسب طبيعة كل فصل من الفصول.

ففي **الفصل الأول** استعنت ببعض المؤلفات الجغرافية التاريخية لأنها مصادر مختصة وفي طليعتها كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت287هـ) وكتاب البلدان لأبن الفقيه (ت290هـ) المحقق حديثاً ومؤلفات الاصطخري

(ت346هـ) المسالك والممالك والأقاليم، ومن معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ) الذي افدت منه هو الآخر في تحديد الحدود الجغرافية لميدان المجابهة ووصف المدن الثغرية وبقية الأعلام الجغرافية التي تم ذكرها. أما أهم المراجع الحديثة التي اعتمدتها في كتابة هذا الفصل فهي: كتاب الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري لمؤلفه فتحي عثمان الذي قدم معلومات جيدة أعانتني في إنجاز هذا الفصل وبعض الفصول الأخرى، الا ان هذه المعلومات على أهميتها غلبت عليها الإطالة والتكرار والتداخل عبر المراحل التاريخية، أما كتاب بلدان الخلافة الشرقية للمستشرق الإنكليزي كي لسترنج الذي تميز بسعة الموضوعات التي تناولها من الفرات غرباً حتى أواسط آسيا شرقاً وقدم معلومات مهمة جداً عن منطقة الثغور وبلاد الروم لاغنى لمن يبحث في هذا النوع من الدراسات التاريخية من العودة أليه، لاعتماده على المؤلفات البلدانية والتاريخية للمؤلفين القدماء المطبوع منها والمخطوط ولاستعانته بكتب المستشرقين والرحالة الغربيين فضلا عما أرفق من خرائط تاريخية لعموم منطقة دراسته، وأفدت كثيراً من كتاب Historical Geography of Asia Minor لمؤلفه رامسي Ramsay الذي قدم معلومات تفصيلية عن الجغرافية التاريخية لبلاد الروم (آسيا الصغرى) بزّ فيها من سواه من الباحثين وتحدث عن أهم الطرق والدروب التي نفذت من خلالها الجيوش إلى بلاد الروم ومنها باتجاه بلاد الشام والجزيرة عبر التاريخ مشيراً أيضا في الوقت نفسه إلى التدابير الحربية والمنشآت الدفاعية التي أقامها الروم على هذه الطرق والدروب على المراحل التاريخية السابقة.

وفي **الفصل الثاني** المخصص لبيان دوافع المجابهة فقد أفادتني الكتب الآتية: المغازي للواقدي (ت207هـ) الذي تحدث بإسهاب عن بداية المجابهة الحربية مع الروم منذ العهد النبوي وتحديداً من وقعة مؤتة سنة 8هـ/629م ووقعة تبوك بعدها بعام واستعنت أيضا بكتاب السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام (ت218هـ) الذي تطابقت رواياته مع روايات الواقدي إلى حدٍ ما، و أكملتها روايات الازدي

(ت168هـ) في كتابه فتوح الشام الذي أفادني كثيراً فيما يتعلق بموقف القبائل العربية في الشام ومساندتها للمسلمين في حربهم مع الروم منذ العصر الراشدي، وقد أكملت روايات الواقدي في كتابه فتوح الشام ما جاء عند الازدي، الا ان السرد القصصي الأسطوري غلب على هذا الكتاب ؛ لذا كان عليّ تحري الدقة عند تناول رواياته إلى أقصى حد ممكن وافدت أيضا من كتب الحديث والسنة النبوية الشريفة التي قدمت معلومات تاريخية مهمة أظهرت مدى اندفاع المسلمين لمحاربة الروم جهاداً في سبيل الله تعالى ورداً على تحدياتهم المستمرة ومنها مسند أبي يعلى احمد بن علي بن المثنى (ت307هـ) وصحيح ابن حبان لأبن حبان ألبستي (ت354هـ) ومصنف ابن ابي شيبة (ت235هـ).

أما عن أهم المصادر التي أغنت **الفصل الثالث** من هذه الدراسة فهي: كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت279هـ) الذي يعد بحق أهم مصدر من مصادر الفتوح وقد رفد فصول الدراسة بشكل عام بمعلوماته القيمة، التي جاءت موجزة مقتضبة ربما لسعة موضوع الكتاب، الا انها قد أفادتني كثيراً لاسيما في هذا الفصل؛ ذلك لأنه قدم مادة جيدة جداً عن مدن الثغور الشامية والجزرية وعن الحصون والثغور البحرية وما جرى فيها من عمليات بناء مدن وحصون ثغرية إسلامية جديدة استجابة لمتطلبات الحرب مع الروم حتى ان قدامه بن جعفر (ت310هـ) في كتابه الخراج وصناعة الكتابة كان عيالاً عليه إلى الحد الذي لا يجد الباحث فرقاً كبيراً في روايات المؤلفين، هذه المعلومات لم تهتم بها المصادر التاريخية الأخرى كالطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل في التاريخ، وافدت من كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لمؤلفه ابن العديم، لاسيما الجزء الأول، إذ اعتمد روايات البلاذري المذكورة سابقا" فضلاً عما تيسر له من مصادر شامية أخرى تحدثت عن تاريخ الثغور، إذ أورد على سبيل المثال – رواية فريدة عن إنشاء الخلافة الأموية لمخازن السلاح في الثغور وبيّن نوعية تلك الأسلحة وكمياتها وتحدث أيضا عن كيفية النفير في مدينة طرسوس كنموذج لبقية المدن الثغرية. ومن الدراسات الحديثة

التي ساعدتني في إنجاز هذا الفصل دراسة: مهدي حسوني مهدي، إقليم العواصم والثغور دراسة في التاريخ السياسي والحضاري 14-247هـ، لاسيما في معرفة أهم المدن الثغرية التي شيدها المسلمون وما هي أهم المصادر المتعلقة بالموضوع التي من الممكن الاستعانة بها، غير أن هذه الدراسة يعوزها الكتاب في أهمية ومكانة هذا الجزء المهم من ميدان الحرب لاسيما في مدة بحثه وهو ما حاولت توضيحه اعتماداً على المعطيات التاريخية كما كان ينقصها البحث في وسائل التحصين وأساليبه التي اتبعت من قبل المسلمين آنذاك وهو ما بدا من الضروري دراسته والتعمق به، كما أن هذه الدراسة على الرغم من تناولها المدن الثغرية بالبحث، التي أنشئت بالأساس عقداً أو معسكرات دفاعية بوجه الروم، لم أجد توضيحاً للأسس العسكرية أو الأبعاد التعبوية والسوقية لأقامة هذه المشيدات الدفاعية عند هذا الباحث في دراسته.

أما **الفصل الرابع** المتضمن دراسة الصوائف والشواتي فقد استفدت من كتاب تاريخ مدينة دمشق لأبن عساكر (ت571هـ) المحقق حديثاً، إذ قدم مؤلفه على مدى أجزائه السبعين معلومات فريدة وقيمة أعانتني كثيراً في إنجاز جميع فصول هذا الكتاب، لاسيما هذا الفصل إذ انفرد بروايات تاريخية مهمة جداً موثقة من حيث المتن والسند بوصفه محدثاً، وهذه الروايات تتعلق بكافة شؤون مقاتلة الصوائف والشواتي التي يجدها القارئ في هذا الكتاب نقلت عن رواة شاميين أسهموا في هذه الحملات، وتزداد أهمية هذه الروايات أكثر إذا ما علمنا انه اعتمد على كتاب ((الصوائف)) للواقدي الذي يعد من المؤلفات المفقودة[1].

---

[1] لم يذكر هذا الكتاب من قبل ابن النديم ولا ياقوت الحموي، ينظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن ابي يعقوب إسحاق المعروف بالوراق، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، (طهران 1971م) ص111 ؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د. ت)، ج 18، ص ص 277 – 282.

وهو أمر صرح به ابن عساكر أكثر من مرة وهذا ما يزيد في توثيق وصحة الأخبار التي أوردها والتي أكدت صحتها أكثر من خلال ورود العديد منها في كتب الحديث النبوي والسنة الشريفة.

واستفدت من الروايات التي وردت في كتب التواريخ العامة منها: تاريخ خليفة بن خياط (ت240هـ) وتاريخ اليعقوبي (ت292هـ) وتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت310هـ) والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت874هـ)، الا انها كانت معلومات موجزة ومقتضبة إلى حدٍ ما إذ اكتفى أولئك المؤرخون بالإشارة إلى من قاد الصائفة أو الشاتية والجهة التي قصدها عند نهاية حديثهم عن أحداث السنة موضوع البحث ليس الا وقد اغفلوا بقية التفاصيل.

وفي **الفصل السادس** أفدت من عدد من المصادر التاريخية والأدبية التي تفاوتت أهميتها بين مصدر وآخر ومنها مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى (ت356هـ) الذي تحدث عن حملة يزيد بن معاوية صوب القسطنطينية سنة 54هـ / 673م بأمر الخليفة معاوية بشيء من الإيجاز ومثله البلاذري في كتاب انساب الأشراف حيث اكلمت رواياته ما جاء عند المسعودى بهذا الشأن، وقدم سعيد بن منصور (ت277هـ) في كتاب السنن رواية انفرد بذكرها تحدثت عن واحد من المقذوفات النارية من السفن السلامية مع سفن الروم التي تمثل المستوى الذي بلغه المسلمون في مقارعة عدوهم بالأساليب والوسائل ذاتها التي تجهز بها.

وافدت من روايات صاحب كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول إذ قدم معلومات مفصلة عن حملة مسلمة بن عبد الملك لفتح القسطنطينية لم تقدمها المصادر الأخرى، الا ان رواياته يعوزها السند التاريخي وهو أمر قد يبعث على الريبة في دقتها، لكنه مع ذلك تطابق مع روايات بعض المصادر الموثقة الأخرى إلى حدٍ ما ككتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت774هـ) الذي قدم أيضا معلومات مهمة عن حملة مسلمة تلك وأخبارا تتعلق بالصوائف والشواتي.

أما في **الفصل السابع** فان المصادر التاريخية لم تقدم الا شذرات قليلة مبثوثة في ثنايا الموضوعات عن أساليب المجابهة الأخرى السياسية والفكرية والاقتصادية، وكيف كان الخلفاء الأمويون وقادتهم يجابهون عدوهم بها إذا ما اضطروا لسبب أو لآخر إلى وقف العمليات العسكرية، ومع هذا فقد أفادتني تلك الإشارات التي أوردها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق و البلاذري في كتابي انساب الأشراف وفتوح البلدان ومنها تلك الإشارات المتعلقة بالتدابير والحيل السياسية التي اعتمدها الخلفاء معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان لمجابهة أخطار الروم وحلفائهم الجراجمة في شمال بلاد الشام ردعاً لهم حتى يتمكن من التوجه لقتالهم بعد الفراغ من الأحداث الداخلية.

وأغنت المصادر الأدبية هذا الفصل وسواه من فصول هذه الدراسة ومنها الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد (ت285هـ) وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت276هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت328هـ) وبعض دواوين الشعر كديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ت54هـ) وديوان الفرزدق (ت110هـ).

ورفدت هذا الكتاب عدد من الدراسات الحديثة التي تناولت الحرب بين العرب والبيزنطيين ومنها كتاب: الأمويون والبيزنطيون في البحر المتوسط للأستاذ الدكتور إبراهيم احمد العدوي، الذي تناول فيه جوانب من موضوعات هذا الكتاب معتمداً على عدد من المصادر الأجنبية التي لم يتسن لي الاطلاع عليها، لذا فقد استعنت به وافدت منه لاسيما في الفصل السادس ؛ ومع ذلك فان سعة موضوع هذا الكتاب زماناً ومكاناً قد فرضت على مؤلفه الإيجاز والاختصار في عدد من الفقرات المهمة، ومن الدراسات الأكاديمية التي استفدت منها مثل رسالة الماجستير للسيد سالم عبد علي العبيدي الموسومة ((القوة البحرية العربية الإسلامية في العصر الأموي)) والتي تعد من الرسائل العلمية الجادة في موضوعاتها إذ تنوعت مصادرها وتناولت جوانب متعددة من موضوعها بالبحث العلمي الرصين، فضلا عن ذلك أعانتني في إنجاز هذا الكتاب عددٌ من المراجع التي اهتمت بتاريخ الدولة

البيزنطية بشكلٍ عام ومنها ((الدولة البيزنطية 323 – 1081م)) للسيد الباز العريني وكتاب ((الإمبراطورية البيزنطية)) لنبيه عاقل إلى جانب كتاب: History of the Byzantine Empire 324 – 1453 لمؤلفه فاز يليف Vasiliev وكتـــاب History Of The Byzantine State لمؤلفه Ostrogrosky.

وختاماً ليس لي إلا أن أقول أن هذا الكتاب ما هو إلا جهد علمي متواضع أضعه بين يدي أساتذتي وزملائي من الباحثين لا ازعم انه بلغ الكمال في كل شيء ولكن هو ما استطعت تقديمه في هذا الظرف آمل أن أكون قد وفقت في تقديم شيء من الفائدة العلمية لطلبة وقراء التاريخ الإسلامي خدمة لامتنا العربية الإسلامية المجيدة وتاريخها الجهادي الخالد والله تعالى الموفق ومنه العون والسداد.

الفصل الأول

جغرافية ميدان المجابهة

تمهيد

الحدود الجغرافية لميدان المجابهة

المظاهر الطبيعية والبيئة المناخية في ميدان المجابهة

تمهيد

لم تكن المجابهة العربية الإسلامية مع الروم البيزنطيين في العصر الأموي إلا امتدادا للصراع الذي بدأت بوادره الأولى في عهد الرسول ﷺ، ثم تتابع ذلك في عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) من بعده، وما اعتمد من أساليب قتالية وخطط حربية مع الروم، فانه بطبيعة الحال استند على الأساليب القتالية التي وضع أسسها رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون.

وعليه فان دراسة كهذه توجب على الباحث التأصيل لكل فعل عسكري أو أسلوب قتال اعتمد ضد الروم في مدة البحث، تواصلاً مع التسلسل المنطقي والتاريخي للأحداث، ومن ثم بيان ملامح التطور والتجديد والإبداع العربي الإسلامي في تلك الأساليب والوسائل حسب ما أوجبته مقتضيات مراحل الصراع التاريخية وظروفها.

إن البحث في موضوع اتسم تاريخياً بسمة الصراع المسلح غالباً يوجب على المؤرخ المحلل الوقوف عند دقائق الأمور وكبيرها في ضوء ما تقدمه معطيات المصادر التاريخية وعدم التركيز على عامل واحد دون سواه في تفسير حالات النصر أو الهزيمة التي تعرض لها المسلمون، إذ من النادر ان يكون لا حادية العامل الواحد تفسير مقنع للحدث التاريخي، فما بالك إذا كان هذا الحدث عمليات عسكرية متواصلة؟ فهي عموماً حصيلة جملة عوامل ترتبط ببعضها وتتشابك في أماكن معينة لها أهمية عسكرية، وعليه فمن الصعب الفصل بين الفعاليات العسكرية وظروف البيئة – طبيعية كانت أم بشرية – التي تكون منطقة الصدام المسلح، وذلك لان نجاح هذه العمليات أو فشلها يعتمد إلى حدٍ كبير على درجة المرونة التي تتكيف فيها المبادئ العسكرية تبعاً للظروف القائمة في مواضع سوقية (استراتيجية) وتعبوية (تكتيكية) معينة.

وهذا ما يدعو إلى القول إن التحليل الجغرافي لمنطقة المجابهة – بعد تحديدها– وللإفادة من ظروفها المناخية وطبيعة سطحها بمختلف تكويناته ومظاهره والظواهر البشرية الموجودة عليه من قلاع وحصون وما شابه ذلك، يعد أمرا أساسياً لبيان الجوانب أو المزايا العسكرية التعبوية للمنطقة وتقدير الموقف العسكري في ضوء ذلك، ويكشف لنا مثل هذا التحليل أثار هذه الظروف على العمليات التعبوية والاستحضارات التي تسبق المعركة كالاستطلاع والتحشد والتعبئة المادية والمعنوية – والفعاليات الحربية التي ستجري أثناء صفحات القتال ومناطق الحماية والاستتار لكل نوع من الوحدات العاملة وعوائق الحركة وتوجيهها.

وعلى الرغم من ذلك كله ولما له من أهمية سوقية وتعبوية فان تحليل البيئة الجغرافية لميدان المجابهة المسلحة لا يكشف كل جوانب الحقيقة، وذلك لان القائد المسلم عندما يضع خطته الحربية وتفاصيل حركات قواته لا ينظر إلى هذه الظروف الاّ من خلال إمكاناته المادية وقدراته البشرية المتمثلة بعدد أفراد جيشه وعُدتهم من ناحية، والخبرة القيادية الميدانية التي تدرب عليها وألفها عند أبناء قومه من ناحية أخرى.

ومع ذلك فقد كانت العوامل الجغرافية من أبرز العوامل المؤثرة في رسم الخطة الحربية الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي وفي تحديد اتجاه سير الفتوح إلى جانب بقية العوامل الأخرى التي ترتبط وتتشابك مع بعضها بدرجات متفاوته من الأهمية لتسهم سوية في تحقيق النصر أو حسم المعركة مع الخصم، وهو أمر كان نصب أعين القيادة العربية الإسلامية سواء أكان الخليفة بوصفه القائد العام لقوات المسلمين أم القائد الميداني الذي يدير دفة الحرب ميدانياً وهو ما سنلاحظه من خلال صفحات هذا الكتاب.

الحدود الجغرافية لمنطقة المجابهة:

ليس من اليسير إعطاء وصفٍ ثابتٍ ودقيق لحدود منطقة الحرب مع الروم وهذا ينطبق تماماً مع ما كان عليه واقع الحال في المدة التي انحصر فيها موضوع البحث، ذلك لان هذا الأمر كان محكوماً بعوامل القوة والضعف والنشاط والفتور لطرفي الصراع، إذ إن اتساع الحدود الإسلامية مع الروم أو انكماشها وقتئذ كان يتناسب طردياً مع عوامل القوة والضعف للطرفين على حد سواء، ولكن من الممكن إعطاء تحديد عام لتلك المنطقة في العصر الأموي من خلال ما تقدمه شواهد الجغرافية التاريخية.

ان أولى الأقاليم التي شهدت بواكير الحرب بين العرب المسلمين والروم كانت بلاد الشام، ذلك لان أنظار المسلمين بقيادة الرسول ﷺ اتجهت أول الأمر صوب بلاد الشام، لسبب أو لآخر[1]، ويمكن عد نهر الفرات الحد الشرقي لهذا الإقليم ومنه إلى العريش على أطراف الديار المصرية غرباً، وعرضه من جبل طيء إلى بحر الروم[2]، وقد أوجز المقدسي الحديث في ذلك بقوله: ((وإن أهل العراق يسمون كل ما كان وراء الفرات شاماً[3]))، في حين تحدث أبو الفدا عن ذلك بتفصيل أكثر بقوله إن حد الشام: ((من جهة الجنوب حد يمتد من أول رفح التي في أول الجفار بين مصر والشام ... إلى ما بين الشوبك وآيلة من البلقاء وحده من الشرق البلقاء إلى مشاريق صرخد آخذاً على أطراف الغوطة إلى سلمية إلى مشاريق حلب إلى بالس وحده من الشمال من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم إلى البيرة إلى سيميساط إلى حصن منصور إلى بهسنا إلى مرعش إلى بلاد سيس إلى

---

(1) ينظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(2) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر، (مصر 1966م)، ج1، ص 160-161.

(3) المقدسي، محمد احمد المقدسي (ت 287 هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د. ت)، ص134.

طرسوس إلى بحر الروم، وحده من الغرب من طرسوس المذكورة آخذاً على ساحل البحر الرومي إلى رفح المتقدمة[1])).

وبتواصل العمليات الحربية ضد الروم البيزنطيين على وفق ضرورات حركة التحرير الإسلامي أتسعت جبهة المجابهة، لتشمل أقليم الجزيرة وما يليها، ذلك الإقليم الذي حصل شبه إجماع لدى الجغرافيين المسلمين على تعيين حدوده الشرقية والغربية، لسيرها مع مجرى نهرَي دجلة والفرات اللذين عُدَّا تاريخياً حداً فاصلاً بين الشام غرباً وإقليمي أذربيجان والجبال وأرمينية شرقاً وشمالاً، أما حدوده الجنوبية فتنتهي عند مدينة تكريت على نهر دجلة شرقاً وعند هيت على الفرات غرباً، وعليه فان الخط الوهمي الواصل بين هيت على الفرات وتكريت على دجلة يمثل الحد الفاصل بين إقليم الجزيرة شمالاً والعراق جنوباً[2]، أما حدود الإقليم الشمالية فقد بيّن ابن حوقل قسماً منها بإشارته إلى انه ما كان غرب آمد من أرمينية ثم من آمد إلى سميساط ثم ينتهي الحد الشمالي إلى مخرج ماء الفرات من حيث ابتداؤه من بلاد الروم بعدما يجتاز ملطية[3].

وكان أقليم أرمينية جزءً من منطقة التماس الحربي مع الروم، ذلك الإقليم الذي أفادت عنه المصادر البلدانية الإسلامية بمعلومات مهمة رغم تباينها، ومع ذلك فهي تعطي صورة تقرب من الواقع لحدود ذلك الإقليم، ويبدو ان سبب ذلك الاختلاف هو التغيرات الجبهوية المستمرة جرّاء الحروب التي كانت متواصلة بين

---

[1] أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن محمد ابو الفدا (ت 732هـ)، تقويم البلدان، مطبعة دار الطباعة السلطانية، (باريس 1840م)، ص 225، ينظر أيضا: الاصطخري، ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت 346هـ)، المسالك والممالك، تحقيق: محمد صابر عبد العال الحيني، وزارة الإرشاد القومي، (مصر 1961م)، ص43، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، (بيروت د. ت)، ج5، ص117-118.

[2] محمد جاسم المشهداني، الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري 127-218 هـ، 744 – 833 م، دار الرسالة للطباعة، (بغداد 1977م)، ص 39 – 41.

[3] ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل (ت 356هـ)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت 1979م)، ص189، الاصطخري، المسالك والممالك، ص52.

الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين بغية فرض سيادة أحد الخصمين المتنازعين عليه[1].

وعلى الرغم من ذلك فأن أرمينية تشكل أقليماً رئيساً في منطقة القوقاز فقد اعتاد القدماء أن يفرقوا بين أرمينية الكبرى وأرمينية الصغرى[2]، إذ كانت أرمينية الكبرى هي التي تمتد من أعالي الفرات غرباً حتى ملتقى نهري الكور(Kur) والرس (Araxes) قبيل مصبيهما في بحر قزوين شرقاً ومن دجلة وجزيرة ابن عمر جنوباً وحتى تفليس على نهر الكور شمالاً، أما اسم أرمينية الصغرى فقد كان يطلق على البلاد الأرمينية الواقعة غرب نهر الفرات، التي جعلت منها جغرافيتها وتاريخها مجموعة ظاهرة المعالم عن أرمينية الكبرى[3].

وقد أشار ابن الفقيه إلى ان حدود هذا الأقليم تمتد من مدينة برذعة إلى مدينة باب الأبواب شرقاً ويقطعها جبل القبق وما يحوي هذا الجبل من الممالك كمملكة السرير واللان واللكز من جهة الشمال وتحده من جهة الغرب بلاد الروم[4]. ومن جهة الجنوب يحده بلاد العراق وبعض حدود اقليم الجزيرة على رأي الاصطخري[5].

أما بلاد الروم فإنها تعد أكثر الأقاليم التي اختص بها موضوع الكتاب أهمية من النواحي الجغرافية والسوقية والتعبوية، وذلك لان أرضها كانت الميدان الرئيس

---

(1) عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 653 – 1064 م/ 33 – 457 هـ، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكويت 1989م)، ص 31-44، فتحي عثمان، الحدود الاسلامية ج1، ص191.

(2) ينظر خريطة رقم (1)

(3) عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية، ص17.

(4) ابن الفقيه، احمد محمد بن إسحاق (المعروف بابن الفقيه) (ت 290 هـ)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، (بيروت 1996م)، ص 583، ينظر أيضا: الاصطخري، المسالك والممالك، ص 181، ابن حوقل، صورة الأرض، 285 – 296.

(5) المسالك والممالك، ص108.

للحرب بين العرب المسلمين والروم في العصر الأموي، بل في العصر العباسي فيما بعد.

وقد سمّى العرب المسلمون أقاليم الدولة البيزنطية عموماً باسم ((بلاد الروم)) وحتى البحر المتوسط أسموه بحر الروم بسبب الهيمنة البحرية الرومية عليه، ثم اختصر لفظ بلاد الروم إلى ((الروم)) فقط، وصار اللفظ الأخير يطلق على أقرب الأقاليم النصرانية من دار الإسلام، ثم تحول ليطلق على آسيا الصغرى تلك البلاد التي أصبحت تحت السيادة الإسلامية بنهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بسيطرة السلاجقة عليها[1].

تمثلت الحدود الفاصلة بين دار الإسلام وبلاد الروم في العصر الأموي والعصر العباسي من بعده بسلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus (اللكام) وكان يعين هذه الحدود ويحميها خط طويل من القلاع يعرف بالثغور[2]، التي كانت معروفة لدى المسلمين منذ العصر الراشدي وتحديداً في عهد الخليفتين عمر بن خطاب (13-23هـ/ 634-643م) وعثمان بن عفان (23 – 36 هـ/ 643 -656 م) ﷺ[3].

وهذه الثغور تمتد من ملطية على الفرات إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط – بحر الروم[4] –، وقد أشار ابن حوقل إلى ذلك في حديثه عن ثغر طرسوس بقوله: ((وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين)) ويقصد بهما دار الإسلام ودار الحرب بلاد الروم[5]، وقد

---

[1] كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية: بشير فرنسيس كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد 1954 م)، ص159.

[2] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص160، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج1، ص199.

[3] البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري(ت 279هـ)، فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، (بيروت 1988م)، ص164؛ بن الفقيه، كتاب البلدان، ص183.

[4] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص160.

[5] صورة الأرض، ص168، ينظر ايضا: القلقشندي، احمد بن علي القلقشندي (ت 821 هـ)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، شرحه وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1997م)، ج4، ص138، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص164.

بيّن ياقوت الحموي، حدود بلاد الروم بتفصيل أكثر بقوله: ((وأما حدود الروم فمشارقهم وشمالهم الترك والخزر ورُسّ وهم الروس وجنوبهم الشام والإسكندرية ومغاربهم البحر والأندلس وكانت الرقة والشامات كلها تعد في حدود الروم أيام ألا كاسرة وكانت دار الملك انطاكية إلى أن نفاهم المسلمون إلى أقصى بلادهم[1])).

وكان البحر المتوسط – بحر الروم – وسواحله وجزره جزءاً مهماً من ميدان الحرب بين الطرفين في العصر الأموي وما تلاه، وقد قدمت المصادر الجغرافية والبلدانية وصفاً لحدوده وجزره يمكن ان يغني الباحث في هذا الشأن، فقد قال عنه الاصطخري: ((واما بحر الروم فانه خليج من البحر المحيط بين الأندلس وبين البصرة من بلاد طنجة وبين طنجة وبين جزيرة جبل طارق من أرض الأندلس عرضه إثنا عشر ميلاً ثم يتسع ويعرض فيمتد على سواحل المغرب فيما يلي شرقي هذا البحر حتى ينتهي إلى أرض مصر ويمتد على مصر حتى ينتهي إلى أرض الشام ممتداً عليها، ثم ينعطف بناحية الثغور فيدور على بلد الروم من انطاكية وما قاربها ثم يصير غربي البحر إلى خليج القسطنطينية ويعبره ثم يمتد على سواحل أثيناس ثم على سواحل رومية على قرب إفرنجة، فيصير البحر حينئذ جنوبياً ويكون على ساحله إفرنجة إلى أن يتصل بطرطوشه من بلاد الأندلس.. [2])).

وقد ضم بحر الروم مجموعة من الجزر التي تمتعت بأهمية سوقية وتعبوية وكان لها دور كبير في مجرى الصدام المسلح بين العرب والبيزنطيين منذ العصر الراشدي وفيما بعد في العصر الأموي، لاسيما قبرص وارواد ورودس واقريطش (كريت) وصقلية وغيرها من الجزر الأخرى[3].

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص444-445. وذكر لسترنج أيضا ان نهري ساردس وبيرامس – وهما من انهار بلاد الروم – اللذين أطلق العرب عليهما اسم نهر سيحان وجيحان كانا في صدر الإسلام حداً مائياً بين بلاد المسلمين وبلاد الروم. بلدان الخلافة الشرقية، ص 163.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص50-51، ينظر أيضا: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 346 هـ)، التنبيه والإشراف، منشورات مكتبة الهلال، (بيروت 1981م)، ص ص 66-69.

(3) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج1، ص 206 – 212. عن جهود المسلمين لفتح هذه الجزر وأهميتها الحربية ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص233، قدامة بن جعفر (ت 310 هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: د. محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد 1981)، ص 306، 351.

وشمل ميدان الحرب مع الروم ما احتله الأخيرون من أراضي المغرب العربي، ومصطلح المغرب يقصد به ((كل الأقاليم الواقعة غرب مصر التي تشمل شمال القارة الأفريقية وتتضمن حالياً البلاد الليبية بولاياتها الثلاث: (برقة وطرابلس وفزان) وتونس والجزائر بصحرائها المترامية الى تخوم السودان وأخيراً المغرب الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراكش نسبة إلى عاصمته الجنوبية ويمتد طبيعيا نحو الجنوب إلى تخوم السنغال والنيجر[1])) وقد قدمت المصادر البلدانية الإسلامية وصفا لحدود هذا الإقليم لا يتعدى ما تم ذكره إلا في بعض المسميات التاريخية[2]، وعلى العموم فقد تنوعت تضاريس هذا الأقليم وأنماطه المناخية كبقية الأقاليم الأخرى، مما انعكست آثار ذلك على الفعاليات العسكرية الإسلامية هناك، إذ واجه المسلمون صعوبات جمّة استغرقت منهم وقتا طويلا أمتد قرابة سبعة عقود من الزمن، خلافاً لما كان عليه الحال عند تحرير كل من الشام والعراق ومصر التي حررت بزمن قياسي يقرب من عشر سنين.

المظاهر الطبيعية والبيئة المناخية في ميدان المجابهة:

تنوعت مظاهر السطح وأشكاله والمناخ وأنماطه في منطقة المجابهة، بحكم سعة المساحة وطول الحدود، وهذا ما انعكست آثاره سلباً أو إيجابا على أساليب الحرب ووسائلها على طول خط التماس، وبما إن كلاً من بلاد الشام ومصر قد تم تحريرهما خلال العصر الراشدي، لذا ستقتصر هذه الدراسة وهذا التحليل الجغرافي على أهم الميادين التي شهدت الحرب بين الطرفين في العصر الأموي، وهي بلاد الروم وما يطل عليها من ثغور المسلمين – الشامية والجزرية – وأرمينية إضافة

---

[1] محمود شيت خطاب، قادة الفتح الإسلامي المغرب العربي، ط1، دار الفكر، 1973 م، ج1، ص14؛ عبد العزيز بن عبد الله، جغرافية المغرب، ط2، (الرباط 1956م)، ص4.

[2] ينظر: اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي (ت 284هـ)، البلدان، مطبعة بريل، (ليدن 1891) ص320-303 ؛ المقدسي، احسن التقاسيم، ص183، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 184-188، ج7، ص291.

إلى بلاد المغرب العربي – شمال أفريقية – مضافاً إليها البحر المتوسط – بحر الروم – وجزره وسواحله المطلة على ميدان المجابهة.

كانت بلاد الروم والثغور الإسلامية – الشامية الجزرية – المتاخمة لها الميدان الرئيس والاهم من جبهة الصدام المسلح مع الروم، التي تمثلت بهضبة الأناضول واراضي آسيا الصغرى التي اتصفت بتنوع ملحوظ في التضاريس الجغرافية والأنماط المناخية، مما انعكست آثاره دون شك على توزيع السكان واستيطانهم وتنوع نشاطاتهم الاقتصادية وتعدد الطرق والمسالك هناك عبر التاريخ، وكان لها ابلغ الأثر على أساليب المجابهة الحربية بين الطرفين.

وفيما يتعلق بالجبال فان النطاق الجبلي الذي يحيط بهضبة الأناضول ويفصل بينها وبين ساحل البحر الأسود – بحر بنطس – يعرف باسم جبال بنطس (Pontos) وهي سلاسل جبلية التوائية تمتد امتدادا عاماً من الغرب إلى الشرق ويفصل بينها أودية عميقة مكونة من ثغرات وتسير موازية لساحل البحر الأسود وقد تتجه بعض الإمدادات كالألسنة باتجاه البحر المذكور، ويتراوح ارتفاع هذه السلاسل ما بين 2500 – 3000 م[1].

أما سلسلة جبال طوروس وطوروس الداخلية Anti Taurus في الجنوب فإنها أقل تضرساً من الأولى، ومع ذلك فإنها تبدو أكثر ارتفاعاً، إذ يتراوح ارتفاعها بين (3000–4000م) عن مستوى سطح البحر وهي أشبه بالحائط الذي يفصل الجنوب عن الأجزاء الداخلية، أي بلاد الروم عن دار الإسلام[2]، وتبدو أكثر

---

[1] صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العالم الإسلامي، منشأة المعارف، (الإسكندرية 1982م)، ص543 ؛ دولت صادق وآخرون، جغرافية العالم دراسة إقليمية، مكتبة الانجلو المصرية، (مصر د. ت)، ج1، ص42 ؛ هاشم خضير الجنابي، جغرافية أوراسيا دراسة في الجغرافية العامة الإقليمية، جامعة الموصل، (الموصل 1987م)، ص235.

[2] صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العالم الإسلامي، ص544، دولت صادق، جغرافية العالم، ص42، ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، مطبعة شفيق، (بغداد د. ت)، ج1، ص304 – 305.

اتصالاً وكأنها على محور عام من الغرب إلى الشرق مترابطة أوصالها إلى حد كبير، وتنحدر هذه الجبال بشدة نحو السهل الساحلي لتقطع أوصاله أيضا، ومن ثم تكون في إطار جيوب معزولة ومتفرقة منها الجيوب التي تحتوي سهول انطاكية[1]، وهي ثاني منطقة سهلية بعد سهول كيليكية على ساحل هضبة الأناضول المشرف على البحر المتوسط[2]، وتلتقي سلاسل جبال بنطس وطوروس في أقصى الشرق من بلاد الروم وتضيق الخناق على القطاع الشرقي من هضبة الأناضول ويؤدي هذا التجمع والالتقاء إلى تكوين كتلة جبلية ضخمة تكون شديدة التضرس والتعقيد تتداخل مع إقليم أرمينية لتكّون ما يعرف بعقدة أرمينية[3].

وتعد هضبة الأناضول أبرز التضاريس الجغرافية في بلاد الروم، إذ يشكل القسم الأوسط منها أوسع أجزائها وهو أشبه بحوض تكتنفه سلاسل جبلية شاهقة من جهة الشمال والجنوب والشرق، أما من جهة الغرب فان الجبال التي تكتنفه قليلة الارتفاع، يتراوح ارتفاع الهضبة ما بين (800م) في أجزائها الغربية و(200م) في الأجزاء الشرقية وتنحدر تدريجياً صوب منخفض في الوسط تقع فيه بعض البحيرات المالحة[4].

ويتضمن القسم الأوسط من هضبة الأناضول بعض التلال التي تبرز فوق مستواها وتتحصرما بين هذه التلال بعض البحيرات وينحدر القسم الغربي من الهضبة انحداراً عاماً نحو الغرب صوب بحر ايجه وتبرز فيه نطاقات من التلال تحصر بينها ودياناً تجري فيها أنهار يصب بعضها في بحر ايجه وتنبع الأنهار من المرتفعات المحيطة بالهضبة بعضها يسير مسافات طويلة ثم يصب في البحر الأسود – بحر بنطس –[5].

---

[1] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص160.

[2] جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، منشأة المعارف، (الاسكندرية 1985م)، ص629؛ هاشم خضير الجنابي، جغرافية اوراسيا، ص236.

[3] جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، ص629، هاشم خضير الجنابي، جغرافية اوراسيا، ص236.

[4] المرجع نفسه، ص628.

[5] المرجع نفسه، ص629.

فضلاً عما ذكر سابقا فانه تنحدر من غربي القسم الشرقي للهضبة بعض المجاري المائية التي ينصرف بعضها إلى أعالي الفرات وبعضها الآخر يتجه نحو الأراضي الشامية كنهر القباقب الذي يصب في الفرات والمعروف عند الروم باسم ملاس (Malas[1]) ونهر الذهب ونهر قويق ونهر عفرين والنهر الأسود والأخيران رافدان لنهر العاصي وينصرف نهرا ساردس وبيرامس (سيحان وجيحان) في الركن الشمالي الشرقي للبحر المتوسط – بحر الروم – عند رأس الاسكندرونة وقد أسهم هذان النهران في تكوين سهل أضنه (أذنة) ومرسين (Mersin) مرعش وهي المعروفة عبر التاريخ بالسهول الكيليكية (Cilician[2])، تلك السهول الخصبة التي شهدت استيطان السكان فيها منذ عصور تاريخية ترجع إلى ما بين القرنين الثاني عشر والتاسع قبل الميلاد وربما أسبق من ذلك وكانت محل نزاع بين الأقوام لغرض فرض السيطرة عليها[3]، وهذا يعود بلا ريب إلى الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به هذه السهول لخصوبة أرضها وتنوع مصادر الري فيها من أمطار وأنهار جارية، فضلاً عن وجود المعادن في تربتها[4]، مما دفع الآشوريين منذ أقدم العصور إلى إقامة العديد من المراكز التجارية في هذه الأصقاع لاستيراد الأخشاب والمعادن ونقلها إلى بلادهم[5]، بل إن هذه السهول الفسيحة والخصبة كانت محل إعجاب ودهشة من هاجم هذه الأصقاع، حيث وقف الاسكندر الكبير المقدوني وجنده مبهورين أمام هذه السهول ذات التربة الحمراء التي تتخللها مناطق تكسوها الخضرة في أثناء زحفهم صوب الشرق بحدود عامي 334 – 333 ق. م[6].

---

(1) استرنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص 152.

(2) جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، ص630 – 631؛ هاشم خضير الجنابي، جغرافية اوراسيا، ص237.

(3) سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم ايران والأناضول، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد د. ت)، ص ص335، 348 – 349.

(4) المرجع نفسه، ص 368 – 369.

(5) هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: د. عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1999م)، ص51 – 53 ؛ ينظر أيضا سامي سعيد الاحمد ورضا الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص416.

(6) هارولد لامب، الاسكندر المقدوني، ترجمة: د. عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصائغ، مراجعة: د. محمود أمين، المكتبة الأهلية، (بغداد 1965م)، ص149؛ سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص ص368 – 369.

وارتبطت هضبة الأناضول بما جاورها من الأقاليم بشبكة من الطرق تفاوتت أهميتها التاريخية تبعاً لأهمية المناطق التي تؤدي إليها تلك الطرق من النواحي الاقتصادية والعسكرية من جهة ولتوفر العوامل المشجعة من ماء ومراعي من جهة اخرى، لا سيما إذا ما علمنا أن النقل آنذاك كان يتم باستخدام الحيوانات، فانفتاح هضبة الأناضول من جهتها الغربية التي ينحدر سطحها إليها قد جعلها معبراً بين آسيا وأوربا وجعلها أيضا ميداناً للصراع بين شعوب الشرق والغرب لفرض السيطرة عليها عبر التاريخ[1]، فاتصالاتها الغربية بعد ان تتجمع من وسط أوربا وشرقها خلال ممرات شبه جزيرة البلقان تنتقل عبر المضايق أو نطاقات الجزر في بحر ايجه، وهما أهم حلقات الاتصال بين الساحل الأوربي والساحل الآسيوي، ويمكن أيضا إن تنتقل بعض هذه الاتصالات عبر البحر الأسود وعلى سواحله الجنوبية، وخلال بعض الممرات في الحافة الشمالية لهذه الهضبة إلى داخلها، وقد كانت وديان الأنهار التي تنصرف مياهها باتجاه الشمال الغربي كنهر قزل أرموق وبعض روافد نهر يشيل وغيرها تعد مسالك جيدة[2] للمرور خلال هذا الإقليم نحو البحر الأسود عبر نطاق بنطس ومع هذا فهي في الواقع ليست أفضل المسالك بسبب طول وديانها وتعرجها التي تفصل بعض سلاسل هذا النطاق عن بعضها الآخر، وتوجد ثغرات في الأقسام الشرقية من سلاسل بنطس تفصل بين بعض المناطق داخل الهضبة وبين بعض مناطق أخرى على ساحل البحر الأسود مثل هذه الممرات تفضل للاتصالات المنتظمة السلوك بين الداخل والساحل[3].

علاوة على ما تقدم ترتبط أقاليم بلاد الروم فيما بينها ومع ما جاورها من الأقاليم بشبكة من الطرق أقل أهمية مما ذكر سابقا[4]، إلا أن أهم الطرق التي كان

---

[1] سامي سعيد الاحمد ورضا الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص ص 348 – 350.

[2] المرجع نفسه، ص ص378 – 379.

[3] ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج1، ص 304.

[4] المرجع نفسه، ص 304 – 305.

لها فيها شأن كبير في تاريخ هذه البلاد وما جاورها من الأقاليم على مر التاريخ هو الطريق الذي يقطع سلسلة جبال طوروس وطوروس الداخلية مفضياً إلى سهول كيليكية الذي عرف باسم درب الأبواب القيليقية أو (بوابات كيليكية[1])، وقد عملت الانكسارات في هذه السلسلة على إحداث أكثر من ثغرة تسمح بالمرور خلالها، إلا ان هذا الممر بالذات هو الأسهل اجتيازاً من بقية الدروب[2]، وقد أسمته المصادر التاريخية الإسلامية بدرب بغراس أو درب اللكام[3]، وسمي أيضا ممر بيلان[4]، نسبة إلى بلدة بيلان بجبل اللكام (أمانوس) التي يمر بها هذا الطريق، وهناك شبه إجماع على ان ارتفاع هذا الممر الجبلي يتراوح بين 666 – 686م[5]، وتقطع جبال طوروس مروراً بجبل اللكام دروب أخرى منها ممران يسيران من سفح جبل العمق ومن سهل إنطاكية إلى الاسكندرونة[6]، ودرب الحدث الذي نفذ منه المسلمون إلى داخل بلاد الروم منذ وقت مبكر وهو في الشمال الشرقي وكان من مرعش باتجاه الشمال إلى عر بسوس (ابلستا البيزنطية Ablastha) وكان يحمي هذا الدرب حصن الحدث (Adata[7])، الذي فتح أيـــام الخليفـــة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ من قبل القائد حبيب بن مسلمة الفهري[8]، وقد سماه المسلمون درب السلامة تطيّراً لأنهم أصيبوا به، ولكن هذه الدروب ما هي الاّ طرق ضيقة لا تقارن بدرب الأبواب القيليقية لكونه ميسراً ويصلح لسير المركبات، لذا فقد سلكته جيوش

---

[1] Ramsay , W. M , Historical Geography of Asia Minor , (New York 1972) ,pp , 197 – 199 .

[2] ابراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج1، ص305.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص164 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص 305.

[4] هيوار Huart ، مادة بيلان، دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، (طهران د. ت)، ج4، ص 423 – 427.

[5] المرجع نفسه، ج4، ص 425.

[6] هيوار Huart ، المرجع السابق، ج4، ص425؛ Ramsay , Opcit , p 349 – 356 .

[7] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص166.

[8] قدامة بن جعفر، الخراج، ص320.

كورش الاخميني الفارسي في أثناء حروبه ضد الإغريق[1]، وعبرته جيوش الأسكندر المقدوني في طريقها إلى النصر على الاخمينيين في افسوس عام 333 ق. م[2].

وقد حظي هذا الطريق باهتمام الأباطرة الرومان – الذين قاموا بإنشاء عدد من الطرق الأخرى إضافة إليه[3]، ومن تلاهم في العهد البيزنطي، وقد قام البروفيسور رامسي[4](Ramsay) بدراسة هذا الطريق وتتبعه دراسة تفصيلية أثناء بحثه في جغرافية آسيا الصغرى، وقد اسماه الطريق العسكري وأشار إلى ان إنشاءه تم في عهد قسطنطين، ففي زحفه من العاصمة القسطنطينية عبر هذا الطريق، كان يجد تشكيلات عسكرية مجهزة من قبل رعاياه في هذا الإقليم بانتظاره على نقاط متفرقة على طول الطريق، وهذه النقاط كانت عبارة عن معسكرات كبيرة تشبه المعسكرات التي سماها الرومان القدماء ستاتيفا (Stativa)، وقد تم تأمينه بإقامة العديد من القلاع الحصينة على مسافات متقطعة منه وهي التي عادةً ما تكون على أجراف صخرية عالية ذات مميزات دفاعية طبيعية تمكنها من الصمود أمام أي حصار يقع عليها ومن السيطرة على الطريق، وقد أصبحت هذه القلاع المحصنة نواة لمدن جديدة ازدادت أهميتها في العصر البيزنطي على عكس المدن الأخرى ذات المميزات الدفاعية المتواضعة فقد هجرت وتقلصت إلى مجرد قرى صغيرة ولأهمية هذا الطريق الحيوي بالنسبة للروم وضعوا من يقوم بحماية معابره الرئيسة لاسيما معابر طوروس التي أوكلت إلى ما يسمى بحامي المعابر (Kleisourarch) في النظام البيزنطي للدفاع عن الحدود[5].

---

[1] سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص378 – 379.

[2] هارولد لامب، الاسكندر المقدوني، ص149 – 151.

[3] سامي سعيد ألا حمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص 413، 418 – 421.

[4] Ramsay , Opcit , p 199 – 200 , 349 – 356.

[5] RAMSAY, OPCIT,PP199-200,349-356 Ostrogorosky , George , History of the Byzantine State , Translated by Joan Hussey , (Oxford 1968) , P 207.

وقد حظيت بلاد الروم باهتمام الملوك الذين حاولوا فرض سيطرتهم عليها – من الفرس وسواهم – وهي ذات التضاريس الصعبة والمناخ المتنوع القاسي، إذ أقام الملك داريوس الفارسي شبكة طرق في آسيا الصغرى منها الطريق الملكي الذي يبدأ من افسوس إلى الأبواب الكيليكية باتجاه الشرق وله في ليديا وفريجيا عشرون محطة فضلاً عن عد د من الطرق الأخرى التي ذكرتها المصادر التاريخية[1].

أما أهم المدن ومراكز التجمع السكاني في بلاد الروم التي كان لها أثر مهم في تاريخ هذا الإقليم فقد أقيمت بالقرب من الطرق الرئيسة المارة عبر السهول والأراضي الخصبة ذات الأنهار التي اتخذت مجاريها ووديانها ممرات ومسالك جيدة وهي حقيقة طالما أشارت إليها المصادر[2]، فعلى سبيل المثال إن مناطق كيليكية الواقعة جنوب شرق آسيا الصغرى التي يحدها البحر الأبيض المتوسط – بحر الروم – من الجنوب، وجبال اللكـــام (أمانوس) من الشرق، وطوروس من الشمال قد شهدت استيطان جماعات يونانية كونت لها كياناً سياسياً منذ العصور الهيلينية الأولى خلال الألف الأول ق. م والعصر الهيليني اللاحق لتحكمها بأهم عقد المواصلات بين آسيا الصغرى وسوريه عن طريق الأبواب الكليكية، ولشهرتها بالمنتوجات الزراعية لاسيما العنب والكتان[3]، وقد ظلت محتفظة بكيانها المستقل حتى الاحتلال الفارسي لهذه البلاد بحدود عام 546 ق. م.

وفي العهد الروماني والبيزنطي (34 ق. م – 324 م وما تلاها) شيدت عدد من المدن كما ذكر سابقا على طول الطرق المهمة في عموم بلاد الروم وعلى معابر الأنهر، كالمصيصة وأذنة اللتين شيدهما الروم وتناوبوا السيادة عليهما مع العرب عبر تاريخ صراعهم الطويل معهم وكانتا من الثغور المهمة بين الطرفين،

---

[1] سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص353 – 376.

[2] ينظر RAMSAY, OPCIT .PP, 349 – 356

[3] سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص368 – 369.

فالمصيصة (Mopsuestia) أقيمت على نهر جيحان (بيرامس) على مرتفع من الأرض وأحيطت بحصن أعيد بناؤه مجدداً على أساسه القديم من المسلمين في العصر الأموي، وأضافوا إليها على الضفة المقابلة للنهر ربض أو مدينة كفربيا التي ارتبطت بالمصيصة بقنطرة من الحجارة على نهر جيحان[1].

أما أذنه التي تقرب من المصيصة في المسافة بينها وبين طرسوس فقد شيدها الروم على ضفة نهر سيحان (سارس) وأنشأوا لها هي الأخرى قنطرة حجارة وصفها البلدانيون المسلمون لاحقاً بأنها عجيبة البناء طويلة جداً[2] ترقى في تاريخ إنشائها إلى عهد جستنيان (Justinian) ولم تزل ترمم عبر العصور الإسلامية لأهميتها الاستراتيجية، وأذنه من المدن الرومية ذات الأراضي الخصبة العامرة والمأهولة وواحدة من عقد المواصلات المهمة أشادت بها المصادر الجغرافية التاريخية الإسلامية[3]، ولم تزل مثل هذه المدن وسواها المقامة على حافات الطرق في الأقاليم الغنية ذات المواقع الجغرافية المهمة مراكز استقطاب للسكن ومحلات نزاع كان لها دور بارز في تاريخ الصدامات الحربية على ارض الروم[4].

أما مناخ بلاد الروم فأنه يمتاز بنمطين بارزين هما مناخ السواحل[5]، التي تتميز بمناخ البحر المتوسط وهي دافئة في فصل الشتاء وأدفؤها سواحل البحر المتوسط إذ تبلغ درجة الحرارة شتاءً نحو (10 مئوية) بينما تنخفض في سواحل البحر الأسود إلى معدل قدره (5 مئوية)، وتتعرض السواحل الشمالية لرياح باردة

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص165 ؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص47، لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص162 – 163.

(2) الاصطخري، المسالك والممالك، ص47 ؛ ابو الفداء، تقويم البلدان، ص249.

(3) المرجع نفسه.

(4) مثل أنقرة وعمورية في اقليم فيريجيا: ينظر: سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص 326 – 352.

(5) جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، ص 631 – 633 ؛ هاشم خضير الجنابي، جغرافية اوراسيا، ص238 – 239.

تهب من داخل سهوب روسيا، وتتعرض سواحل بحر ايجة هي الأخرى لرياح شديدة البرودة شتاءً تأتيها من داخل هضبة الأناضول وتسبب تجمد مياه الأنهار، وتكون حرارة السواحل معتدلة صيفاً، و أكثرها اعتدالاً منطقة الساحل الشمالي، أما من ناحية الأمطار فنجد سواحل البحر الأبيض المتوسط وسواحل بحر ايجة تتميز بالمطر الشتوي واغزرها يسقط في الخريف والشتاء[1].

أما النمط المناخي الثاني فهو مناخ الهضبة الذي يتسم بالقارية الشديدة والتطرف، وتنخفض درجة الحرارة في فصل الشتاء حتى تقترب من درجة التجمد ثم ترتفع صيفاً إلى أكثر من (72ْم) وتزداد حدة القارية كلما أوغلنا في قلب الهضبة وباتجاه كتلة أرمينية فمنطقة أرضروم (Erzurum) تنخفض درجات الحرارة خلال شهور الشتاء الستة دون درجة الانجماد بكثير وتغطي الثلوج الأودية خلال خمسة شهور من السنة ويكون التساقط قليلاً إلى حدٍ ما إذ يقل على سطح الهضبة عن (25 سم) لا سيما في المساحات التي في ظل الرياح الممطرة القادمة من البحار المجاورة[2].

أما إقليم أرمينية فانه يتألف من هضبة ترتفع تدريجياً من المنخفض الأوسط الذي يجري فيه نهر الرس إلى جهة الغرب اذ تشكل القسم الشرقي من هضبة الأناضول ويبلغ أوج ارتفاعها عند سهل مدينة أرضروم[3] (قاليقلا).

وتتكون هذه الهضبة من مرتفعات جبلية يبلغ ارتفاعها عن مستوى سطح البحر ما بين (1500–1800م)[4]، وهضاب متعددة أخرى بين السلاسل الجبلية

---

(1) جودة حسنين جودة، جغرافية آسيا الإقليمية، ص632 – 633، صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العالم الإسلامي، ص545 – 546.

(2) صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العالم الإسلامي، ص546.

(3) ابراهيم شريف، جغرافية العراق، ج1، ص 295 ؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص148 – 150

(4) أميل بول، تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت د. ت)، ص5، ينظر: خريطة رقم (2).

غنية بالمراعي يتراوح ارتفاعها ما بين (800–2000م) فوق سطح البحر[1]، ويقطع الأقليم عدة سلاسل جبلية ضخمة تشغل جزءاً كبيراً من مساحته تتميز بوصفها مخروطية الشكل وبعضها فوهات براكين خامدة ويعد جبل ارارات[2] (Ararat) في وسط أرمينية أعلى تلك الجبال تعلوه قمتان هما جبلا الحارث والحويرث – كما تسميهما المصادر الإسلامية[3] – ذكر الاصطخري[4] ان الثلوج دائمة على هذين الجبلين ولا يرتقى الى أعلاهما من الارتفاع وصعوبة المسلك، ويطل جبل الحارث على مدينة دبيل الواقعة إلى الجنوب منه وراء نهر الرس وهي ((بلد جليل عليه حصن منيع والخير به كثير.. ونهره غزير حف به البساتين ذات ربض عتيق وحصن وثيق[5]))، فتحها حبيب بن مسلمة الفهري في العصر الراشدي بعد أن أجال الخيول في مرجها وقراها وضرب الحصار عليها[6].

واعظم جبال أرمينية جبل القبق الذي يمتد في شمال الإقليم ويتكون من عدة سلاسل تمتد عموماً من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بصورة متوازية وعلى الأخص في القسم الغربي منها حيث تمتد إلى الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود – بحر بنطس – أما اتجاهها نحو الجنوب الشرقي فيمتد إلى أن يتعامد على بحر قزوين – الجزر – حيث تنتهي على بعد ثلاثة أميال منه ويترك سهلاً ساحلياً بينه وبين البحر[7]، وأما ارتفاعه عن مستوى سطح البحر فهو ما بين (2700–3600م) ويضم قمماً يتجاوز ارتفاعها (4500م)[8]، ويقطعه ممران الأول على

---

[1] عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية، ص18.

[2] ابراهيم شريف، جغرافية العراق، ج1، ص299 ؛ جودة حسنين جودة، جغرافية أسيا الإقليمية، ص629.

[3] ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 107 – 108.

[4] المسالك والممالك، ص 108 ؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص217.

[5] المقدسي، احسن التقاسيم، ص289.

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص198 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص327.

[7] ابن رسته، ابو علي احمد عمر بن رسته، (ت 300هـ)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، (ليدن 891م)، ص148.

[8] إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق، ج1، ص299.

مدينة باب الأبواب والثاني عن طريق باب اللان[1]، كان لهذه الممرات أهمية سوقية وتعبوية في تاريخ الصراع الحربي على أرض هذا الإقليم، إذ أقام الفرس الساسانيون حصوناً قوية في هذه الممرات ورتبوا فيها حاميات عسكرية لحفظها ولصد توغل الأقوام المجاورة كالخزر واللان التي كانت تسلكها للإغارة منها على اقليم أرمينية واستخدم المسلمون هذه الممرات بعد الفتح الإسلامي لأرمينية حماية لممتلكاتهم[2].

وتعد أرمينية إقليما غنياً بالأنهار ففيها عشرات الأنهار التي تتدفق مع سفوح الجبال لتجري عبر السهول، منها نهر دجلة الذي ينبع من جبال طوروس الواقعة على الحدود الجنوبية وتخرج منابع نهر الفرات منها أيضا، وتنحدر من الهضاب الداخلية، فضلاً عن ذلك هناك نهر الرس الذي يصب في بحر قزوين ونهر الكر الذي يندفع من الشمال ويلتقي بنهر الرس قبل أن يصبا في البحر المذكور[3]، ليكونا أقليم الران في مثلث كبير يقع إلى الغرب من اقترانهما[4] ومن اشهر مدنه برذعة قصبة الإقليم التي ذكر المقدسي ان لها نهراً يتخللها ونهر الكر على بعد فرسخين[5]، ونهر ثر ثور على مسافة أقل من فرسخ وهي ((طيبة حسنة كثيرة الفواكه[6])) وطئتها ركائب الفتح الإسلامي بقيادة سلمان بن ربيعة الباهلي وضربت الحصار عليها منذ العصر الراشدي[7]، ومن مدن هذا الإقليم أيضا تفليس التي وصفها المقدسي بأنها مدينة ((حصينة بقرب الجبال يخترقها نهر الكر وهي جانبان

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص300، ينظر أيضا: ابن رسته، الأعلاق النفسية، ص148.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص194؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص148، قدامة بن جعفر، الخراج، ص322–323.

(3) ينظر: الاصطخري، المسلك والممالك، ص175، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، 89 –90. ينظر: خريطة رقم(3).

(4) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص211.

(5) المقدسي، احسن التقاسيم، ص288.

(6) المرجع نفسه.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص203 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص328.

بجسر قد بني حيطانه بالحجارة ثم طرح عليها الخشب[1]))، ومن هذا يتبين ان المدن ومراكز الاستيطان في اقليم أرمينية قد أقيمت على مجاري الأنهار في الأقاليم الخصبة ذات الموارد الاقتصادية الجيدة وعلى الطرق المهمة، مثال آخر على ذلك مدينة بدليس التي أنشئت ((في واد عميق فيه نهران في المدينة يجتمعان وهي جانبان فيها قلعة من حجارة[2])) وكذلك مدينة باب الأبواب (دربند) وهي من اجل موانئ بحر قزوين – بحر الخزر – التي كانت ثغراً من ثغور الإسلام في صدر الإسلام والعصر الأموي[3].

وفي الإقليم عدد من البحيرات منها بحيرة وان (Van) ويسميها العرب بحيرة خلاط، وبحيرة أرجيش وبحيرة سيفان (Sivan) وبحيرة أرومية (Urumia) في أقصى الجنوب المتاخمة لإقليم أذربيجان[4]، ولم تزل المناطق الخصبة المحيطة بهذه البحيرات ذات أثر فعّال في تاريخ هذا الإقليم، إذ أقيمت عليها أقدم الحضارات وشهدت عددا من الصراعات الحربية منها مملكة أرارات التي تألفت من اتحاد القبائل الحورية التي عاشت في المرتفعات حول بحيرة Van حيث الظروف ملائمة للرعي والزراعة وشهدت هذه المناطق بحدود الألف الثالث ق. م قيام حضارة مماثلة نشأت اولاً في وديان الأنهار، وعلى طول الجداول المنسابة من الجبال، وأخذت تنتشر إلى سفوح الجبال، مكونة حضارة موحدة تشمل منطقة واسعة لها صلة وثيقة بالحضارة الحورية[5]، وقد دخلت هذه المملكة في حروب طويلة مع الآشوريين في عهد شلمنصر الثالث بحدود القرن الثالث عشر ق. م ومن تلاه من الملوك الآشوريين، بسبب منافستها إياهم في السيطرة على الطرق التجارية مع

---

[1] المقدسي، احسن التقاسيم، ص288.

[2] المصدر نفسه، ص289.

[3] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ص214 – 215.

[4] عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية، ص20 ؛ ينظر خريطة رقم(3).

[5] سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي، تاريخ الشرق القديم، ص ص336 – 337.

الأناضول وسورية والمناطق الرئيسة لانتاج المعادن وتربية الخيول[1]، وقد جعلت تضاريس هذه المناطق الخاضعة لسيادة مملكة أرارات من المستحيل اجتياحها في معركة واحدة حاسمة وإخضاعها كلها[2]، وكان هذا التضرس سبباً في اختلاف وصراع عددا من الأجناس البشرية ألتي استوطنت هذا الإقليم عبر التاريخ ومنهم الفرس والرومان[3].

ومن أشهر المدن على ضفاف هذه البحيرات التي فتحها المسلمون أيام الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) مدينة خلاط الواقعة في الطرف الغربي لبحيرة وان وهي من أنزه البلاد ((في سهلة لها بساتين حسنة وعليها حصن.. وبها نهر[4])) والبرد فيها قارص شتاءً ويصل بين جانبيها جسر على النهر الذي يخترقها ويطل عليها جبل يدعى (كوه سيبان) الذي لا تفارق الثلوج قمته[5]، وقد فتحت صلحاً على يد حبيب بن مسلمة الفهري (ت42هـ) أيام الراشدين[6]، وقد اشتهرت هذه البحيرة بإنتاج نوع من الأسماك يدعى (الطريخ) كان يصطاد ويملح ويحمل إلى كثير من البلدان فيدر أموالا جمّة[7]، ولم تزل ثروات هذه البحيرة تستثمر من قبل المسلمين حتى في أيام الأمويين[8].

أما المناخ في اقليم أرمينية فانه بارد قارص بصورة عامة يغلب عليه البرد والجفاف[9]، والثلوج تغطي المرتفعات – كما ذكرنا انفاً – والطقس في المناطق المنخفضة معتدل، وثمة تباين واضح في مناطق الهضاب التي يستمر الشتاء فيها

---

[1] هاري ساكز، قوة آشور، ص ص115، 119 – 121، 128 – 129.

[2] المرجع نفسه، ص134.

[3] ينظر: عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية، ص ص26 – 44.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص289.

[5] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص218.

[6] قدامة بن جعفر، الخراج، ص326.

[7] لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ص217 – 218.

[8] قدامة بن جعفر، الخراج، ص326.

[9] اليعقوبي، البلدان، ص336 ؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص291.

طوال ثمانية أشهر وبين المناطق المنخفضة التي يعتدل الطقس فيها بصفة عامة، ولا سيما تلك التي تقع على البحر الأسود شمالاً وحوض الفرات جنوباً[1].

ومما تقدم يمكن القول ان مظاهر السطح والمناخ متنوعة في إقليم أرمينية ففيها الجبال الشاهقة والهضاب، وتجري في أرضها شبكة كبيرة من الأنهار والجداول إلى جانب عدد من البحيرات التي كانت مناطقها من أغنى المناطق اقتصاديا، مما انعكست آثار ذلك على تاريخ هذا الإقليم وما حصل فيه من حروب ونزاعات من قبل الأقوام التي حلت به تدفعها إلى ذلك العديد من الدوافع، وقد أثرت هذه التضاريس في طبيعة الفعاليات العسكرية التعبوية للمسلمين، لاسيما في الأقاليم التي كانت تحت السيادة الرومية من هذا الإقليم.

أما أقليم المغرب العربي فهو الآخر تنوعت المظاهر الجغرافية فيه من تضاريس ومناخ وهو ((اقليم بهيّ، كبير سريّ، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخاء به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة ... قد غاب في الزيتون مدنه، وبالتين والكرمات أرضه، يجري خلالها الأنهار، ويملأ غيظانها الأشجار، إلا انه بعيد الأطراف كثير المفاوز صعب المسالك كثير المهالك[2]))، تمتد به جبال أطلس في قلب المغرب من أقصاه الغربي إلى أقصاه الشرقي في سلسلتين أحدهما شمالية وأخرى جنوبية، حصرت فيما بينها مساحات من الهضاب والسهول[3] الداخلية فضلاً عن السهول الساحلية، وقد كان لهذه التضاريس المنوعة أثرها الفعال في قيام المدن ونشوئها واستيطان السكان في هذا الإقليم على مرّ العصور، إذ لم تتوغل كثيراً إلى الجنوب لوجود صحاري قاحلة صعبة الاختراق، بل تركزت على ساحل بحر الروم ومناطق المرتفعات التي تلي الشريط الساحلي، حيث تنوعت الموارد الاقتصادية وانتعشت هناك نتيجة تنوع التضاريس والمناخ[4].

---

(1) عبد الرحمن محمد العبد الغني، أرمينية، ص21.

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص183.

(3) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، (بيروت 1981م)، ج2، ص129- 130.

(4) ينظر خريطة رقم (4 و5).

ومن أهم المدن من جهة مصر – في زمن المقدسي[1] على اقل تقدير – برقة وهي ((قصبة جليلة عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في هويّة، قد أحاط بها تربة حمراء شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار في جباب وهي على جادة مصر)) لها جبلان يقال لأحدهما الشرقي وللآخر الغربي وفيها ((عيون جارية وأشجار وثمار وحصون وآبار للروم قديمة[2])) وقد شهدت هذه الأصقاع استيطان السكان على مختلف أجناسهم منذ عهود سبقت الفتح الإسلامي كما هي الحال في اجدابية وبرنيق التين سكنهما البربر والروم[3].

أما طرابلس فهي الأخرى كانت مدينة كبيرة مسورة بسور من الحجارة على ساحل بحر الروم عامرة آهلة بأخلاط من الناس كثيرة الفواكه والألبان والعسل، شرب أهلها من الآبار ومياه الأمطار[4]، وعلى مسافة قريبة منها جبال سكنتها بعض القبائل في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة[5]، وقد وطئت هذه الأصقاع ركائب المقاتلة المسلمين في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ[6].

وإذا ما اتجهنا غرباً مع خط سير الفتوحات الإسلامية متفحصين المظاهر الجغرافية المناخية لهذا الإقليم واثرها في تاريخ الصدام المسلح بين العرب والبيزنطيين، تبين أن أغلب المدن المقامة قريبة من الساحل مسورة تعتمد في شربها على الآبار والجباب وما تساقط من أمطار هناك، مثال ذلك سوسة وتونس التي كانت بها دار لصناعة السفن[7] ولعبت دوراً مهماً في حرب المسلمين مع

---

[1] أحسن التقاسيم، ص186.

[2] ابن رسته، الأعلاف النفسية، ص346.

[3] المصدر نفسه، ص343 – 344.

[4] المقدسي، احسن التقاسيم، ص186.

[5] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص346.

[6] ابن عبد الحكم، أبو القاسم بن عبد الله بن عبد الحكم (ت242 هـ)، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل (ليدن 1907 م)، ص183 وما بعدها ؛ فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي، (القاهرة 1965م)، ص ص229 وما بعدها.

[7] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص348.

الروم لاسيما في البحر وعلى الثغور البحرية، كما سنرى، واسفاقس مثلما يسميها المقدسي وغيرها[1] من مدن المغرب التي شهدت صراع المسلمين الحربي مع الروم في العصرين الراشدي والأموي.

وكانت السهول[2] المروية بشبكة من الأنهار والجداول والوديان هي الأخرى من ابرز ظواهر الإقليم التي تمتاز بثرائها الاقتصادي الناجم عن الزراعة فيها، مثال ذلك مدينة قابس – في المغرب الأدنى – لها واد جرار كثيرة النخيل والأعناب والتفاح[3]، وقسطيلة ذات السهول الداخلية التي تقع حول الواحات التي أشار ابن رسته إلى أنها ((أربع مدائن في ارض واسعة لها النخل والزيتون، ومما يلي القبلة من القيروان بلد يقال له الساحل ليس بساحل بحر، كثير السواد من الزيتون والشجر والكروم، وهي قرى متصلة بعضها في بعض كثيرة[4])) وباجة التي تعد من السهول الساحلية واقعة بين القيروان والبحر كثيرة الحبوب والخيرات وسطها عين وبها ماء جار[5].

ومن المناطق السهلية في بلاد المغرب الأوسط قصبة تاهرت التي ((أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجل بها الإقليم... وهو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيّب... غزير الماء[6])) وأشار المقدسي أيضا إلى ان تاهرت السفلى تقع على واد عظيم ذات أعين وبساتين[7]، وفكّان هي الأخرى على واد جار ذات بساتين[8].

---

(1) أحسن التقاسيم، ص188 – 189 ؛ ابن الفقيه، البلدان، ص79.

(2) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ص129 – 131.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص186.

(4) ابن رسته، الأعلاق النفسية، ص350.

(5) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص188.

(6) المصدر نفسه، ص189.

(7) المصدر نفسه، ص189.

(8) المصدر نفسه، ص 189.

ومن الأمثلة على المناطق السهلية ذات المناخ اللطيف والإنتاج الغزير في المغرب الأقصى السهول في فاس التي كان لها واد جرار عليه بساتين كثيرة الخيرات والتين والزيتون وأرحية إذ كان التمر فيها وقر جَمَلْ بدرهمين في أيام المقدسي[1]، وذكر ابن الفقيه في حديثه عن المسافات بين مدن المغرب الأقصى ومنها طنجة ومدينتها وليلة والسوس الأدنى ((ليس في بلادهم نخل ولا كرم ولا زيتون ولهم القمح والشعير والأغنام والرماك[2] والبقر والعسل وليس لهم قطن ولا كتان ... زرعهم على ماء السماء[3])).

وفضلاً عما ذكر من إشارات عن طبيعة المناخ في هذا الإقليم، فلابد من الإشارة إلى تنوع أنماط المناخ في المغرب العربي، إذ تسقط الأمطار بغزارة لاسيما في الأقسام الشرقية منه وعلى المناطق الجبلية وعلى المناطق القريبة من السواحل، كما هو الحال في برقة والقيروان وطرابلس وسوسة وتونس[4] وغيرها من الأصقاع، وتسقط الثلوج على الجبال شتاء كما هو الحال في جبل لوراس وهو من سلسلة الجبال الجنوبية[5]، ويذكر أيضاً ان سكان مناطق الهضاب يشتغلون بالرعي[6] وهذه بلا ريب أشارة حتمية إلى سقوط الأمطار بكميات كافية لنمو الكلأ هناك.

---

(1) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص190.

(2) الرماك: مفردها رمكة وهي أنثى البراذين، ينظر: الجوهري، اسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، احمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت 1987م)، ج4، ص1588. (مادة رمك).

(3) ابن الفقيه، البلدان، ص84.

(4) ينظر الصفحات السابقة

(5) ابن رسته، الأعلاق النفسية، ص350.

(6) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص130.

الفصل الثاني

دوافع المجابهة بين العرب والبيزنطيين

الجهاد في سبيل الله تعالى

تحرير الأرض العربية

الرد على التحديات البيزنطية

الجهاد في سبيل الله تعالى:

ترجع البدايات الأولى للمجابهة الفعلية مع الروم البيزنطيين إلى وقت مبكر من عمر الدولة العربية الإسلامية، ففي السنة الثامنة للهجرة وقبيل فتح مكة[1] قرر الرسول ﷺ إرسال سرية بقيادة مولاه زيد بن حارثة إلى مؤتة[2]، تدفعه إلى ذلك عدة دوافع في مقدمتها تنفيذ الأمر الإلهي[3]: ((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[4])) و((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون[5])).

ولنشر الإسلام بين أبناء القبائل العربية هناك ولتصدي بعض عمال البيزنطيين على بلاد الشام لحملات المسلمين الداعية إلى الإسلام[6]، ولقتل نائب هرقل على مؤتة رسول النبي ﷺ الذي بعثه إليه[7]، وقد خاطب الرسول ﷺ جنده المسلمين خطاباً بيّن فيه الدوافع الحقيقية الموجبة لمجابهة الروم إذ قال: ((اغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون رجالاً في الصوامع معتزلين للناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف[8])).

---

[1] الواقدي، محمد بن عمر الواقدي (ت207 هـ)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات عن طبعة اكسفورد 1966م، بيروت، ج2، ص755.

[2] مؤته: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص220.

[3] ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن كثير (ت747هـ)، الاجتهاد في طلب الجهاد، حققه: د. عبد الله عبد الرحيم، ط2، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرباط 1981م)، ص81.

[4] سورة التوبة آية 123.

[5] سورة التوبة آية 29.

[6] الواقدي، المغازي، ج2، ص ص752 – 753.

[7] ابن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد سيد الناس (ت734هـ)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، عنيت بنشره مكتبة القدسي، (القاهرة 1356 هـ)، ج2، ص153.

[8] الواقدي، المغازي، ج2، ص758.

وقد جاءت أحداث الحرب مع الروم البيزنطيين في مؤته لتؤكد حقيقة الدوافع التي أعلنها الرسول ﷺ يوم استنفر جنده، فقد كانوا على قناعة تامة بان النصر من عند الله عز وجل لمن يخرج مجاهداً في سبيله وليس بكثرة عدد أو زيادة قوة وهو أمر تجلى في إجابة عبد الله بن رواحة[1] لزيد بن حارثة عندما استشاره الأخير في أمر الكتابة إلى النبي ﷺ بغية تعزيز قوتهم حيال جموع الروم، إذ ندبه قائلاً: ((إنّا لم نسر إلى هذه البلاد ونحن نريد الغنائم ولكننا خرجنا نريد لقاهم ولسنا نقاتلهم بعدد ولا عدة[2])) وفي رواية أخرى: ((والله ان الذي تكرهون للذي خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين.. انطلقوا فإنما هي أحدى الحسنيين إما الظهور وإما الشهادة[3]))، فصدقه المسلمون في قوله وانطلقوا للقتال[4]. وإن اندفاع قادة هذه السرية للشهادة في سبيل الله تعالى[5] مؤشرات إضافية تبين البواعث التي من اجلها خرجوا لقتال الروم، ويعبر أيضا عن الموقف العام للمسلمين آنذاك الراغب بالجهاد ملتزمين بوصايا رسول الله ﷺ وأوامره بوصفه القائد الأعلى لهم[6] وهي تمثل رداً على ما ذكره بعض المستشرقين[7] من أن الدين الجديد قد أشعل روح السلب أكثر من أن يهدئها ومحاولة تشويه الحقائق التاريخية.

---

[1] عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو ... الأنصاري كان لحد النقباء ليلة العقبة وشهد بدراً وما بعدها حتى استشهد يوم مؤته؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل احمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، (بيروت د. ت)، ج4، ص66.

[2] عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، دار المسيرة، (بيروت 1979 م)، ج1، ص99.

[3] الواقدي، المغازي، ج2، ص760 ؛ الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، (مصر 1965م)، ج3، ص ص37 – 38.

[4] الكلاعي، سليمان بن عبد الكلاعي (ت634 هـ)، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة السنة النبوية، (القاهرة 1970م)، ص277.

[5] الواقدي، المغازي، ج2، ص ص759 – 760.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص758.

[7] إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة: د. محمود سليم مراجعة محمد علي ابو درة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د. ت، ج3، ص ص74 – 75.

ثم جاءت غزوة تبوك سنة 9 هـ/ 630م هي الأخرى التي أعلنها الرسول ﷺ للمسلمين في زمان من عسرة الناس وشدّة من الحر وجدب وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام على ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على حال من الزمان الذي هم عليه[1]، لتحمل دلالات جهادية عظيمة، فاختيار هذا التوقيت خاصة يبيّن عزيمة الرسول ﷺ على معرفة مَنْ يثبت على مبادئ الإسلام ويفضل الجهاد ومن يتزعزع حباً للدنيا واستثقالاً لجبهة الروم، إلا أنّ الشواهد أثبتت أن مقاصدهم لم تكن الغنيمة وحب الدنيا كما يصور بعضهم ذلك[2] بل العكس تماماً.

فحال استنفار الرسول ﷺ القبائل وأهل مكة وحثّه إياهم على الجهاد وترغيبه لهم فيه[3]، سارعوا إلى تلبيته محتسبين[4] فتبرعوا بالمال كابي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) والطعام والدواب، وأسهمت النساء المسلمات بما قدرن عليه من المعونة[5]، وهكذا استطاع الرسول ﷺ ان يحشد ثلاثين ألف مجاهد معززين بعشرة آلاف فرس، وكانت هذه الغزوة إعلاناً للروم بان العرب المسلمين أصبحوا قوة لا يستهان بها، وان لهم القدرة على مقارعتهم في أي وقت وفي أي مكان على الحدود، إذ ان اختراق الصحاري العربية في وقت كهذا ما هو إلا دليل قاطع على عزيمة المسلمين على ردع عدوهم ومقارعته.

وبعد تولي أبي بكر ﷺ الخلافة (11-13 هـ/632 -634م) كان الجهاد في سبيل الله تعالى واحداً من الفروض المهمة التي أكدها في منهاج عمله اللاحق، وهو

---

[1] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت218هـ)، السيرة النبوية، حققها وضبطها: مصطفى السقا واخرون، دار إحياء التراث العربي، ط3، (بيروت 2000م)، ج4، ص169 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص101.

[2] ادوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية، ص ص74 – 75 ؛

Rodinson , Maxime , Muhammad , Penguin book , (England , 1976) , P. 274 .

[3] الواقدي، المغازي، ج3، ص ص990 – 991 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص171 – 172.

[4] الطبري، تاريخ، ج3، ص102 ؛ ابن حبان، محمد بن احمد بن حبان البستي (ت354هـ)، الثقاة، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (الهند 1975م)، ج2، ص92.

[5] الواقدي، المغازي، ج3، ص ص990 – 991.

أمر أوضحته خطبته الأولى في مسجد المدينة يوم بويع[1]، إذ جعل الجهاد أحد أسس تكوين الدولة الجديدة[2]، سائراً على نهج رسول الله ﷺ بذلك، وهي مسألة طالما أشار إليها بقوله: ((إنما أنا متبع ولست بمبتدع[3]))، ولذا أصرّ على مجابهة الروم وأحلافهم، فأنفذ بعث أسامة ابن زيد بن حارثة نحو الشام، على الرغم من ارتداد اغلب قبائل العرب[4]، مشيراً إلى أن الرسول ﷺ كان عازماً على فتح الشام قبل أن تعاجله المنية[5]، وتأكيده على ضرورة تنفيذ أسامة لما أمره به الرسول ﷺ[6].

في عام 13 هـ/ 634م استأنف الخليفة أبو بكر ﷺ الحرب مع الروم بعد القضاء على الردة نهائياً، من خلال مد الفتوحات صوب الشام، وقد بادر باستنفار العرب المسلمين في مكة والطائف واليمن ونجد إلى الجهاد ورغبهم فيه[7]، وقد بينت خطبته ﷺ بهذا الشأن دوافع ونوايا العرب المسلمين من وراء ذلك[8]، كما بينت الأحداث أيضا عزم العرب المسلمين على تحرير الشام من الوجود الرومي البيزنطي وإعلاء راية التوحيد، وان هذه الفكرة كانت تراود البعض منهم كعمر بن

---

(1) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص318 ؛ ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله (ت256 هـ)، الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة العاني، (بغداد 1972م)، ص579.

(2) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة العاني، (بغداد د. ت)، ص ص51 – 52.

(3) البلاذري، احمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت279 هـ)، أنساب الأشراف: الشيخان ابو بكر وعمر وولدهما، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، مؤسسة الشراع العربي، (الكويت 1989م)، ص128 ؛ الطبري، تاريخ، ج3، ص324.

(4) الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124 هـ)، المغازي النبوية، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر، (دمشق 1981م)، 174 ؛ الواقدي، المغازي، ج3، ص1121.

(5) الواقدي، محمد بن عمر الواقدي (ت207 هـ)، فتوح الشام، قدم له: عمر ابو النصر، ط1، المكتبة الأهلية، (بيروت 1969م)، ج1، ص7.

(6) الطبري، تاريخ، ج3، ص227.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص111.

(8) الازدي، محمد بن عبد الله الازدي (ت 168 هـ)، تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة 1970م)، ص1 ؛ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص127 – 128.

الخطاب ﷺ[1]، بل إن الخطة – وكما يبدو – كانت قد أُعدت في ذهن الخليفة أبي بكر ﷺ قبل هذا التاريخ، إذ قام بتقسيم الجيوش المتجهة إلى الشام على أربعة فرق متقدمة بأربعة محاور رئيسة وقسم الشام على أربعة أجناد لتسهل قيادتها إذا ما تم الفتح[2].

وحـال اجتمـاع من حضـر من المسلميـن إلى المدينة عزم الخليفة ابو بكر ﷺ على إرسالهم إلى الشام وأخذ باستنفارهم للجهاد في سبيل الله تعالى[3]، ورغبهم فيه وأمر بلالا الحبشي ﷺ أن يؤذن في الناس أن ((انفروا إلى جهاد عدوكم الروم بالشام[4]))، وقد أظهر المقاتلة المسلمون صدق الغايات الجهادية من وراء قتالهم الروم ومجابهتهم إياهم في عدة صور ومواقف[5]، وقد أكدت الأحداث الحربية أن الخلافة وعامة المسلمين كانوا على معرفة بحجم وقدرة الروم العسكرية في الشام جرّاء لقاءاتهم السابقة معهم في مؤتة وتبوك، ومن الاتصالات المستمرة بين الشام والحجاز، أثبتت ذلك استشارة الخليفة أبي بكر ﷺ للصحابة ومن حضر بضرورة توجيه كتب الاستنفار إلى عرب اليمن وبقية مناطق الحجاز الأخرى، لما رأى قلة القوة المتجهة مع خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام قياساً بحشود الروم[6]، فكتب إلى أهل اليمن كتاباً يحثهم فيه على الجهاد ومقارعة الروم المحتلين[7]، وكتب بالمضمون ذاته إلى أهل مكة والطائف وسائر مناطق الحجاز[8]

---

[1] الازدي، فتوح الشام، ص2 ؛ الواقدي، المغازي، ج3، ص19، (نص محاورة عمر بن الخطاب مع الرسول ﷺ عند وصول المسلمين تبوك).

[2] حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، ط1، دار الجيل، (بيروت 1987م)، ص162.

[3] الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت966 هـ)، تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، المطبعة الوهبية، (مصر 1132هـ)، ج2، ص222.

[4] الازدي، فتوح الشام، ص6 ؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص222.

[5] ينظر: موقف خالد بن سعيد بن العاص: الازدي، فتوح الشام، ص6.

[6] عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص ص129 – 130.

[7] الازدي، فتوح الشام، ص ص8–9 ؛ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص ص129 –130.

[8] احمد زيني دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، (القاهرة 1968م)، ج1، ص ص31–32.

الذين ابدوا استجابة عالية هم وأهل اليمن – من خلال نفيرهم زرافات ووحدانا معلنين عن رغبتهم في الجهاد وطرد الروم من أرض العرب، فقد أوضح ذلك رد فعل أهل اليمن واستجابتهم للصحابي أنس بن مالك (ت78هـ)ﷺ – بعد عودته من عندهم – الذي خاطب الخليفة الصديق ((يا خليفة رسول الله وحقك على الله ما قرأت كتابك على احد الاّ وبادر الى طاعة الله ورسوله وأجاب دعوتك وقد تجهزوا في العدد والعديد ... [1])).

انطلقت جموع المجاهدين نحو الشام مع أبي عبيدة عامر بن الجراح وسواه من قادة الجهاد مسترشدين بوصايا الخليفة الصدّيق ﷺ التي كانت تلازمهم[2]، سعياً لتنفيذ ما أمر الله تعالى به، الاّ أنهم اضطروا إلى اللجوء إلى القوة ومجابهة الروم في أكثر من موضع عندما رفضوا دعوتهم وجاهروها بالعداء، فقد حقق القائد عمرو بن العاص النصر عليهم في غزّة[3] بعد ان أعلن لهم عن الدافع الأساسي وراء مسير المسلمين صوب الشام بقوله: ((أمرنا صاحبنا (يقصد الرسول ﷺ) أن نقاتلكم إلا أن تدخلوا في ديننا فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا وتكونوا إخوتنا.. فان انتم أبيتم فتؤدوا لنا الجزية.. فان أبيتم فليس بيننا وبينكم الاّ المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أو نصب ما نريد منكم[4])).

فضلاً عن تصريح المقاتلة المسلمين بالدوافع التي حدت بهم إلى مقارعة البيزنطيين فان حالة الاستنفار الطوعي لديهم لمجابهة البيزنطيين أكدت أن السعي للجهاد نشراً للدين وذوداً عنه هو الوازع الأكبر وراء نفير هذه الجحافل المتواترة.

---

[1] الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص7.

[2] ينظر: الازدي، فتوح الشام، ص ص18، 20، 27، 34، 41.

[3] غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل من نواحي فلسطين غربي عسقلان. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص388.

[4] ابن بطريق، افتيشوس سعيد بن بطريف، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الأباء اليسوعيين، (بيروت 1910م)، ج2، ص10.

فأهل مكة كان لهم دور متميز في ذلك عبر عنه الصحابة الكرام أمثال أبي سفيان صخربن حرب الذي شهدت له أيام وقعة اليرموك 15 هـ/ 636م بذلك، إذ كان يقاتل ويحرض المسلمين على القتال قائلاً: ((الله الله انصروا دين الله ينصركم[1])) وفي رواية أخرى انه قال: ((الله الله إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام وهم ذادة الروم وأنصار الشرك اللهم هذا يوم من أيامك، اللهم انزل نصرك على عبادك[2]))، وانبرى القائد خالد بن الوليد ﷺ محرضاً جنده على الجهاد وصدق النية عند اللقاء[3] في معركة اليرموك ايضاً، بعد ان دعا وزير ملك الروم[4] واعلمه نوايا العرب المسلمين قائلاً: ((وأمرنا – يقصد الله عز وجل – ان نقاتل من زعم انه ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة، حتى يقولوا لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله... وان أبيتم ذلك فأدوا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون فان أبيتم ذلك قاتلناكم على بصيرة ويقين[5])) ولما حاول الروم ترغيب العرب المسلمين بالمغانم وترهيبهم بالقوة وجدوهم عازمين على إنفاذ ما أمر الله تعالى به، ولما لم يستجيبوا حمل المسلمون عليهم ((حملة لا يريدون بها غير وجه الله عز وجل[6])) محققين النصر عليهم في اليرموك عام 15 هـ/ 636م التي كان لها أبعد الأثر في تحرير سائر ارض الشام وتغيير مجرى الأحداث لصالح المسلمين.

---

[5] الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي (ت748هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، مكتبة القدسي، (القاهرة 1367 هـ)، ج2، ص97.

[1] المقدسي، أبو قدامة عبد الله بن محمد المقدسي (ت)، التبيين في أنساب القريشيين، حققه: محمد نايف الدليمي، ط1، منشورات المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1982م)، ص174.

[2] الطبري، تاريخ، ج3، ص395.

[3] الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص173، الازدي، فتوح الشام، ص ص205 – 206.

[4] ابن أعثم الكوفي، أبو محمد احمد بن أعثم الكوفي (ت314هـ)، الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند 1968 – 1975م)، ج1، ص 245. ينظر أيضا: الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص173، الازدي، فتوح الشام، ص ص205 –206.

[5] ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص246.

وفي العصر الأموي لم تكد الأوضاع تستتب بعد تولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة في عام الجماعة 41هـ/661م، حتى استأنف الجهاد ضد الروم البيزنطيين ومن سواهم من أمم الشرك الأخرى، فعُدَ الجهاد من أسبقيات عمل الخلافة جرياً على سياسة الخلفاء الراشدين فكانت ((سوق الجهاد قائمة في بني أمية ليس لهم شغل إلا ذلك قد علت كلمة الإسلام مشارق الأرض ومغاربها وبرها وبحرها[1])).

كان الجهاد في سبيل الله تعالى نشراً للإسلام وذوداً عنه دافع العرب المسلمين الأساس وراء مواصلتهم الحرب مع الروم البيزنطيين في هذا العصر، ولا يمكن فصله عن عامل التحدي الذي ما فتئ الروم يظهرونه للإسلام والمسلمين كلما سنحت الفرصة لهم، بسبب ما عصف بالعرب المسلمين من فتن داخلية شغلتهم عن مجابهتهم بين الحين والآخر.

ولا شك في أن الرغبة والعزيمة على الجهاد هي التي جعلت المقاتلة المسلمين يندفعون بكل حماس وجرأة لقتال الروم في عقر دارهم، كما يبدو ذلك من المواقف الجهادية الكثيرة لأولئك المقاتلة، كموقف عبد الله[2] بن محيريز الجمحي الفلسطيني الذي روي انه كان في بعث الصائفة يوماً ما في هذا العصر، فمرض مرضاً شديداً، فأمر ابنه عبد الرحمن الذي رافقه مجاهداً ان يحمله ويسير به قدر ما يتمكن باتجاه أرض الروم قال عبد الرحمن: ((فحملته فلم أزل أسير به وهو يقول: يا بني أسرع في السير، قلت: يا أبت انك شاكٍ، قال: يا بني إني أحب ان يكون أجلي بأرض الروم، فما زلت أسير به حتى هلك بأرض حمص[3]))، وكان هذا

---

(1) ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن كثير (ت774هـ)، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، (بيروت 1986م)، ج9، ص87.

(2) عبد الله بن محيريز الجمحي الفلسطيني: نزل الشام وسكن بيت المقدس، تابعي ثقة من خيار المسلمين قيل انه مات في خلافة عمر بن عبد العزيز وقيل في خلافة الوليد بن عبد الملك. ينظر: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852 هـ)، تهذيب التهذيب، طبعه محققه ومصححه، ط3، دار أحياء التراث العربي، (بيروت 1993م)، ج3، ص ص264 – 265.

(3) ابن عساكر، الإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت571هـ)، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، (بيروت 1995م)، ج35، ص60.

الموقف الجهادي مشابهاً لموقف كعب الأحبار – (كعب بن ماتع بن هيسوع) – الذي أصر على الخروج إلى أرض الروم جهاداً في سبيل الله تعالى على الرغم من مرضه مؤثراً أن يموت في أدنى أرض العرب من أرض الروم[1].

وتتجلى الدوافع الجهادية بأبهى صورها في عزم الصحابي الجليل جابر بن عبد الله[2] (ت 78هـ) على السير ماشياً على قدميه ومترجلاً عن ركوبته لما خرج مجاهداً في إحدى الصوائف معللاً فعله الجهادى هذا لقائد الصائفة مالك بن عبد الله الخثعمي بالقول: ((سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار فهما حرام على النار)) فنزل ماشياً في سبيل الله أيضاً ونزل الناس، فما رئي أكثر ماشياً منه ذلك اليوم[3].

أضف إلى ذلك فأن القيام بأعباء الجهاد – بلا ريب – هو الذي جعل المقاتلة العرب المسلمين أكثر إصرارا على حصار القسطنطينية وفتحها سنة 49هـ/ 669م وما بعدها، كما يظهر ذلك الموقف الجهادي العظيم الذي أبداه سفيان بن عوف الغامدي حينما حمل بجنده على الروم المدافعين عن أحد أبواب القسطنطينية ويدعى باب الذهب حتى أفزعهم، مما دفعهم إلى الاستفسار عما دعى العرب لحصارهم، فاجاب الجند العرب بالقول: ((جئنا لنخرب مدينة الكفر ويخربها الله

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج12، ص241، ج50، ص174.

[2] جابر بن عبد الله بن عمرو و ... بن سلمة الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن احد المكثرين عن النبي ﷺ له ولأبيه صحبه وكان مع من شهد العقبة. ينظر: ابن الأثير، عز الدين بن الأثير الحسن بن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة جديدة اعتنى بتصحيحها الشيخ: عادل احمد الرفاعي، ط1، دار إحياء التراث العربي، (لبنان 1996م)، ج1، ص ص 377- 378.

[3] أبو يعلى، احمد بن علي بن المثنى ابو يعلى (ت307 هـ)، مسند ابو يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، (دمشق 1984م)، ج2، ص242 ؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن لحمد التميمي ألبستي (ت354هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارنؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1993م)، ج10، ص464، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج18، ص117، ج67، ص237، ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن العديم (ت660هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت د. ت)، ج10، ص4627.

على أيدينا[1]))، فضلاً عن ذلك فان صمود المقاتلة العرب سنة 54هـ/673م وما بعدها وإصرارهم على فتح العاصمة البيزنطية أمام كل الظروف العصيبة التي ألَمّت بهم هناك ولمدة تقرب من ست سنوات أو تزيد، من مقاومة بيزنطية شديدة وحصانة ومنعة المدينة التي كانت صعبة الاختراق والظروف المناخية والتضاريسية القاسية، والابتعاد عن الأهل والمال والوطن، حتى اضطروا في النهاية إزاء كل هذا إلى رفع الحصار سنة 60هـ/679م بعد ان بذلوا صبراً وتضحيات كبيرة وعقدوا الهدنة مع الروم بعد ان ضيقوا الخناق عليهم[2]، كلها مؤشرات على ان الوازع والدافع الأساسي وراء ذلك هو الجهاد في سبيل الله تعالى ودحر العدو، ومما يدل على تشبع نفوس المسلمين بروح الجهاد هو إصرار الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري الذي شرفه الله تعالى بالشهادة هناك على ان يدفن عند أسوار العاصمة البيزنطية[3].

فضلاً عن المواقف الجهادية البطولية للعرب المسلمين فان خطب الاستنفار التي وجهها الخلفاء الأمويون وقادتهم الميدانيون لجندهم حاثين إياهم على قتال الروم وردعهم، يمكن أن نلمس فيها البواعث الجهادية وراء مجابهة الروم، فقد ندب الخليفة عبد الملك بن مروان (65 –86هـ/684 –705م) المسلمين لما عزم على إرسالهم مع ابنه مسلمة لقتال الروم في أحدى الحملات قائلاً: ((أيها الناس إن العدو قد كلب عليكم وقد طمع فيكم وهنتم عليه لترككم الغزو، واستخفافكم بحق الله، وتشاغلكم عن الجهاد في سبيل الله وقد علمتم ما وعد ربكم في الجهاد لعدوه ...[4])) وروي أن العباس بن الخليفة الوليد بن عبد الملك لما تأخر النصر على الروم أثناء حصار العرب لمدينة الطوانة الرومية سنة 88هـ/706م ولما رأى ثبات الروم

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص ص350 –351، ينظر ص432 من الجزء ذاته.

(2) قدامة بن جعفر، الخراج، ص351.

(3) ابن ابي شيبة، ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت235هـ)، مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشد، (الرياض 1409 هـ)، ج5، ص247، ص من هذا الكتاب.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص167 – 168 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص1922–1923.

وشدة مقاومتهم قال: ((يا ابن محيريز أين الذين كانوا يلتمسون الشهادة؟ نادهم يأتوك قال: يا أهل القرآن يا أهل القرآن فأتوه سراعاً فاقتتلوا قتالاً شديداً وهزم الله)) قائد الروم ومن تحت قيادته منهم[1].

وذكر المدائني في الشأن ذاته أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-719م) وجه جيشاً من قبله إلى ارض الروم مجاهدين فمشى معهم وودعهم واوصاهم بقوله ((اتقوا الله وقاتلوا أعداءه ابتغاء ثواب الآخرة فان الأجر للصابرين ((في البأساء والضّراء وحين البأس[2])))), وعلى الجبهة الغربية من ميدان الحرب مع الروم كان الجهاد الدافع الأسمى وراء مجابهة الروم وحلفائهم هناك كما هو الحال في بقية الجبهات الأخرى، فقد ذكر ابن عذاري (ت695هـ) عن زهير بن قيس البلوي انه بعد ان الحق الهزيمة بكسيلة بن لمزم زعيم قبيلة أوربة البربرية حليف الروم، وطارد البربر والروم حتى وادي ملوية بالمغرب لم تغره أفريقية بأملاكها العظيمة، فأبى ان يقيم فيها وقال: ((إني ما قدمت الاّ للجهاد وأخاف ان تميل بي الدنيا فأهلك[3])) وذكر المالكي ان القائد عقبة بن نافع الفهري لما عزم على تحرير تاهرت[4] حرّض جنده قائلاً: ((وانتم في دار غربة وإنما بايعتم رب العالمين وقد نظر إليكم في مكانكم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد الاّ طلباً لمرضاته وإعزاز دينه[5])) ولما بلغ في جهاده ساحل البحر المحيط قال: ((اللهم أشهد إني قد

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص ص445 – 446.

(2) البلاذري، احمد بن يحي بن جابر البلاذري (ت279هـ)، كتاب جمل من كتاب أنساب الإشراف، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت 1996 م)، ج8، ص156.

(3) ابن عذاري، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت695هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وبروفنال، دار الثقافة، (بيروت د. ت)، ج1، ص32.

(4) تاهرت: اسم مدينتين بأقصى المغرب العربي يقال لاحدهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت الجديدة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص426.

(5) المالكي، ابو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي (ت453هـ)، رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وأوصافهم، قام على نشره: حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة، (القاهرة د. ت)، ج1، ص ص23-24 ؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، تحقيق وتقديم، المنجعي الكعبي، (تونس 1968م)، ص ص43-44.

بلغت المجهود ولولا هذا لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك[1]))، وعندما فرغ حسان بن النعمان الغساني غنائم أفريقية من ذهب وفضة وجوهر بين يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ /705-714م) استعظمها الخليفة الوليد وقال له: ((جزاك الله خيراً يا حسان)) فأجابه قائلاً: ((يا أمير المؤمنين انما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله والخليفة[2]))، ومما يؤكد الأبعاد الجهادية للمجابهة الإسلامية مع الروم على مختلف الجبهات أيضاً أمر القائد موسى بن نصير جماعة العرب المسلمين وكان قد تركهم مع مولاه طارق بن زياد ان يعلموا البربر القرآن ويفقهوهم في الدين[3] هذه الشواهد التاريخية تؤكد بما لا يقبل الشك ان الدافع الأسمى والهدف الرئيس وراء مجابهة المسلمين للروم البيزنطيين هو نشر الإسلام بين الأمم والشعوب الرازحة تحت هيمنتهم واقامة أحكامه وشعائره بين الناس بكل حرية، وإنصافهم من الظلم والعبودية.

تحرير الأرض العربية:

قبل تفصيل البحث في هذا الدافع بوصفه واحداً من دوافع الحرب مع البيزنطيين في صدر الإسلام، لابد من التذكير بحقيقة مهمة وجوهرية، ألا وهي عروبة كل من الشام والجزيرة الفراتية ومصر على مرّ العصور، تلك الأقاليم التي رزحت قبائلها العربية تحت نير الهيمنة الأجنبية ردحاً من الزمن وشهدت البدايات الأولى للمجابهة مع الروم البيزنطيين فلم تكن تلك الأقاليم يوماً ما بمعزل عن شبه الجزيرة العربية[4] بل ارتبطت بها منذ عصور قديمة بصلات اقتصادية وروابط اجتماعية، ذلك أن عرب شبه الجزيرة كانوا يعدون تلك الأقاليم امتداداً طبيعياً

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص199 ؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص25.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص39.

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص70 ؛ حسين مؤنس، رواية جديد عن فتح المسلمين للأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الثامن عشر، (مدريد 1974 –1975م)، ص ص100–101.

(4) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت 1976م)، ج1، ص143.

لأرضهم، لاسيما إذا ما علمنا ان هذه الأقاليم لا يفصلها عن شبه الجزيرة فاصل أو مانع طبيعي يحول دون الاتصال فيما بينها[1].

لذلك كله فقد انطلقت الهجرات العربية الأولى من شبه الجزيرة العربية بصورة دورية – كما أشارت إلى ذلك المصادر – إذ كان بعضها موسمية كهجرات الرعاة الذين يتنقلون بحثاً عن الكلأ والماء، فيدخلون العراق وسوريا وبقية الهلال الخصيب، ثم يقفلون عائدين بانتهاء الربيع، أو يستقر بعض منهم هناك[2]، وفي أحيان أخرى تجري هجرات واسعة نحو تلك الأراضي كهجرة الكنعانيين والفينيقيين إلى الشام بحدود عام(2200ق. م)[3].

فقد كان الكنعانيون من اقدم من نزل الشام وفلسطين من العرب[4]، والى جانبهم نزلت جماعات أخرى من العرب كالعموريين والمؤابيين وغيرهم[5].

واللافت للنظر أن المصادر التاريخية اختلفت اختلافاً بيناً في تحديد تاريخ الوجود العربي في تلك الربوع بصورة دقيقة، وهذا الاختلاف ربما يعود إلى عدم توفر المصادر المدونة عن الهجرات العربية أو إلى تداخل هذه الهجرات فيما بينها، فمن المصادر ما أرجعه إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، اعتماداً على ما يرويه

---

[1] البكري، أبو عبيد عبد الله عبد الكريم البكري (ت487هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1945م)، ج1، ص ص6 وما بعدها ؛ احمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، وزارة الإعلام، (بغداد1979م)، ص127.

[2] الاصطخري، ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (ت341هـ)، الأقاليم، مكتبة المثنى، (بغداد د. ت)، ص16؛ رينيه ديسو، العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي مراجعة: مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، (د. ت)، ص ص3 –6.

[3] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مطبعة الحوادث، (بغداد 1973م)، ج1، ص390 ؛ يوسف رزق الله غنيمة، الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، (بغداد 1936م)، ص6.

[4] ابن سعد، محمد بن سعد (ت230هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت 1975م)، ج1، ص 45، الطبري، تاريخ، ج1، ص203، مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية وسلائلها في بلاد فلسطين، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986م، ص25.

[5] مصطفى مراد الدباغ، القبائل العربية، ص ص32 –34.

الاخباريون العرب من نزول عاد بأرض الشام[1]، وارجع بعضهم الآخر أقدم تلك الهجرات إلى ثلاثة الآف سنة قبل الميلاد، ثم تتابعت الهجرات العربية إلى بلاد الشام بعد ذلك[2].

وقد انتشر المهاجرون الآراميون في سوريا وفلسطين وشمالي العراق، والعبرانيون في فلسطين بحدود عام (1500ق. م)[3]، ونقل سرجون الآ شوري في القرن الثامن قبل الميلاد جماعات من قبائل ثمود ومدين من البادية المتاخمة لفلسطين إلى نابلس وغزة[4] وأشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن أقدم استعمال لمصطلح (عرب) بشكل صريح في المصادر المسمارية يرجع إلى عهد (جندب) العربي من اقليم (عريبي) في شمال جزيرة العرب بين سوريا وبلاد الرافدين – الذي قاد بدوره ألفاً من راكبي الجمال في معركة القرقار ضمن الحلف الآرامي ضد الملك الآشوري شلمنصر الثالث، سنة 853ق. م[5]، وهذا يعني أن القبائل العربية هناك آنذاك لم تعد مجرد قبائل متفرقة في المنطقة، بل صار لها تجمعات منظمة لها وزنها السياسي والعسكري.

ويتعزز ذكر العرب أكثر في القرن السادس قبل الميلاد الذي شهد نزوح الأنباط من شبه الجزيرة العربية إلى أعالي الحجاز[6] ((وهم عرب من بقايا العمالقة قوم من عاد وهم القوم الجبارون بالشام[7]))، ودامت مملكتهم لمدة طويلة حتى

---

(1) محمد احمد باشميل، العرب في بلاد الشام قبل الإسلام، دار الفكر، (بيروت1973م)، ص ص20 –21 ؛ جواد علي، المفصل، ج1، ص ص299، 306.

(2) طه باقر، مقدمة، ج2، ص ص232–280، (ط2 بغداد 1956م).

(3) المرجع نفسه، ج2، ص ص268–269، 281.

(4) محمد كرد علي، خطط الشام، المطبعة الحديثة، (دمشق 1925م)، ج1، ص59.

(5) Posner , Nadine. F , The Muslim Conquest of Northern Mesopotamia Auinrodutory , Eassag into Its Historical Background and Historiography , University Microfilms International Michigan 1989 , P. 94.

(6) جواد علي، المفصل، ج3، ص15؛ أ. آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي ابو علية، دار قتيبة للطباعة والنشر، (سورية 1985)، ص18.

(7) محمد كرد علي، خطط الشام، ط2، (بيروت 1969م)، ج1، ص21.

قضي عليها مطلع القرن الثاني الميلادي، وكانت تضم في أقصى اتساع لها جنوب فلسطين وشرق الأردن والجنوب الشرقي من سورية وشمالي شبه جزيرة العرب[1].

وخلفت مملكة تدمر العربية في القرن الثالث الميلادي مملكة الأنباط بالشام وقد وسع أُذينة بن حيران مملكة تدمر لتشمل حمص، ويصل سلطانه معظم المدن الشامية وصارت مملكته بحدود هذا التاريخ ((أعظم قوة في الشرق الأدنى[2]))، وعند اعتلاء زنوبيا العرش عام 276م شملت حدود المملكة إنطاكية واجزاء من آسيا الصغرى[3]، وقد أبقت هاتان المملكتان – فيما بعد – من أصولهما وحاميتيهما جنداً كثيراً أصبحوا فيما بعد من جملة سكان الشام[4].

وازداد الوجود العربي في فلسطين غزارة إبان الاحتلال الروماني، ولا سيما في القرون الثلاثة الأخيرة التي سبقت تحريرها[5]، يستدل على ذلك من تسمية الكتاب اليونان والرومان لبلاد الأنباط في جنوب فلسطين ((العربية الحجرية[6]))، فضلاً عن النصوص العربية المنقوشة المكتشفة هناك، التي أكدت أيضا عروبة الأنباط الذين سكنوا المنطقة واتخذوا من مدينة سلع عاصمة لهم، وهيمنوا على الطرق التجارية بين مصر والشام والجزيرة العربية وامتد نفوذهم شرقاً إلى الأردن منذ القرن الرابع قبل الميلاد[7].

---

(1) جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق: د. حسين مؤنس، دار الهلال، د. ت، ص ص89–90؛ حسين عطوان، الجغرافية التاريخية، ص77.

(2) آشتور، التاريخ، ص18.

(3) جلانفيل داوني، إنطاكية القديمة، ترجمة: ابراهيم نصحي، دار النهضة، (مصر 1967م)، ص ص146 –147.

(4) محمد كرد علي، خطط الشام، ج1، ص21 ؛ منذر عبد الكريم البكر، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، (جامعة البصرة 1993م)، ص393.

(5) عبد العزيز الدوري، العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من القرن السابع الميلادي إلى القرن السابع عشر، الجامعة الأردنية، ط1، الدار المتحدة، (بيروت 1974م)، ص75.

(6) جواد علي، المفصل، ج1، ص166؛ رينيه ديسو، العرب، ص15.

(7) نينافكتوريا بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وايران من القرن الرابع إلى القرن السابع الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان، (الكويت 1985م)، ص ص67–68، سامي سعيد الاحمد، نظرة في تاريخ فلسطين خلال الاحتلال البيزنطي(324–635م)، مجلة سومر، مج 38، لسنة1981م، ج1، ص ص134–136.

لم ينقطع تدفق العرب وذكرهم حتى في أيام الاحتلال الروماني للشام وما بعد ذلك إلى وقت قريب من تحرير المسلمين هذا الإقليم الحيوي، فقد نزلته العديد من القبائل وعلى فترات متفاوتة تحت ظروف مختلفة، وكذا الحال بالنسبة لإقليم الجزيرة الفراتية ومصر[1].

ان عرضاً تاريخياً موجزاً للعلاقات السياسية بين العرب الشاميين والمحتلين الأجانب يظهر بجلاء الروح العربية الراغبة في التحرر واستثمار خيرات الأرض العربية، كلما سنحت الفرصة بذلك، فقد اتسمت العلاقات بين العرب النبطيين والرومان الذين دخلوا سوريه عام 63 ق. م بالعداء المتواصل والحرب السجال، إذ قام سكاروس (Scaurus) أول حاكم روماني لولاية سورية بحملة ضد الأنباط أجبر فيها الحارث الثالث ملكهم على دفع غرامة مالية عام 58 ق. م، ولكن ذلك لم يوقف المقاومة النبطية للاحتلال الروماني، إذ ذكر أحد المؤرخين الرومان أن خليفتي سكاروس هذا وهما مارسيوس فلبوس ولنتوس مارسيلينوس قد أمضيا وقتهما في مقاومة العرب الذين سببوا لهما المشكلات، وفي هذا الاتجاه أيضاً أوردت النقوش الصفوية إشارات إلى ثورات القبائل العربية ضد الرومان كثورة قبيلتي عويذ وقمر، وإن الإجراءات العسكرية الإدارية المتمثلة بإقامة الحصون الدفاعية وتوزيع الحاميات من المشاة والفرسان في المناطق الاستراتيجية كالقرى الزراعية وطرق القوافل التجارية والمدن المهمة كبصرى عاصمة الولاية العربية في حدود القرنين الثاني والثالث للميلاد في جانب مهم منها مؤشرات على المقاومة العربية للمحتل الروماني[2].

---

(1) ينظر الجدول المرفق ص 76 من هذا الكتاب.

(2) يونس محمد عبد الله الشديفات، الاستيطان في شمال شرق الأردن في الفترة الرومانية 63 ق. م – 324م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد 1997م، ص ص29–36 ؛ جونز، أ. هـ. م، مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: د. إحسان عباس، ط1، دار الشروق، (عمان 1987م)، ص ص57 – 59، 66 – 67، 75 – 76.

فطالما عبر ملوك العرب ورعاياهم كثيراً عن رفضهم الهيمنة الرومانية وهو ما تم على يد أُذينة الثاني في أواسط القرن الثالث الميلادي، الذي قاتل الرومان والساسانيين وحرر الأرض العربية من سطوتهم، وامتد نفوذ دولته إلى مصر والعراق وآسيا الصغرى إضافة إلى الشام على يد زوجته زنوبيا فيما بعد[1]، التي كانت وصية على ولدها القاصر ((وهب اللات)).

وبقضاء الرومان – في مطلع احتلالهم الشام – على دولتي الأنباط وتدمر العربيتين والحيلولة دون السماح لهم بإقامة كيان عربي سياسي واحد لما يشكله من خطر يهدد أمن ومصالح إمبراطوريتهم في المنطقة[2]، فقد رسموا للبيزنطيين الخطوط التي ساروا عليها في تعاملهم مع العرب، فلم يسمحوا لهم بإقامة دولة أو حتى تحالف بين القبائل، وسعوا إلى صهر تلك القبائل في بوتقة المجتمع البيزنطي عن طريق إدخالها في النصرانية وتسخيرها لحراسة حدودهم[3]، وعملوا على تأجيج الخلافات السياسية على الزعامة المحلية في البلاد بين القبائل العربية، إذ ربطت بيزنطة كلاً من الضجاعم وكندة والغساسنة بمعاهدات معها بعد أن دخلوا النصرانية ومنحت رؤساءهم ألقاباً سياسية وعسكرية رفيعة واغدقت عليهم الأموال[4]، وأذكت التنافس بينهم على الزعامة والمال وكلما شعرت بوجود نزعة لدى أحدى هذه القبائل لتوحيد العرب تحت رايتها أقصتها واستبدلتها بأخرى، فتتنافر القبائل فيما بينها وتنشغل عن التفكير في تحقيق الوحدة والسيادة، فقد عينت الضجاعم من سليح[5] زعماء للقبائل العربية في فلسطين من عهد الإمبراطور فالنز

---

(1) ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ط2، مطبعة التضامن، (بغداد 1969م)، ص ص92 –93.

(2) Vasilie , Alexander , History of the Byzantine Empire 324 – 1453 , (University of Winston Press 1964) , P. 200.

(3) بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ص60 –61.

(4) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج1، ص ص57 –59 ؛ بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ص 72، 32، 232، 273.

(5) أشار ابن عساكر في معرض حديثه عن سيرة حياة الشاعر نجبة بن الأسود الغساني إلى ان وقعة كبيرة كانت بين غسان من جهة الروم وسليح ومن انحاز إليهم من جهة أخرى بين بصرى والمجفف من ارض الشام، —

وحتى أواخر القرن الخامس الميلادي[1]، وعندما شعرت بقوة نفوذهم عملت على إضعافهم، فقربت كندة وغسان وعينتهم زعماء على بعض القبائل، فأنشبت الصراع بين القبائل الثلاثة على زعامة العرب بالشام، واسفر ذلك عن حلول كندة وغسان محل الضجاعم، واستخدمت السياسة ذاتها مع كندة وغسان، إذ أدى التنافس على الزعامة بينهما الى نشوب القتال وبشكل متقطع قرابة نصف قرن (502 –544)[2]، مالت خلاله الكفة لصالح الغساسنة فعملت بيزنطة على إبقاء الصراع متأججاً لإضعافهما والحيلولة دون وحدة العرب.

وقد استدعى الإمبراطور جستنيان قيس بن الحارث الكندي سنة 530م من البادية وعينه زعيماً على قسم من عرب فلسطين الأولى والثالثة، وتولى الغساسنة زعامة القسم الآخر في الولايتين المذكورتين في المدة ما بين (530 – 543م) فتجدد الصراع بين القبيلتين وأسفر عن انتصار الغساسنة بزعامة الحارث بن جبلة على كندة وطردها من ولايات فلسطين الثلاثة سنة 544م[3].

أسهم نجاح الغساسنة في توحيد عرب الشام تحت إمرتهم في توسيع وتعميق الخلاف السياسي والديني مع بيزنطة، إذ لم ترتاح الأخيرة لطموحهم السياسي، ولاسيما أنها تختلف معهم مذهبياً، فهي نسطورية والغساسنة يعاقبة من اتباع مذهب الطبيعة الواحدة[4]، وهذا يقرب في مضمونه من ديانات التوحيد التي ظهرت في

== فقتل فيها جذع بن سنان الغساني سنيط بن عوف الضجعمي السليحي الذي كان عاملاً للروم وقد جاء إلى غسان يستوفي منهم الإتاوة السنوية فخلد الشاعر الغساني تلك الوقعة بأبيات من الشعر. ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص462. ينظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1999م)، ج1، ص177.

(1) ثيودور نولدكه، أمراء غسان، نقله إلى العربية: بندلي جوزي وقسطنطين زريف، المطبعة الكاثوليكية 1933م، ص6 ؛ بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ص217، 721.

(2) بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ص72، 160، 168–169، 172–173 177 –178.

(3) المرجع نفسه، ص206، 232. ينظر أيضا: جواد علي، المفصل، ج3، ص ص383 –384.

(4) J. Spencer Trimingham , Christianity Among the Arab in Pre – Islamic Times , Longman London and New York, PP. 178 –188 .

ارض العرب قبل ذلك وبعده، وعبر عن شعور الغساسنة القومي، فقد صار مظهراً فكرياً لثورة نصارى العرب هناك، تلك الثورة التي تهدف إلى التخلص من الهيمنة البيزنطية، وقد أشار ابن العبري إلى ان سبب الخلاف بين عرب الشام والإمبراطور جستنيان هو ((اضطهاده للآباء القائلين بالطبيعة الواحدة، لان نصارى العرب يومئذ إنما كانوا يعتقدون اعتقاد اليعقوبية لا غير[1])) إذ ان العرب اليعاقبة أيدوا القومية العربية ودافعوا عنها وسعوا إلى الاستقلال المحلي والحرية وقد نجحوا في تأسيس كنيسة قومية – اذا صح التعبير – لهم في بصرى جمعت نصارى العرب في الشام حولها[2]، معبرين بذلك عن سخطهم جراء سياسة الروم التعسفية ضدهم[3]، ومما يؤكد الأبعاد القومية التحررية لهذه المسألة هو تآمر البيزنطيين وعزمهم على القضاء على كيان الغساسنة بصور شتى، منها قطع الأرزاق السنوية التي كانت تدفعها لجنودهم ابتداءً من عام 574م، فثاروا عليها وبدأوا بالإغارة على الأراضي الزراعية، وعزموا على قتل المنذر بن الحارث بن جبلة بحدود عام 580م الذي اعتقل وفرضت عليه الإقامة الجبرية في القسطنطينية[4]، لتبنيه هذا المذهب بعد أبيه، وثورته على البيزنطيين لمدة ثلاث سنين أعقبتها الفوضى في تلك النواحي بعد ثورة أولاده من بعده على سلطة الروم[5]، الذين عكسوا عمق ارتباطهم القومي ببوادي العرب الجنوبية من خلال الالتجاء إليها خشية مخاطر الروم ولاكثر من مرة في صراعهم معهم[6].

---

(1) ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج الملطي، تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسه: الأب انطوان صالحاني، دار الرائد، (لبنان 1983م)، ص ص148.

(2) منذر البكر، دراسات، ص414 --415.

(3) برنارد لويس، العرب في التاريخ، دار العلم للملايين، (بيروت د. ت)، ص66.

(4) ثيودور نولدكه، أمراء غسان، ص31، بيغولفسكيا، العرب على حدود بيزنطة، ص ص 244 – 245، 250.

(5) منذر البكر، دراسات، ص418. أشار ابن عساكر إلى ان حالة العداء بين غسان والروم كانت قائمة منذ ان توجهت غسان إلى الشام وقد كانت لهم معهم عدة وقعات منها وقعة كبيرة بأرض يقال لها بالعة خلدها الشعراء الغسانيون بأشعارهم. ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ج68، ص100.

(6) ناجي معروف، أصالة الحضارة العربية، ص ص 96 – 97.

باعتقال البيزنطيين النعمان بن المنذر بن الحارث سنة 583م قضى فعلياً على كيان الغساسنة، وانقسمت القبائل التابعة لهم على خمسة عشر فرقة لكل منها رئيسها ولحق القسم الأكبر منها بالفرس، وترك قسم آخر العمل في الجيش البيزنطي وعمل في الزراعة، واستقر في المدن والقرى وبقي القسم الثالث برعاية جبلة بن الايهم[1] والحارث بن أبي شمر الغساني عامل بصرى[2]، في خدمة الروم البيزنطيين حتى الفتح الإسلامي.

لاريب ان الرغبة في تحرير الأرض العربية كان دافعاً مهماً من دوافع المجابهة مع الروم البيزنطيين أثناء الفتوحات الإسلامية، فقد حققت الأمة العربية اعظم أنتصار لها بجمع كلمتها بفضل الإسلام وهو أمر كان رسول الله ﷺ قد نبه إليه منذ وقت مبكر من عمر الدعوة[3]، وادراكاً من الخلافة الراشدة لحالة التوثب القومي التي عمّت أرض العرب الخاضعة للهيمنة الأجنبية، سعت إلى الإفادة من كل تلك الأمور خدمة لنشر الإسلام اولاً وتحقيقاً لنبوءة رسول الله ﷺ في تحرر العرب وجمع كلمتهم اذا ما أنضووا تحت راية الإسلام ثانياً، ويمكن ان نلمس ذلك في وصية الخليفة أبي بكر ﷺ لخالد بن الوليد حين وجهه من اليمامة إلى العراق عام 12هـ/633م[4] وفي أول خطبة للخليفة أبى بكر ﷺ لما عزم على إرسال الجند المسلمين لتحرير الشام[5]، فضلاً عن ذلك كان المقاتلة المسلمون – على ما يبدو – على قناعة تامة بأن تلك الأراضي هي أراض عربية خالصة ويشهد على

---

(1) ثيودور نولدكه، أمراء غسان، ص ص33-34.

(2) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص625.

(3) ينظر: حديث رسول الله ﷺ مع رجالات قريش بحضرة عمه أبي طالب: الطبري، تاريخ، ج2، ص 325 ؛ ابن كثير أبو الفدا إسماعيل بن كثير (ت774هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، ط3، دار الرائد العربي، (بيروت 1987م)، ج2 ص ص 123-124.

(4) الازدي، فتوح الشام، ص56.

(5) ((.. فالعرب اليوم أمة واحدة وبنو أب وأم وقد أردت أن استنفركم إلى الروم بالشام، فمن هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار...)) الازدي، فتوح الشام، ص2؛ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص132.

ذلك نص كتاب خالد بن الوليد الموجه إلى جند المسلمين في الشام لمّا عزم على المضي من عين التمر[1] إليهم وكان مطلعه: ((من خالد بن الوليد إلى من بأرض العرب من المؤمنين والمسلمين.. [2])) فضلاً عن إيمانهم بوجوب تحرير هذه الأراضي المغتصبة بأكملها، كما أوضح ذلك رفض معاذ بن جبل ما عرضه عليه رسول الروم من أن يأخذ المسلمون سواد البلقاء والعودة من حيث أتوا وإصرار معاذ على تحرير الأرض العربية[3]، وكذلك جواب القائد أبي عبيدة بن الجراح عن استفزاز الروم له في وقعة فحل 14هـ/ 635م[4]، الذي حمل تأكيداً على عزم العرب المسلمين على تحرير الأرض بأكملها واجتثاث الاحتلال الرومي منها.

لم يُخفِ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حميته العربية ورغبته في الاعتماد على العرب القاطنين في الأراضي المحررة والمزمع تحريرها تسهيلاً لعمليات الفتح الإسلامي وحرصاً منه على جمعهم تحت سيادة الإسلام، وذلك بتوجيه القائد أبي عبيده عامر بن الجراح بعد تحرير حمص 15هـ/636م بضرورة دعوة ((أهل القوة والجلد من عرب الشام)) لإعانتهم في معارك التحرير اللاحقة[5]، وقد سبقه في ذلك القائد عمرو بن العاص إذ كان في مسيره إلى الشام أيام الخليفة أبي بكر ﷺ ((يستنفر من مرّ به من الأعراب فينفذ معه ناس كثير[6])).

أما عن موقف القبائل العربية الخاضعة للسيادة البيزنطية التي لم تزل تعبر عن رفضها لهذه السيادة ورغبتها في الخلاص منها، فقد اختلف فهم بين مرحب ومعترض ومحايد أزاء تحرير الأرض والانضواء تحت السيادة الإسلامية، كما

---

(1) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص328.

(2) الازدي، فتوح الشام، ص71.

(3) ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص ص 183 – 184.

(4) الازدي، فتوح الشام، ص114.

(5) الطبري، تاريخ، ج3، ص601 ؛ ابن حبيش، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حبيش (ت 584هـ)، غزوات ابن حبيش، تحقيق: د. سهيل زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت 1992م)، ج1، ص221.

(6) الازدي، فتوح الشام، ص51.

روى ذلك الازدي على لسان أحد الروم هناك بقوله: ((وكان من كان من العرب بالشام ممن كان مشركاً على طاعة قيصر على ثلاثة أصناف: فأما صنف فكانوا على دين العرب وكانوا معهم، واما صنف فكانوا نصارى وكانت له نيّة في النصرانية وكانوا معنا، واما صنف فكانوا نصارى وليس لهم في النصرانية تلك النّية فقالوا: نكره ان نقاتل أهل ديننا ونكره ان ننصر العجم على قومنا[1]))، بل ان موقف بعض قبائل الشام العربية من الجند المسلمين كان أعمق من التعاطف والحمية وتمني الانتصار، إذ بتحقيق المسلمين للمزيد من الانتصارات على الروم البيزنطيين أخذت مواقفهم تتجلى أكثر فأكثر، ففي وقعة فحل من ارض الأردن ومع تكالب الروم على المسلمين وقفت – بعد موقفها القلق في بداية التحرير – لخم وجذام وغسان وعاملة والقين وأناس من قضاعة في صف المسلمين معبرين عن توحدهم لطرد المحتل البيزنطي ((وأخذ أهل البلد من النصارى يراسلون المسلمين فيقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى ويقولون: يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا[2]))، ووقفت تلك القبائل ومعها طيء ونبهان وكهلان وخولان مع القائد خالد بن الوليد وجنده في الإغارة على رساتيق الشام بعد تحرير حمص[3].

وعَدَّ المسلمون معركة اليرموك سنة15هـ / 636م التي حققوا فيها اكبر انتصار لهم في الشام معركة العروبة والإسلام المصيرية مع الروم، كما تظهر ذلك صيحات أبي سفيان بن حرب الذي كان يقف على الكراديس قائلاً: ((الله الله إنكم ذادة العرب وانصار الإسلام وانهم ذادة الروم وانصار الشرك[4]))، تلك المعركة

---

(1) الازدي، فتوح الشام، ص69؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص239.

(2) الازدي، فتوح الشام، ص11؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص169: ينظر ايضاً: فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافقه، دار الثقافة بيروت 1958 م، ج2، ص14.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص99.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص397 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص7.

التي كان لها اكبر الأثر في توضيح موقف القبائل العربية هناك حيال المسلمين، وربما دفعت بعضاً منهم مصلحته الآنية وعدم فهمه النوايا الحقيقية للعرب المسلمين من زحفهم نحو الشام – لقتال الروم – للوقوف مع الروم في البداية ضدهم، كما هو الحال مع جبلة بن الأيهم الغساني ومن تبعه من قومه وربما النتيجة غير المحسومة نهائياً للصراع العسكري الإسلامي مع الروم في بداية الأمر[1].

مع تحقيق المزيد من الانتصارات للعرب المسلمين أصبحت عزيمتهم على مجابهة البيزنطيين بهدف تحرير الأرض العربية تزداد أكثر معبرين عن ذلك من خلال التبدل الجذري في مواقف العرب الشاميين لصالح أبناء عمومتهم المسلمين، حيث ((صاروا أشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم[2]))، وتتابعت المدن والأرياف الشامية في إعلان انضوائها تحت السيادة العربية الإسلامية، كأهل حماة الذين أبلغوا أبا عبيدة عامر بن الجراح بقولهم: ((أيها الأمير نريد ان نكون في صلحكم وذمامكم فأنتم أحب إلينا[3]))، وكذا الأمر بالنسبة لأهل قنسرين الذين أرسلوا إلى القائد خالد بن الوليد ((انهم عرب وانهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم[4]))، واهل الرها من أعمال الجزيرة الذين صالحوا المسلمين على أن يرشدوا الضال ويصلحوا الجسور والطرق وينصحوا المسلمين[5]، ومثلهم المصريون فيما بعد الذين كانوا نِعْمَ العون لجند الإسلام، حيث أصلحوا الطرق والجسور وأقاموا لهم الإنزال والاضياف والأسواق[6]، وأعانوهم

---

(1) أشار ابن سيد الناس بإيجاز إلى مدى تأثر أمراء الغساسنة وارتباطهم المالي والسياسي آنذاك بالروم بقوله ((إنهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر)) ولا شك ان هذين الأمرين سينتقيان بسيادة دولة الإسلام وتحرير الشام. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج2، ص256.

(2) ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (ت182هـ)، الخراج، ط3، المطبعة السلفية، (مصر 1382هـ)، ص139.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص ص 100– 105.

(4) الطبري، تاريخ، ج3، ص601. ينظر ايضاً: البلاذري، فتوح البلدان، ص133، ابن جبيش، الغزوات، ج1، ص225.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص 172 –173.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص 86، 106 ؛ ابن جبيش، الغزوات، ج1، ص342.

على فتح أبواب مدنهم لهم[1]، وصمدوا على ما عاهدوا المسلمين عليه عند انتقاض الاسكندرية سنة 25هـ/ 664م إلا بعض القريات الصغيرة[2].

وبمثل هذه المواقف العربية المشرفة الرافضة للوجود الأجنبي المغتصب عبر العرب في تكريت من أياد والنمر بن قاسط عن دافع مهم من دوافع الحرب مع البيزنطيين، إذ صارت العيون منهم تأتي المسلمين وتنقل أخبار أعدائهم وتظهر لهم مودة أبناء تلك القبائل في داخل المدينة، وتسألهم السلم لهم، فامتحنهم المسلمون بعرض الإسلام عليهم، ورجعوا إلى قومهم فطابقوهم على الإسلام، ولما كبّر الجند المسلمون وجاءوا الروم من أمامهم كبرت تلك القبائل من ورائهم، فظن الأعداء انهم قد أحيط بهم، فاضطرب أمرهم واهتزت صفوفهم وحلت بهم الهزيمة[3].

ومن المصادر ما يشير إلى أن (ماروثا) بطريق تكريت المنوفستي (اليعقوبي) كان قد فتح حصن المدينة للمسلمين، وحال بذلك دون هروب الحامية البيزنطية ووقوعها في قبضة المسلمين[4].

وإذا كان هذا التصرف من ماروثا نابعاً من حقده وعدائه للبيزنطيين بسبب الخلافات المذهبية معهم، التي عبرت سابقاً عن مظهر من مظاهر الرفض العربي للهيمنة الأجنبية على المقدرات والأفكار العربية، فانه في الوقت نفسه يؤكد هذا الرفض العربي، وقد أكدته مرة أخرى الأحداث اللاحقة، إذ وقفت (إياد وتغلب والنمر) مع المسلمين وساعدتهم في تحرير الموصل بعد تحرير تكريت عام 16هـ/637م مباشرة[5]، وهي الأسباب نفسها التي جعلت تغلب ومن معها من

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص 118 –119.

(2) المصدر نفسه، ص ص 122 – 123، 235 – 236.

(3) (1)ينظر: الطبري، تاريخ، ج4، ص36 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص72 Posner , Opcit 317. P.317

(4) Ibid. , P. 320.

(5) الطبري، تاريخ، ج4، ص54.

عرب الجزيرة الفراتية ((مسلمهم وكافرهم)) يقفون مع القائد الوليد بن عقبة أثناء تحريره اقليم الجزيرة في السنة نفسها[1].

وعلى الرغم من عدم ورود إشارات تاريخية صريحة في المصادر المتيسرة تدل على ان العزم على تحرير الأرض العربية كان واحداً من أهم دوافع المجابهة مع الروم البيزنطيين على جبهة المغرب العربي، إلا انه لاشك في ان هذا الدافع المهم كان من جملة الدوافع التي حدت بالعرب إلى خوض الحرب مع البيزنطيين هناك زمناً طويلاً من العصر الأموي لاستكمال تحريرها، على خلاف ما كان عليه الحال في جبهة الشام ومصر وإقليم الجزيرة اذ تم تحريرها من الهيمنة الرومية في العصر الراشدي.

جدول بالقبائل والبطون العربية وأماكن نزولها في الشام ومصر وإقليم الجزيرة

اسم القبيلة أو البطن	منازلهـــا
تنوخ من قضاعه	كانت منازلها ما بين مشارف في الجنوب إلى بادية الشام في الشرق والشمال(1) ونزلوا حاضر قنسرين(2) وفي حاضر حلب (3) وفي معرة النعمان (4).
كلب	نزلوا في دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام إلى ناحية طيئ(5)، وفي حمص(6)، ونزلت مناظر الشام من البلقاء إلى حوارين إلى الزيتون(7)، وقيل انهم بأطراف الشام مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين وبلاد الشام(8)
بنو عامر وبنو عمرو وحنظلة والطوال ومرة وخزيمة وأبان	كلهم من قضاعه وقد استوطنوا مناطق متفرقة من الشام(9).
الخشين والقين	من قضاعه أيضا نزلوا بحفير من الأردن ولهم حاضرتها(10).

[1] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص 72 – 74 ؛ ابن الأثير، عز الدين بن الأثير الحسن بن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت 1965م)، ج2، ص542.

اسم القبيلة أو البطن	منازلهـــا
غسان	حلت بالشام في القرن الثالث الميلادي بعد تنوخ وسليح(11) ونزلوا الجولان(12) والجابية (13) ومرج الصفر(14) ودمشق(15).
جذام	نزلت مشارق الشام حوالي آيله(16) وقيل بين مدين إلى تبوك والى أذرح ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن إلى اللجوء واليامون إلى ناحية عكا(17) وفي معان وما يحيط بها(18).
لخم	سكنت أطراف الشام(19) بين مصر والشام حوالي العريش(20) وبالبلقاء(21) وفلسطين وبادية الشام(22).
بهراء	كانت تنزل شمالي منازل بلّي من ينبع إلى عقبة آيلة(23) وفي المناطق المحيطة بحماة.
بنو يربوع	نزلوا الحيار من برية قنسرين حتى عرف بهم فقيل حيار بني يربوع(25)
ربيعة ومضر	سكنوا إقليم الجزيرة الفراتية وصار هذا الإقليم لها دياراً ومراعٍ لهم منذ قرون سبقت الإسلام (26).
تنوخ	سارت إلى اقليم الجزيرة الفراتية زمن الملك الساساني سابور الأكبر (241 – 272م) (27) واستوطنتها.
تزيد وعشم ابنا حلوان وجماعة من علاف	نزلوا قرى وعمران اقليم الجزيرة مثل عبقر وآمد وميافاقين(28) وشهرزور
أياد	سكنت إقليم الجزيرة بحدود القرن الثالث الميلادي(29) وفي القرن الرابع الميلادي(30) إذ حلوا بتكريت والموصل والأقسام الغربية من اقليم الجزيرة(31).
النمر بن قاسط وتغلب بن وائل	من بطون ربيعة ورد ذكر منازلها أيام الفتوحات الإسلامية حول هيت وتكريت(32).
كلب وقضاعة	ورد ذكرها في بداية الدولة الساسانية ما بين تكريت والانبار وفي نواحي هيت أيام الفتح الإسلامي(33).
بنو شيبان من بكر ابن وائل	سكنوا اقليم الجزيرة الفراتية بعد حرب البسوس(34).

اسم القبيلة أو البطن	منازلهـــا
قضاعة	هاجرت إلى مصر في الجاهلية واستوطنتها لما أصاب بلادها القحط(35).
بنو حوتكه بن سود من بطون قضاعة	هاجروا وسكنوا مصر بعد الحرب التي وقعت بين أبناء هذه القبيلة واستمر وجودهم هناك إلى ما بعد الفتح الإسلامي(36).
بهراء	هجرت منازلها شمالي منازل بلّي من ينبع إلى عقبة آيلة وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر(37).
طئ ولخم وجذام	نزلت المناطق الشرقية من مصر(38).
بلّي	استوطنت بين قنا والقصير من مصر(39).
جماعات من لخم	نزلت منطقة القواصر ما بين الفرما والفسطاط(40)

الهوامش

(1) محمد كرد علي، خطط الشام، ج1، ص24؛ رينية ديسو، العرب، ص160 – 161، حسين عطوان، الجغرافية التاريخية، ص79.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص147.

(3) المصدر نفسه، ص147.

(4) اليعقوبي، البلدان، ص324، القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص316.

(5) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص50 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص316

(6) اليعقوبي، البلدان، ص324 ؛ أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص22.

(7) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص26.

(8) حسين عطوان، الجغرافية التاريخية، ص80 ؛ جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص119.

(9) البلاذري، انساب الأشراف، ج1، ص19؛ ابن حزم الأندلسي، ابو محمد علي ابن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ)، جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، دار المعارف، (مصر 1962م)، ص446.

(10) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص52؛ ينظر أيضا: الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت356هـ)، الأغاني، تحقيق: عبد الكريم العزباوي و د. عبد العزيز المطر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت د. ت)، ج16، ص14.

(11) ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت 345هـ)، المُحّبر، اعتناء: ايلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت د. ت)، ص370–371، اليعقوبي، تاريخ، ج1، ص ص 76 – 77.

(12) الجولان: قرية وقيل جبل من نواحي دمشق من عمل حوران؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص95.

(13) الجابية: قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص21.

(14) مرج الصفر: مرج بدمشق. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، ص244.

(15) اليعقوبي، البلدان، ص326.

(16) ابن حزم، جمهرة انساب، ص421 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232 – 234.

(17) الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني (ت334هـ)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي ألا كوع، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 1989م)، ص243.

(18) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص22

(19) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص238.

(20) ابن حزم، جمهرة انساب، ص424.

(21) المصدر نفسه، ص151.

(22) جواد علي، المفصل، ج4، ص462 ؛ آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص22.

(23) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص317.

(24) آشتور، التاريخ الاقتصادي، ص22.

(25) البلاذري، فتوح البلدان، ص147.

(26) ابن حوقل، صورة الأرض، ص29، 41.

(27) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص23-24. عن التسلسل التاريخي لاستيطان القبائل العربية في اقليم الجزيرة بالتفصيل ينظر: محمد جاسم المشهداني، الجزيرة الفراتية، ص ص154 – 160.

(28) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص26، ينظر أيضا، ص21 –23.

(29) Posner, Opcit, P 127.

(30) Ibid. , P12.

(31) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص 69 –70. Ibid , P 15

(32) الطبري، تاريخ، ج4، ص 35 – 36، المقدسي، احسن التقاسيم، ص 137.

(33) الطبري، تاريخ، ج2، ص47، ج3، ص 385، الاصطخري، المسالك والممالك، ص23.

(34) محمود عبد الله ابراهيم العبيدي، بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1983م، ص29.

(35) د. محمد بيومي مهران، مصر، ط4، دار المعرفة الجامعية، (الاسكندرية 1988م)، ج1، ص42 – 45، محمد عزة دروزة، عروبة مصر في القديم والحديث أو قبل الإسلام وبعده، ط2، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، (بيروت 1963م)، ص38 – 39.

(36) البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص40 كذلك ص25.

(37) القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص37.

(38) محمد بيومي مهران، مصر، ج1، ص 42– 45.

(39) المرجع نفسه، ج1، ص42 – 45.

(40) ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص331.

الرد على التحديات البيزنطية:

على الرغم من تلازم دوافع المجابهة مع البيزنطيين وعدم إمكانية الفصل بينها، وتناول كل واحد بمعزل عن الآخر، لاسهامها مجتمعة في وقوع حدث واحد – شأن أي حدث تاريخي – وهو الصراع الإسلامي – البيزنطي، فان الرد على التحدي الرومي كان الأكثر وضوحاً، لاسيما أن العلاقة مع الروم أخذت طابعاً حربياً عدائياً خلال العصرين الراشدي والأموي.

وفضلاً عمّا واجهه الإسلام من تحديات داخلية من مشركي قريش وسائر العرب واجه ايضاً تحديات خارجية من الأمم والشعوب المجاورة التي بلغتها رسالة الإسلام ضمن رسائل الرسول ﷺ أو بما تنوقل من أخبار الإسلام في أرض العرب وعلى أطرافها.

وقد بدا ذلك بصور شتى في عهد النبوة[1] وعصر الخلفاء الراشدين، لذا كان على المسلمين ازاء ذلك اذا ما عزموا على الانطلاق برسالتهم إلى الأمم والشعوب الأخرى – ان يضعوا في حسبانهم مجابهة المخاطر وان يتبنوا سياسة حربية بعيدة المدى قائمة على الردع الوقائي والدفاعي للحيلولة بين الخصم البيزنطي وبين اتخاذه اية إجراءات أو مواقف من شأنها ان تحول دون تحقيقهم لأهدافهم الكبرى، انطلاقاً من قوله عز وجل: ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ...[2])) وقوله تعالى: ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين[3])).

ولذلك فان توجيه الجنـــد المسلميـــن لقتال الروم ومجابهتهم منذ أيام رسول الله ﷺ لم يكن تعدياً من جانبهم ولا لإجبارهم على اعتناق الإسلام قسراً، بل رداً

---

(1) عدي سالم عبد الله الجبوري، دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي دراسة تحليلية، ط1، دار الحامد (عمان 2012م) ص.

(2) سورة الأنفال آية 60.

(3) سورة البقرة آية 190.

على اعتداءاتهم ودفعاً لمخاطرهم، فما وقعتا مؤته 8هـ/629م وتبوك 9هـ/630م وما جرى فيهمـــا من أحداث إلا شاهـد على ذلك[1]، كما إن إصرار الخليفة أبي بكر ﷺ على إنفاذ بعث أسامة بن زيد إلى جبهة الروم[2]، على الرغم من تدهور الأوضاع في الداخل بسبب حالة الردة في جانب منه يحمل دلالات كبرى على إدراك الخلافة للخطر الحقيقي الصادر من البيزنطيين، ولا سيما أن انتصارهم الكبير على الفرس لا يزال صداه يسمع في أنحاء بلاد العرب وقد تحدثهم أنفسهم بغزو المسلمين[3] في عقر دارهم بعد ان اصبح لهم كيان سياسي يلفت الانتباه في قلب صحراء العرب. وما مشورة الصحابي عبد الرحمن بن عوف لأبي بكر ﷺ حين عزم على إرسال الجيوش نحو الشام إلا شاهد يؤكد ذلك وينم في الوقت نفسه عن فكر عسكري تعبوي مبدع قائم على الفهم السليم لطبيعة هذه المرحلة من المجابهة إذ جاء فيها: ((يا خليفة رسول الله: إنها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد، وركن شديد، والله ما ارى ان تقحم الخيل عليهم اقحاماً ولكن تبعث الخيل فتغير في أدنى أرضهم وترجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً اضرو بهم[4])).

ومع اشتداد الصراع الحربي مع الروم وتشابك حلقاته، تتأكد الأبعاد ((الاستراتيجية)) الدفاعية من وراء المجابهة الإسلامية لهم وعلى كل الجبهات، فما معارك تحرير الشام الكبرى إلا شواهد على ذلك وعلى شدة التحدي البيزنطي للإسلام الموجب للردع بكل ما أوتوا من قوة وعُدة حرب، ففي اجنادين – مثلا – 13هـ/634م تجمع من الروم زهاء مائة ألف مقاتل سرب هرقل أكثرهم وتجمع

---

[1] ابن الزبير، عروة بن الزبير (ت94هـ)، مغازي رسول الله ﷺ، جمعه وحققه: د. محمد مصطفى الاعظمي، مكتب التربية لدول الخليج العربي 1981م، ص205 ؛ الواقدي، المغازي، ج3، ص ص989 – 990، ابن سعد، الطبقات، ج2، ص128 – 129.

[2] الطبري، تاريخ، ج3، ص25؛ عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص123.

[3] احمد ابراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط1، دار الفكر العربي، 1968م، ص ص149 – 150.

[4] الازدي، فتوح الشام، ص3 ؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص144.

البقية من النواحي[1]، لحرب المسلمين والحيلولة دون مضيهم، وفي كتاب القائد خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر ﷺ وصف دقيق لمقدار التحدي النصراني العقائدي والسياسي للمسلمين[2]، مما أضطر العرب المسلمين إزاء ذلك إلى تجميع قواتهم المنتشرة في الأصقاع الشامية وائتمروا جميعاً بأمر خالد بن الوليد الذي اتبع أدق أساليب الحشد والاستنفار والتعبئة والقتال حتى تمكن وجنده في النهاية من هزيمة الروم في هذه الوقعة في أخريات خلافة أبي بكر الصديق ﷺ[3].

وعلى الرغم من ذلك ما زال البيزنطيون مصرين على قتال المسلمين وردهم وهو أمر لم يغب عن حسابات الخلافة الراشدة وقادتها لحظة واحدة، الذين عملوا على اتباع أسلوب تعبوي دقيق ومركز قائم على ضرب مراكز قوة العدو الحيوية، بغية القضاء المبرم على مصادر المقاومة لديه وإنهاء أي بارقة أمل له في تواصل الإمداد من القسطنطينية، كما يفهم من مشورة[4] القائد أبي عبيدة لجنده أثناء المسير إلى دمشق وحمص بعد دحر الروم في وقعة فحل سنة 13هـ / 634م إذ كان القائد ابو عبيدة على يقين راسخ بان تواصل الخطر البيزنطي قائم ما بقي هرقل بين ظهرانيهم، لان في بقائه هناك دعماً معنوياً للروم على المطاولة واستمرار الصراع، وقد تجلى ذلك للمسلمين حين راسل هرقل أهل دمشق الذين طال عليهم حصار المسلمين وأبدوا رغبة بالاستسلام[5]، وحين استجلب أمم النصرانية عليهم في اليرموك سنة 15هـ/636م[6]، سعياً منه لاجتثاث الإسلام وجنده، لانه بات يهدد كيانه السياسي في الشام وسائر ارض العرب المحتلة من قبله، مما أملى على

---

[1] الازدي، فتوح الشام، ص ص29 – 30، 84 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص156.

[2] ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص148.

[3] ينظر: الازدي، فتوح الشام، ص ص 87 – 93 ؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص ص 195 – 202

[4] ينظر: الازدي، فتوح الشام، ص ص 143 – 144.

[5] عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص 153.

[6] الازدي، فتوح الشام، ص152، 155 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص 187، ابن اعثم، الفتوح، ج1، ص220، ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص227، عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص162.

المقاتلة المسلمين التحشد في مكان واحد بخطة تعبوية ذكية من جانبهم أوجبتها عليهم خطورة المرحلة، ولسحب الحشود البيزنطية إلى منطقة القتل عند نهر اليرموك.

ولاشك أن قادة المسلمين كانوا يقدرون ما يكنه عدوهم لهم، من خلال حصولهم على معلومات تؤكد عزمه على القضاء عليهم قضاءً ناجزاً، هذا ما أوضحته مراسلات القائد أبي عبيدة الجراح مع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ [1]، وان من يبحث في تفاصيل وقعة اليرموك سيدرك ذلك جيداً، ولذا فأنها كانت بحق معركة تحدٍ فاصلة في تاريخ الصراع الإسلامي – البيزنطي على الجبهة الشامية، وذلك لان انتصار المسلمين فيها فتح الطريق أمامهم واسعاً لاتمام تحرير المدن الشامية الأخرى على الرغم من المقاومة المتفاوتة في شدتها هنا وهناك، وهو أمر طبيعي تطلبته مبررات حماية دولة الإسلام، لاسيما بعد ان هرب هرقل وهو عازم على مواصلة الحرب ضد المسلمين لاستعادة أغنى المقاطعات – التي استلبها من أهلها يوماً ما– اقتصادياً، بعد ان حرروها، كما يفهم من عبارته الشهيرة التي أجمعت المصادر التاريخية الإسلامية على ذكرها مع اختلاف طفيف في النص: ((عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره وهو عائد[2])).

فقد جاء في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى القائد يزيد بن أبي سفيان[3]: ((... ثم سرّ الى قيسارية فأنزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فإنه لا ينبغي افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع مقام أهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم وانه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها أحد من أهل طاعته متبعاً، ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام)) وبهذا يكون

---

(1) الازدي، فتوح الشام، ص 180 ؛ ابن اعثم، الفتــوح، ج1، ص ص230 – 231، ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص ص230 – 231.

(2) الطبري، تاريخ، ج3، ص603 ؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص227.

(3) الازدي، فتوح الشام، ص276 ؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص324.

الخليفة عمر ﷺ قد شخص بفكره العسكري الفذ الأهمية العسكرية التعبوية للمدن الساحلية ومنها قيسارية وما لتحريرها من أبعاد مهمة وكبيرة في تغيير مجرى الصراع العسكري مع الروم، من خلال إنهاء أي تفكير لهم في استعادة ما فقدوه في الشام وهذا ما أكدته الأحداث التاريخية اللاحقة في العصر الأموي.

وللأسباب آنفة الذكر كان على المسلمين مجابهة التحديات البيزنطية التي تهددهم في اقليم الجزيرة وإتمام تحرير تلك النواحي، إذ ليس بإمكانهم الاحتفاظ بالفتوح الشامية والتقدم شمالاً لدحر عدوهم الروم في عقر داره وهم لا يزالون يمثلون خطراً حقيقياً وعامل تحد مباشر عليهم في اقليم الجزيرة ومصر، إذ انهم ما فتئوا يهددونهم ويجاهرونهم العداء بوصفهم المعين الذي رفد الروم بالمقاتلة يوم اليرموك 15هـ/ 636م، ومن خلال تحركهم واستثارتهم هرقل وقواته ومشاركتهم إياهم أثناء حصارهم لحمص عام 17هـ/638م[1]، وكذلك تحرك الروم وتجمعهم بزعامة (الانطاق) لمهاجمة المقاتلة المسلمين في تكريت والموصل سنة 16هـ/637م[2]، وما يمثله ذلك بلا شك من خطر عليهم في الشام والعراق لذا توجه المسلمون لرد التحديات وتحرير هذا الإقليم الحيوي المهم، فتهاوت مدنه تباعاً صلحاً وعنوة إمام جحافل المسلمين بين الأعوام 17 – 19هـ /638 – 640م[3].

وكانت ضرورات إنجاح العمل العسكري ضد البيزنطيين تملي عليهم التوجه نحو مصر وشمال أفريقية، إذ مما يخالف السياقات العسكرية ولغة المنطق أن يندفعوا بعيداً في مجابهة الروم لا سيما شمالاً ويدعوا قواتهم في مصر تشكل عامل تحدٍ يهدد قواعدهم في الشام والمدينة المنورة، إذا ما علمنا بقرب المسافة جغرافياً ولامتلاك الروم أسطولا بحرياً كبيراً ومؤثراً هناك، خلافاً لما كان عليه حال المسلمين وقتذاك[4].

---

[1] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص50-53.

[2] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص 24، 35-36؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج7، ص7.
Posner , Opcit , PP 317 – 327

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص ص172 – 180؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص ص50 – 56.

[4] مجموعة باحثين، تاريخ البحرية المصرية، جامعة الاسكندرية، (مصر 1972م)، ص ص277-278.

لهذا وجب على المسلمين تحرير مصر قطعاً للصلة بينها وبين بقية الجيوب الرومية في الشام وللحيلولة دون وصول أية معونات أو إمدادات عسكرية من شأنها أن تهدد أمن وسلامة القوات الإسلامية في الشام، ويبدو أن القائد عمرو بن العاص كان قد استحضر كل تلك الاعتبارات حين طلب من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الإذن بالتوجه صوب مصر أثناء لقائه معه في الجابية بعد تحرير بيت المقدس عام 17هـ/638م في حوار مهم جاء فيه: ((يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر ... إنك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم[1]))، وهذا الإلحاح من جانب القائد عمرو بن العاص ناجم بلا شك عن تقديره لحجم الخطر الذي ستشكله القوات البيزنطية هناك لاسيما بعد هروب أرطبون حاكم بيت المقدس البيزنطي إلى مصر اثر هزيمته في فلسطين[2]، وما سيقوم به تأليبهم ودفعهم لحرب المسلمين أملاً في استعادة ما فقدوه، فضلاً عن إدراكه عمق الترابط المصيري والتاريخي بين مصر والشام على مختلف الأصعدة عبر التاريخ[3]، وما له من آثار عسكرية واقتصادية وسياسية مباشرة على الصراع الحربي الإسلامي مع البيزنطيين.

وقد أكدت ذلك الأحداث اللاحقة، فقد استنكر الإمبراطور هرقل نفسه إذعان المقوقس حاكم مصر القبطي لشروط الصلح الذي عقده مع المسلمين[4]، وقام بتجهيز حملة بحرية أرسلها بعد ذلك إلى هناك وألبَّ الروم على إغلاق الإسكندرية أمام المسلمين وايذانهم بالحرب، إذ كانت رسله ((تختلف إلى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية إن ذلك إنقطاع الروم وهلاكهم[5]))، وبذا تتأكد الأهمية البالغة لمصر عموماً

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ص 55–56 ؛ فتوح مصر والمغرب، ص ص80 – 81.

[2] ينظر: الطبري، تاريخ، ج3، ص608 ؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص ص318، 322.

[3] إبراهيم احمد العدوي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص ص 26–28.

[4] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص72 ؛ ابن سعيد الأندلسي (ت685هـ)، المغرب في حلى المغرب، ج1، القسم الخاص بمصر، تحقيق: د. زكي محمد حسن واخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، المغرب 1953م، ص31.

[5] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص76 ؛ ابن جبيش، الغزوات، ج1، ص344.

وللإسكندرية خصوصاً بالنسبة للروم، ولهذا فلا غرابة – وتعبيراً عن تحدي المسلمين – أن يكاتب روم الاسكندرية فيما بعد ملكهم قسطنطين بن هرقل (641-668م) ويحثّوه على حرب المسلمين وينتقضوا عليهم بعد فتحها، بعد ان بعث لهم ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة والسلاح مع أحد قادته، مما اضطر المسلمون إلى التصدي لهم فأعيد فتحها مجدداً سنة 25هـ/645م[1].

وقد ظهرت الأهمية العسكرية لتحرير هذا القسم الحيوي من أرض العرب فيما بعد من خلال إسهامها الفاعل في رفد جبهات الحرب مع الروم بالتعزيزات الحربية والاقتصادية براً وبحراً عبر الصوائف والشواتي البحرية المنطلقة من هناك سنوياً، إذ كان لها أبلغ الأثر في مجريات الصراع الحربي الإسلامي البيزنطي، كما سنرى في هذا البحث.

لم تزل تحديات البيزنطيين للمسلمين قائمة وتشكل خطراً حقيقياً عليهم يوجب الرد عليها في العصر الأموي، وقد تجلى ذلك في أكثر من موقف عدائي بيزنطي، مستغلين كل حالة من الوهن والفتور قد تنتاب قوة المسلمين الحربية، بسبب ما قد يعصف بهم من اضطرابات ومشكلات سياسية بين الحين والآخر، ومثل هذا ما حصل عقب وفاة الخليفة يزيد بن معاوية سنة 64هـ/683م، إذ تعرضت ثغور المسلمين البحرية في الشام لهجمات رومية مدمرة ومتكررة أسفر عنها تخريب أسوار ومساجد بعض منها كعسقلان وقيسارية وصور وعكا[2]، مما اضطر الخليفة عبد الملك بن مروان ورد على تحدياتهم تلك إلى ترميم المتهدم من تحصينات تلك الثغور، وشحنها بالمقاتلة الأشداء وبالعدد الحربية المناسبة[3].

---

[1] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص75 ؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص310، الطبري، تاريخ، ج4، ص250.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص ص144-145.

[3] المصدر نفسه، ص ص 144-145.

فضلاً عن ذلك بدت التحديات الرومية للمسلمين بصورة جلية في جبهة أخرى من جبهات الحرب معهم في شمال أفريقيا، إذ انهم استغلوا الاضطرابات السياسية التي عمت دولة الإسلام بعد استشهاد الخليفة عثمان ﷺ سنة 36هـ/656م، فأعادوا احتلال ما حرره المسلمون من أراض في شمال أفريقية قبل هذا التاريخ، لذا كان على الخلافة الأموية انتهاج سياسة استنزاف حربية قائمة على إرسال الحملات التعرضية – الدفاعية – من مقرها المتقدم بالفسطاط لاجل إعياء العدو وإلحاق الضرر بقواته، لاسيما وانه – أي الخلافة الأموية – قد تركز جهدها الحربي الرئيس صوب القسطنطينية بوصفها بؤرة التحدي الرئيسة والخطر المتواصل.

ووفقاً لذلك أرسلت حملة بقيادة معاوية بن حديج قاتل فيها الروم في مواضع عدة ما بين السنوات (45-50هـ/665-670م[1])، إلا أن ذلك كله لم ينه التحدي الرومي، لذا وجب على المسلمين إنشاء قاعدة ثابتة لهم هناك ترسخ سيادتهم وتضعف المقاومة البيزنطية هناك وهي سياسة اتبعها عقبة بن نافع الفهري (ت65هـ) واعلنها حين شرع باختطاط مدينة القيروان سنة 50هـ /670م بقوله: ((إن أفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام وإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر[2]))، وباختطاط هذا الثغر الحربي الجديد قوي ((جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها[3]))، إلا أنه لم ينه حالة التحدي البيزنطي، بل تحفز الروم وحلفاؤهم لمواصلة الحرب فتصدى لهم أبو المهاجر دينار[4] خليفة عقبة في معارك طويلة[5] وجابههم

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص17 – 18.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص19؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص420.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص466.

(4) أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري أستعمله على أفريقية عندما جمع له الخليفة معاوية مصر وأفريقية سنة 55هـ، ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص21.

(5) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص21 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص28-29.

عقبة في ولايته الثانية (55-65هـ/675 -681م) في معارك عنيفة في المغرب الأوسط والأقصى، كان من نتائجها ان توطدت السيادة الإسلامية هناك أكثر من ذي قبل[1] حتى قيل ((ذهب عز الروم من الزاب وذلوا[2])).

ومع هذا كله لم يزل البيزنطيون يكررون تحدياتهم - التي لم تنته - ويجدونها كلما بدا من المسلمين وهن أو توان، فقد عاودت أساطيلهم مهاجمة القواعد الإسلامية على ساحل المغرب العربي فاحتلوا القيروان عام 65هـ/684م بعد انسحاب المسلمين منها إلى مصر بزعامة زهير بن قيس البلوي الذي استشهد فيما بعد سنة 71هـ/690م على يد مقاتلي الأسطول البيزنطي الذين نزلوا على الساحل[3].

إزاء هذه الحالة من الحرب السجال كان على الخلافة الأموية أن ترد رداً حازماً قائماً على سياسة الردع الهجومي لإنهاء كل أمل للبيزنطيين في معاودة احتلال تلك المناطق وتهديد السيادة العربية الإسلامية هناك وهذا ما حدث على يد حسان بن النعمان الغساني[4] في خلافة عبد الملك بن مروان، الذي أرسل إلى هناك سنة 73هـ/692م[5]، وما أعقب ذلك من عمليات حربية بقيادة موسى بن نصير في خلافة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) الذي قضى على آخر مظاهر التحدي البيزنطي في بلاد المغرب العربي[6] وإذا كانت جهود هذين القائدين

---

(1) الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ص40 - 46؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص105.

(2) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص23. الزاب: كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص463.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ص200-201 ؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص ص37 - 38، الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ص69-70.

(4) حسان بن النعمان بن المنذر الغساني، أمير المغرب افتتح في المغرب بلاداً.. وحكم هناك نيفاً وعشرين سنة، قيل توفي سنة 80هـ؛ الذهبي شمس الدين محمد بن احمد (ت784هـ)، سير أعلام النبلاء وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن عرامة العمروي، ط1، دار الفكر، (بيروت 1996م)، ج5، ص ص159-269.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص269-270؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ص55-61.

(6) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص204؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص539.

قد وضعت حداً للتهديدات الرومية – نوعاً ما – في هذا الشطر من ميدان المجابهة، فإن تحديات البيزنطيين ظلت قائمة ومتواصلة طيلة أمد الحرب معهم في بقية الجبهات، وهذا ما تجسد في غاراتهم البحرية على مدينة دمياط[1] الثغرية في الساحل المصري و أسرهم أمير بحرها خالد بن كيسان سنة 90هـ[2]/ 708م الذي ذهبوا به إلى ملكهم فاعاده إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، واغارت سفن الروم على تنيس[3] سنة 101هـ/719م، وهاجموا بسفنهم الحربية ثغر الاسكندرية البحري سنة118هـ[4]/ 736م، وعاودوا غاراتهم البحرية على ثغر دمياط[5] سنة 121هـ/738م، وفي السنة نفسها هجمت سفنهم الحربية على سفن التجار الراسية في ثغر بيروت البحري فتصدى لهم المسلمون وردوهم واستنقذوا ما أخذوا[6].

خلاصة القول ان التحديات الرومية للإسلام والمسلمين التي أتخذت صوراً شتى منذ العصر النبوي وحتى العصر الأموي بل وما بعد ذلك، كانت دافعاً رئيساً من دوافع المنازلة معهم، مما أوجب على المسلمين أن يعدّوا للقتال عدته واهبته، إذ ان هذه التحديات المتواصلة وسمت العلاقات الإسلامية – البيزنطية على الأغلب آنذاك بسمة العداء المستحكم والمتواصل، فانتهجوا جراء ذلك سياسة حربية قائمة على معادلة طردية مؤداها إبعاد الأخطار الرومية عن دار الإسلام بدفع حدود

---

[1] دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص314.

[2] خالد كيسان ولي غزو البحر في أيام بني أمية. ينظر: الطبري، تاريخ، ج6، ص412؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص181، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو القاسم بن تغري بردي (ت874هـ)، النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر د. ت)، ج1، ص221.

[3] تنيس: جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص459.

[4] المقريزي، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى، (بغداد 1970م)، ج1، ص177.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص214.

[6] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص ص66-67.

المجابهة ومناطق التماس معهم أبعد ما يمكن كلمـا تعاظمت تلك الأخطار والتحديات – إلى جانب المهمة الأساسية وهي نشر الإسلام – وتضييق الخناق عليهم بكل الوسائل والأساليب بوصفهم العدو الأكثر خطراً على الإسلام في العصر الأموي بعد إندحار الفرس وانهيار إمبراطوريتهم في العصر الراشدي، فباذلالهم وردعهم سيرتدع من سواهم من أعداء العرب المسلمين الآخيرين، وهي سياسة فاعلة وضرورية تنبّه إليها الله عز وجل بقوله: ((واعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم[1]))، وقد انتهجها الخليفة معاوية بن أبي سفيان وهو صاحب التاريخ الطويل في مجالدتهم وحث المسلمين على مجاهدة الروم بقوله لهم: ((شدّوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم[2])).

---

[1] سورة الأنفال آية 60.

[2] خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الآداب، (النجف 1967م)، ج1، ص280؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59، ص ص158-159.

الفصل الثالث

الخطة التعبوية والاستحضارات الدفاعية في الثغور

مفهوم الثغر في اللغة والاصطلاح

اهمية الثغور عند المسلمين في صدر الإسلام والعصر الأموي

جغرافية الثغور وأثرها في رسم الخطة التعبوية وإقامة الاستحضارات الدفاعية

الخطة التعبوية والاستحضارات الدفاعية في الثغور

أساليب التحصين ووسائله في الثغور

تجهيزات مجاهدي الثغور في العصر الأموي

منهوم الثغر في اللغة والاصطلاح:

الثغر لغةً واصطلاحاً: الثغر بالفتح ثم السكون هو كل موضع قريب من أرض العدو يسمّى ثغراً، كأنه مأخوذ من الثُغَرة وهي الفرجة في الحائط[1]، وهو ((موضع المخافة من فروج البلدان[2]))، والثغور هي مواضع كثيرة على طول حدود دار الإسلام مع دار الحرب[3]على مختلف الجبهات، ومنها ثغور الشام والجزيرة المواجهة للروم البيزنطيين موضوع البحث.

والمقصود بالثغر في هذا البحث مجموعة القلاع والحصون التي أقيمت على طول حدود التماس مع البيزنطيين على هيئة خطوط دفاعية للتصدي لغارات البيزنطيين المتكررة على دار الإسلام طيلة مدة الصراع بين الطرفين، وهي مراكز لحشد الجيوش وتنظيمها والانطلاق بها للجهاد صوب بلاد الروم صيفاً وشتاءً [4].

وقـد احتفظـت هذه الترتيبـات الدفاعيـة باسمها هذا في العصرين الراشدي والأمـوي حتـى استحدث الخليفـة العباسـي هـارون الرشيـد (170-193هـ/786 - 809م) تنظيمـاً دفاعيـاً آخـر عـزز به جبهة الثغور سمـاه (العواصـم) لانهـا تعصـم الثغر وتمده في أوقـات لنفير[5]، ((إذ كانت متاخمـة لبلاد الكفر واقعـة في نحـر العدو وعساكـر المسلمين حافظة لها[6]))،

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص12 ؛ ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، (بيروت د. ت)، ج4، ص103، الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: ابراهيم الترزي، ج10، ص322.

[2] الجوهري،الصحاح ج2، ص605 ؛ الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي (ت666هـ)، مختار الصحاح، دار الرسالة، (الكويت 1983م)، ص84، ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص103.

[3] ينظر: ابن الاثير، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت607هـ)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، محمد محمود الطناحي، (المكتبة الاسلامية)، (د. ت)، ج1، ص213.

[4] بسام العسلي، فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والامويين، ط1، دار الفكر، (بيروت 1974م)، ص223؛ مهدي حسوني مهدي، اقليم العواصم والثغور، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية 1985م، ص ص8-9.

[5] قدامة بن جعفر، الخراج، ص186.

[6] القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص135.

وكانت انطاكية[1]، المركز الإداري لهذا التنظيم الجديد[2].

وكانت الثغور الإسلامية التي ستكون موضوع البحث على نوعين طبقاً لموقعها الجغرافي، فأما التي تقوم على السواحل البحرية فانها تدعى ((الثغور البحرية)) في حين سميت تلك التي تقع على الحدود البرية بـ((الثغور البرية)) وما كان من الثغور شمال الشام فقد عرفت بـ ((الثغور الشامية)) والتي تقع مما يلي الجزيرة فسميت بـ((الثغور الجزرية[3]))، ولابن حوقل راي آخر مؤداه ان: ((..بعض الثغور كانت تعرف بثغور الشام وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام وذلك ان كلما كان وراء الفرات فمن الشام وانما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة لان أهل الجزيرة بها كانوا يرابطون ويغزون لانها من الجزيرة واعمالها ...[4])).

ومما هو جدير بالذكر أن ثغور المسلمين البرية مع الروم لم تكن ثابتة دائماً، بل كانت تتسع باتجاه العمق البيزنطي وتنكمش تبعاً لقوة الطرفين وضعفهما وعلى طول زمن الصراع[5].

اهمية الثغور عند المسلمين في صدر الاسلام والعصر الاموي:

أدرك المسلمون قيادة ورعية أهمية الثغور على مختلف الجبهات، ومنها الثغور المتاخمة للروم بوصفها مواضع المرابطة[6] والجهاد منذ وقت مبكر، وقد

---

(1) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص213.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص164 وما بعدها ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص135.

(3) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ص 185-186.

(4) صورة الارض، ص154 ؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص43، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص234.

(5) ينظر: ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص ص 161-166.

(6) المرابطة ((هي المقام في ثغر العدو لاعزاز الدين ودفع المشركين عن المسلمين واصل الكلمة ربط الخيل قال الله تعالى: ((ومن رباط الخيل)) – سورة الانفال آية 60 – فالمسلم يربط خيله حيث يسكن من الثغر ليرهب العدو به وكذلك يفعل عدوه... ومنه سمي الرباط رباطاً للموضع المبني في المفازة ليسكنه الناس ليأمن المارة من شر اللصوص)). الشيباني، محمد بن الحسن الشيباني (ت180هـ)، شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، (مصر 1958م)، ج1، ص6.

وردت عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث حثّ فيها المؤمنين على المرابطة في الثغور والجهاد يقينا منه ﷺ بضرورة ذلك الأمر حماية للاسلام وأهله، فقد اورد الشيخان في صحيحيهما عنه ﷺ أنه قال: ((رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها[1])) وعنه ﷺ: ((رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم سواه من المنازل[2])).

وكان هذا الأمر واضحاً في أذهان المسلمين وتأكد لهم أكثر باحتدام الحرب مع الروم البيزنطيين، فحرصوا أشد الحرص على شحن الثغور بالعدد والعدة اللازمة واسترخاص ما ملكوا في سبيل ذلك، فقد روي ان القائد خالد بن الوليد اعتزل في أيامه الأخيرة إلى ثغر حمص وحبس خيلاً وسلاحاً فلم يزل مقيماً مرابطاً هناك حتى نزل به، فدخل عليه أبو الدرداء[3] عائداً له فقال خالد بن الوليد: ((إن خيلي هذه التي حبست في الثغر وسلاحي هو على ما جعلته عليه عدّة في سبيل الله وقوة يغزى عليها ويعلف من مالي...[4]))، ولم يغب عن أذهان المسلمين دور مقاتلة الثغور في درء خطر الأعداء والذب عن الإسلام، بل رأوا أن توظف قدرات الأمة المادية والبشرية وطاقاتها للجهاد في مثل تلك المواطن الشريفة لا أن تستنفذ في الفتن والصراعات الداخلية غير المبررة، وهذا ما بدى جلياً من نص الأبيات الشعرية التي هجا بها حسان بن ثابت (ت54هـ) شاعر رسول الله ﷺ أولئك الذين تآمروا على الخليفة عثمان بن عفان سنة 35هـ/ 655هـ بقوله[5]:

---

[1] البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، (اليمامة 1987م)، ج3، ص1059.

[2] الدارمي، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت255هـ)، سنن الدارمي، دار الفكر، د. ت، ج2، ص211.

[3] ابو الدرداء عويمر بن عامر ويقال عويمر بن قيس الانصاري الخزرجي شهد احداً وما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ توفي سنة 32هـ وقيل 33هـ. ابن الاثير، أسد الغابة، ج4، ص ص340-341.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص271.

[5] الأنصاري، حسان بن ثابت الانصاري (ت54هـ)، ديوان حسان بن ثابت الانصاري، دار صادر، (بيروت د. ت)، ص61؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج39، ص539.

أتـــركتم غـــزو الـــدروب وجئـــتـــم   لقـــتـــال قـــوم عنـــد قبـــر مُحمّـــدِ

فلبـــئس هـــدي الصالحـــين هـــديتم   ولبـــئس فعـــل الجاهـــل المُتعمّـــدِ

وهذا يدل بلا شك على ان هذا الواجب الجهادي في هذه المرحلة من أيام الدولة العربية الاسلامية كان اشرف واسمى واجب ينبغي على المسلمين السعي الجاد والدؤوب لتحقيقه وهو أمر أكدته كلمات القائد عمرو بن العاص ﷺ الموجهة إلى المسلمين يوم صفين 37هـ/ 657م حين أشار عليهم برفع المصاحف التي جاء فيها: ((كتاب الله بيننا وبينكم مَنْ لثغور الشام بعد أهل الشام ؟ مَنْ لثغور العراق بعد أهل العراق؟ ومَنْ لجهاد الروم؟.. [1])).

وكان هذا الامر ايضاً في ذهن الخليفة الحسن بن علي بن ابي طالب ﷺ الذي آثر التنازل بالخلافة لمعاوية بن ابي سفيان عام الجماعة سنة 41هـ/661م مبرراً ذلك لأحدهم بقوله ان الفتنة قد طالت ((وسفكت فيها الدماء وقطعت فيها الارحام وقطعت السبل وعطلت الفروج، يعني الثغور[2])).

فضلاً عن ذلك عُدت ولاية الثغر و إدارته وقيادة الجهاد فيه ركيزة من ركائز إقامة الدولة في نظر المسلمين – آنذاك – وضرورة لا حولَ عنها، حتى إن اياس ابن معاوية[3] قال: ((لابد للناس من ثلاثة: لابد لهم من أن تأمن سبلهم ويختار لحكمهم حتى يعتدل الحكم فيهم وأن يقام لهم بأمر الثغور بينهم وبين عدوهم فان هذه الاشياء اذا قام بها السلطان احتمل الناس ما كان سوى ذلك من أثرة السلطان وكل ما يكرهون[4])) وهي من أجلّ الولايات واصعبها يجب الاّ يليها ألاّ الرجل

---

(1) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة السعادة، (مصر 1964م)، ج2، ص400.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص ص266-267.

(3) اياس بن معاوية ابو واثلة قاضي البصرة كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء ثقة توفي سنة 121هـ كهلاً، ينظر: الذهبي، سير اعلام، ج6، ص5.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج10، ص19.

الحصيف ذو الخبرة والدراية وهو أمر صرح به زياد بن ابي سفيان بقوله: ((أربعة اعمال لا يليها الاّ المسن الذي قد عضّ على ناجذه: الثغر والصائفة والشرط والقضاء[1]))، وفي هذا النص دلالات تاريخية على الاهمية الكبيرة لجبهة الثغور بالنسبة لأُولي الأمر من المسلمين ولعامة الرعية ولاسيما، انها ميدان التماس الحربي المباشر مع أعداء الاسلام من الروم وغيرهم من الامم الاخرى، لذا فقيادة هذا الركن القصي – بلا شك – عن قلب الدولة العربية يجب ان توكل إلى قائد كفوء ممن عجمت عوده الحرب وصقلت نصله التجارب[2].

وقد نال المقاتلة في الثغور كل العناية من الخلفاء الراشدين والامويين على حد سواء، لأنهم يعدّون بمثابة رأس الرمح وباب الجهاد بوجه العدو، فقد كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حريصاً رؤوفاً بهم يعاقب بين الغزاة منهم، وينهى ان تحمل الذرية إلى الثغور[3] تأنياً منه في تلك المرحلة المبكرة من مراحل المجابهة مع الروم، حتى يتم احكام السيطرة العربية على هذا الجزء المهم من ميدان الحرب، ولئلا تطول أقامة المرابطين هناك مما يبعث على الملل في نفوس المجاهدين لما في ذلك من المشقة عليهم، مما ينعكس سلباً على عطائهم الجهادي وكفاءتهم في القتال، ولأجل ان يديموا التواصل مع عوائلهم[4] وان تتعاقب الامدادات من الرجال المجاهدين والعدد اللازمة، لكي يبقى الثغر قوياً محصناً والمرابطون في حالة توثب مستمر ونفير، وقد تأسى به في ذلك الخليفة عبد الملك

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص235.

(2) كانت لرسول صاحب الثغر مكانة متميزة عند زياد بن ابي سفيان إذ اوصى حاجبه الاّ يرده في أي وقت أتى ((فانه إن ابطأ ساعة فسد عمل سنة)) ابن عبد ربه، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه(ت328هـ)، العقد الفريد، تحقيق: احمد امين واخرين، ط3، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1965م)، ج1، ص71.

(3) البلاذري، كتاب جمل من كتاب انساب الاشراف، ج10، ص359. رواية المدائني.

(4) ينظر: العسكري، ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت395هـ)، الاوائل، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1987م)، ص ص 281- 282.

ابن مروان الذي استجاب لطلب أحد المسلمين وكان قد اشتاق لرؤية ولده المرابط في أحد الثغور وطالت غيبته ((فكتب في رده فأقفل[1])).

ولم يزل هذا دأب الخلفاء الامويين في رعاية مقاتلة الثغور إلى آخر أيام خلافتهم فقد روى ابن الجوزي (ت597هـ) ان عطاء بن أبي رباح[2] (ت115هـ) في لقاء له مع الخليفة عبد الملك بن مروان حث الاخير على الاهتمام بمقاتلة الثغور بقوله: ((..إتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين[3])) ولما سأل الخليفة هشام بن عبد الملك في لقاء له مع عطاء بن أبي رباح عن حاجته أجابه بأن أهل الثغور ((يرمون من وراء بيضتكم ويقاتلون عدوكم قد أجريتم لهم أرزاقاً تدرونها عليهم فإنهم إن هلكوا غزيتم ؟ قال: نعم اكتب تحمل اليهم أرزاقهم يا غلام[4])).

ويبدو من هذا النص ان أعيان الامة ورجالاتها قد أدركوا الدور الجهادي العظيم الذي يؤديه المقاتلة المرابطون في مواضع المخافة من الثغور حتى أنهم قدموهم على أنفسهم وآثروهم في مسألة ذوي السلطان من الخلفاء فيما من شأنه تعزيز صمودهم وتقوية شوكتهم بوجه العدو، لابل أكثر من ذلك ان بعض الخلفاء الامويين جعل من هذا الامر -أي رعاية المجاهدين في الثغور-، أولوية من أولويات عمله السياسي المستقبلي، كما يتضح ذلك من أول خطبة للخليفة الاموي

---

(1) البلاذري، كتاب جمل من كتاب انساب الاشراف، ج7، ص224.

(2) عطاء بن ابي رباح أسلم، الامام مفتي الحرم ابو محمد القرشي مولاهم المكي. ينظر: الذهبي، سير اعلام، ج5، ص552.

(3) ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت597هـ)، المنتظم في تواريخ الملوك والامم، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت 1995م)، ج4، ص678 ؛ الذهبي، سير اعلام، ج5، ص556.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج4، ص368؛ ابن الجوزي، المنظم، ج4، ص635، ابن عربي محيي الدين بن عربي (ت638هـ)، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار، دار اليقظة العربية، (بيروت 1968م)، مج1، ص450.

يزيد بن الوليد (126هـ/ 743م) حين ولي الخلافة سنة 126هـ[1]/743م، تاكيداً واكراماً لدورهم الجهادي في منازلة العدو والذود عن حياض الاسلام.

جغرافية الثغور وأثرها في رسم الخطة التعبوية وأقامة الاستحضارات الدفاعية:

يوجب البحث في موضوع تأريخي – عسكري صرف على الباحث الوقوف عند أبرز العوامل المؤثرة في رسم وتحديد ماهية الخطة التعبوية الدفاعية وآلية تنفيذها، لاسيما عامل الارض (تضاريسها ومناخها) لمعرفة المزايا السوقية والتعبوية للمناطق التي اقيمت فيها تلك الاستحضارات والترتيبات الدفاعية وما هي الخدمات الحربية التي من المؤمل أن تقدمها للمسلمين في حالتي الدفاع والهجوم؛ ذلك لأن طبيعة ساحة الحركات العسكرية تسهم اسهاماً فعّالاً في العمليات العسكرية ورسم الخطط التعبوية، دفاعية كانت ام هجومية للجيوش كافة، وهو أمر طالما وضعه المخططون ضمن أولويات حساباتهم عند تقدير الموقف قبل الشروع بأي عمل حربي، من خلال تحليل ساحة الحركات ودراسة الارض والمناخ دراسة مفصلة بغية الوقوف على مدى تأثير ذلك على قوات الطرفين.

ولا شك في أن هذا الأمر اضافة إلى الغاية من الفعل العسكري، وحجم القوة العربية الاسلامية ومقدار قوة العدو، كلها أمور كانت محل اهتمام قادة الجهاد في صدر الاسلام والعصر الاموي كما سنلاحظ في هذا البحث.

وبغية اعطاء صورة توضيحية عن المزايا التعبوية الدفاعية لهذا الجانب الحيوي من ميدان التماس الحربي مع البيزنطيين، ولاجل تقديم تفسيرات علمية ومنطقية لعليّة اعتماد العرب المسلمين هذا الاسلوب من أساليب المجابهة الحربية، لابد من تقديم وصف جغرافي موجز لنماذج مختارة من منطقة الثغور التي كانت

---

[1] خليفة بن خياط، ج2، ص ص 382-383؛ الجاحظ، ابو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (255هـ) البيان والتبيين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مصر 1961م)، ج2، ص284، الطبري، تاريخ، ج7، ص269.

امتداداً طبيعياً وجزءاً لايتجزأ من بلاد الروم[1]، التي اتسمت بالتضرس وتنوع المناخ، وهذا ما يمكن ملاحظته من تتبع الوصف الذي أوردته المصادر البلدانية لاسيما ابن خرداذبه (ت300هـ)[2] الذي وصف الطرق والمسالك النافذة عبر الثغور إلى القسطنطينية.

ولا ريب في أن كل ظاهرة من هذه الظواهر الجغرافية لها مزايا وخواص ذات أثر مباشر وفعّال سلباً أو ايجاباً في الوضع السوقي والتعبوي للمهاجم والمدافع على حد سواء، فمن المدن الثغرية ذات الأهمية الحربية (السوقية) والدفاعية، بغراس، وهـــي قلعة حصينة كان الطريق إلى الثغور يمر بها[3]، تقع في سفح جبل اللكام بينها وبين أنطاكية اربعة فراسخ[4] على يمين القاصد إلى انطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس[5]، وبذا تكون في منطقة جبلية محصنة تحصينا طبيعياً تشرف على مفترق الطرق وعقد المواصلات الحيوية كانت لها اهمية تذكر في تاريخ المجابهة الحربية مع البيزنطيين شأنها شأن قلعة الحدث الواقعة بين كل من ملطية وسميساط ومرعش قلعتها في جبل عال يعرف بالأحيدب[6]، تشرف على درب الحدث وتسيطر عليه، وهو واحد من اهم الدروب واشهرها التي سلكها المجاهدون في اثناء تقدمهم صوب العمق البيزنطي في صدر الاسلام والعصر الاموي[7].

---

(1) ينظر الفصل الاول من هذا البحث ص ص، ينظر ايضاً خريطة رقم (6).

(2) ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه (ت300هـ)، المسالك والممالك، طبعة بريل (ليدن1309هـ)، ص ص96 وما بعدها.

(3) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص151.

(4) الفرسخ: وحدة اسلامية لقياس المسافة تعادل حوالي 6 كم. ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الاردنية، (عمان 1970م)، ص94.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص368. ينظر ايضا: ابن حوقل، صورة الارض، ص168.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص124.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص 164-168؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص320.

وكانت قلعة لؤلؤة من الحصون الثغرية ذات الاثر الفعّال في الصراع بين الطرفين وقد ادرك الروم اهميتها التعبوية بوصفها تسيطر على المعبر بين البوابات الكيليكية وطوانة ودورها في تحديد مصير القطعات النافذة من خلالها إلى بلاد الروم وبالعكس، لذا شيدت في موضع مشرف ممتاز يتحكم بالممر الواصل بين طرسوس على قمة جبل شاهقة تتحكم بمنطقة واسعة من السهل ومنحدرات جبال طوروس الشمالية، اذا ما احكم البيزنطيون سيطرتهم عليها، غدا من العسير على أي جيش النفاذ إلى كبدوكيا وبالعكس اذا احكم العرب المسلمون سيطرتهم عليها اصبح من المجازفة اقتحام هذا الممر الضيق المار عبرها على أي جيش[1].

وتحكمت المصيصة هي الاخرى بالطرق المارة عبرها، ولاسيما أنها تقع على جانبي نهر جيحان الذي يعد واحداً من أكبر انهار بلاد الروم، والذي طالما عبرت مخاضاته الجيوش، وهي عبارة عن مدينتين احدهما المصيصة والاخرى كفربيا على جانبي جيحان وبينهما قنطرة حجارة وكانتا حصينتين على نشز من الارض[2]، ومثلها مثل أذنه التي كانت كأحد جانبي المصيصة على نهر سيحان في غربيه ((عليه قنطرة عجيبة البناء طويلة جداً.. على سمت طريق طرسوس[3])).

وكانت ملطية من مدن الثغور الشامية مدينة كبيرة من اجل الثغور دون جبل اللكام إلى ما يلي الجزيرة وتحف بها جبال كثيرة[4]، ذات اشجار وانهار، وهي مسورة في بسيط من الارض والجبال تحف بها شديدة البرد ((وهي في شمالي الجبل الدائر بسيس في غربيه في الجنوب عن سيواس وبينهما نحو ثلاث مراحل)) وهي شمالي حلب وتعد قاعدة بلاد الثغور[5].

---

[1] Ramsay, Opcit , PP. 303-304.

[2] ابن حوقل، صورة الارض، ص ص167-168 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، ص ص 278-279، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص160.

[3] ابن حوقل، صورة الارض، ص168؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص112.

[4] ابن حوقل، صورة الارض، ص166؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص252.

[5] القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص ص136-137.

أما زبطرة التي تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة ملطية فانها أقرب مدن الثغور الجزرية إلى بلاد الروم[1]، سماها الروم سوزبطره أو زبطره[2]، تبعد اربعة فراسخ عن مدينة الحدث وعلى مسافة يوم من حصن منصور على نهر سلطان صو[3]، في أرض مستوية والجبال تحيط بها[4]، وبذا تكون من ثغور المسلمين الجزرية المهمة في مواجهة الروم.

أما من أهم ثغور المسلمين البحرية (حصن المرقب) الواقع في منطقة جبلية عالية مشرف على بحر الشام وعلى البر، وصفه ياقوت الحموي بانه بلدة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام على مدينة بلنياس[5]، وقال عنه ابن بطوطة[6] (ت779هـ) ((من الحصون العظيمة يماثل حصن الكرك وبناؤه على جبل شامخ...)).

ومن مدن الثغور البحرية الاخرى ذات المزايا الدفاعية الجيدة لارتباطها بالبر والبحر معاً (صور) التي كانت من ثغور المسلمين وهي مشرفة على بحر الشام داخلة فيه ويحيط بها الماء من ثلاث جهات وهي حصينة جداً، عبر عن ذلك ياقوت الحموي بقوله: ((لا سبيل اليها الاّ بالخذلان[7])) افتتحها المسلمون ايام الخليفة عمر ابن الخطاب ﷺ ومثلها الاسكندرونة التي كانت ثغراً بحرياً حصيناً محكماً يسيطر على عقد المواصلات البرية والبحرية. تقع إلى الشرق من انطاكية على ساحل بحر

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص247.

(2) لسترنج، بلدان الخلافة، ص153.

(3) أ. فازيليف، العرب والروم، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة راجعه فؤاد حسنين علي، دار الفكر العربي، (د. ت)، ص125.

(4) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص234.

(5) معجم البلدان، ج7، ص250.

(6) ابن بطوطه، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ)، رحلة ابن بطوطه المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، (بيروت د. ت)، ص101.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص210.

الشام بينها وبين بغراس اربعة فراسخ وبينها وبين انطاكية ثمانية فراسخ[1]، ذات نخيل وزروع كثيرة وغلة وخصب[2]، وحصن التينات الذي أقيم على شاطئ البحر الشامي فيه مقطع لخشب الصنوبر الذي كان ينقل إلى بقية المدن الشامية ومصر والثغور ((وكان فيه رجال قتال اجلاد لهم علم بمضار بلد الروم ومعرفة بمخائضهم ومهالكهم[3])).

مضامين الخطة التعبوية والاستحضارات الدفاعية في الثغور:

لم تكن التحصينات الدفاعية الرومية التي خلفوها عقب انسحابهم مدحورين باتجاه بلاد الروم لتثير استغراب العرب المسلمين ودهشتهم، ذلك لأنهم سبق وان عرفوا مثل هذه العمائر في جزيرتهم او على اطرافها، فقد وردت في القرآن الكريم[4] والحديث النبوي الشريف[5] العديد من الالفاظ ذات الصلة الدالة على ذلك، كما اكدت الدراسات الاثارية والتاريخية اقامة العرب لمثل هذه المشيدات في أنحاء متعددة من جزيرتهم وخلال عصور تاريخية مختلفة ايضا[6]، فضلاً عن ذلك فقد عرف العرب المسلمون في المدينة المنورة (يثرب) العديد من الآطام والحصون

---

(1) الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت610هـ)، الروض المعطار في خبر الاقطار، حققه: د. احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان 1984م، ص369.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص149.

(3) ابن حوقل، صورة الارض، ص166 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 472، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص 223.

(4) ينظر: سورة التوبة الآيات 40، 75، سورة الكهف الايات 93–97، سورة الحشر الايات 2، 14، سورة الانبياء اية 80.

(5) ينظر: احمد بن حنبل ابو عبد الله الشيباني (ت241هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة، (مصر د. ت)، ج1، ص174، ج3، ص ص 77، 370 ؛ مسلم، مسلم بن الحجاج ابو الحسين القشيري النيسابوري (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، (بيروت د. ت)، ج1، ص ص 108، 357، البخاري، صحيح البخاري، ج4، ص1482.

(6) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، (بيروت 1968م)، ج2، ص ص 33–74، 87، 517، ج8، ص ص 46–50، صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الكتب جامعة الموصل 1981م، ج1، ص22.

التي شيدها اليهود وسكنوها وكانت لرسول الله ﷺ وصحابته (رضي الله عنهم) وقعات مشهورة معهم عندها [1].

واعتمد العرب في مدينة الطائف التحصين باستخدام الاسوار، بل انها كانت المدينة الوحيدة في قلب شبه الجزيرة محاطة بسور على رأي كزيرول[2]، تم ترميم سورها والاستعداد للحرب من قبل قبيلة ثقيف وحلفائها اثناء حصار رسول الله ﷺ لهم في السنة السادسة من الهجرة النبوية[3].

فضلاً عما عرفه العرب المسلمون من تحصينات ونظم دفاعية في بلادهم ازدادت معرفتهم بانماط التحصين البيزنطية من خلال مرورهم اثناء مسير جند الفتح الاسلامي صوب الشام والعراق بالعديد من القلاع الحدوديــة الرومية (Castra Limes) التي تمتد من خليج العقبة إلى دمشق ومن دمشق إلى تدمر، والتي سكنت من قبل بعض الخلفاء الامويين فيما بعد[4]، فضلا عن ذلك ازدادت معرفتهم اكثر اثناء معارك القلاع والحصون التي خاضوها ضد المرتدين وضد الروم البيزنطيين وحلفائهم في الشام ومصر وشمال افريقية ايام الخلفاء الراشدين[5].

بدأ العرب المسلمون تنفيذ خطتهم الدفاعية بخطوات متسلسلة حسب مجريات الاحداث وتطوراتها وعلى محورين، المحور البري والمحور البحري حال تحرير المدن الشامية. ففي المحور البري – موضوع البحث – وعملاً بمبدأ الدفاع الفعّال قاموا بدفع بعض السرايا صوب العمق البيزنطي لملاحقة فلول الروم المندحرة، ولتفويت الفرصة عليهم لئلا يعيدوا تنظيم صفوفهم ويستأنفوا الحرب بهجوم مقابل

---

(1) الواقدي، المغازي، ج2، ص ص 496، 633–693 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص ص 357–365.

(2) B. A. C. Creswell , Fortification in Islam Befor A. D 1250 , (London 1952) , PP 89-90 .

(3) الواقدي، المغازي، ج3، ص ص 922–937 ؛ ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص ص 134–135.

(4) Creswell , Opcit , PP 89 – 90 .

(5) ينظر: رعد عبد المجيد فيصل الناصري، معارك القلاع والحصون للجيش العربي الاسلامي حتى نهاية العصر الامــوي، اطروحــة دكتوراه غير منشــورة، معهــد التاريخ العربــي والتراث العلمــي، بغــداد 1995م، ص ص121–195.

على المسلمين، ولدفع أخطارهم القائمة ابعد ما يمكن داخل بلاد الروم وتأكيداً لقوة المسلمين وتوثبهم المستمر ولاجل انتزاع المبادأة[1] منهم ولاستطلاع تلك المناطق التي لم يكن للمسلمين علم كاف بطبيعتها الجغرافية ومزاياها السوقية والتعبوية ومحاذيرها وأثر ذلك على قطعات الطرفين في حالتي الدفاع والهجوم، ويبدو ان تلك الاعتبارات لم تكن غائبة عن افكار قادة المسلمين الميدانيين[2] والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي اجاب على كتاب القائد ابي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ الذي استشاره فيه بأمر غزو الدروب أو المرابطة عند حلب بقوله: ((... واما قولك إنك منتظر أمري فالذي آمرك به أن تدخل وراء العدو وتفتح الدروب فانك الشاهد وأنا الغائب وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب وأنت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالأخبار فان رأيت أن دخولك إلى الدروب بالمسلمين صواب فابعث اليهم السرايا وادخل معهم إلى بلادهم وضيّق عليهم المسالك ومن طلب منك الصلح فصالحهم ووف لهم بما تقدر...[3])). وبهذا يكون الخليفة عمر ﷺ قد منح القائد ابا عبيدة ﷺ حرية التصرف اثناء تنفيذه الخطة الدفاعية لأنه هو الاقرب إلى الحدث محققاً بذلك ومؤصلاً لمبدأ مهم من مبادئ الحرب الحديثة الا وهو مبدأ (المرونة[4]) في ادارة خطة الحرب.

---

[1] المبادأة: ((تعبير يقصد به من الناحية العسكرية السبق في العمل لاجبار العدو على تبديل خطته والاحتفاظ بهذا السبق)). نهاد عباس شهاب الجبوري، العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، (بغداد 1987م)، ص18.

[2] ينظر: نص المحاورة التي جرت بين القائد ابي عبيدة وكل من ميسرة بن مسروق العبسي وخالد بن الوليد (رضي الله عنهم) لما عزم على ارســال المقاتلة المسلمين الى ما وراء الدروب. الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص ص5-6.

[3] الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص295.

[4] عن هذا المبدا ينظر: يونس محمد الذرب، السوق العسكري في صدر الاسلام العهود الاسلامية الاولى، دراسة تحليلة، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 2000م)، ص20 ؛ اللواء الركن علاء الدين حسين مكي خماس، فن الحرب عند العرب دراسة في الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي، بيت الحكمة، (بغداد 1999)، ص7.

وتنفيذاً لتلك الخطوة من الخطة الدفاعية روى اليعقوبي (ت292هـ) أن القائد ابا عبيدة ((وجه بمالك بن الحارث الاشتر على جمع الروم وقد قطعوا الدرب فقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انصرف وقد عافاه الله واصحابه[1])) وذلك على اثر الانتهاء من تحرير حلب بحدود 15هـ / 636م.

وذكر ابن الجوزي[2] (ت597هـ) ان خالد بن الوليد وعياض بن غنم ﷺ خرجا في دروب المشركين الروم فأصابا أموالاً عظيمة سنة 17هـ/ 638م، واشار ابن العديم[3] (ت660هـ) إلى أنها أول مدربة كانت في الاسلام.

ونقل ابن عساكر (ت571هـ) عن الواقدي رواية مؤداها ان ميسرة بن مسروق العبسي[4] دخل أرض الروم في ستة الآف (سنة 20هـ/641م) فوغل فيها وجمعت له الروم فلقيهم بمرج القبائل[5] وهو في مسيره فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمهم الله تعالى وكانت فيهم مقتلة عظيمة[6]، وقد بقيت آثار قتلى الروم في تلك الوقعة في مرج القبائل إلى وقت متأخر[7] شاهداً على مقدار التحدي البيزنطي الموجه ضد الاسلام ودولته، والذي أدركه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ منذ زمن مبكر من تاريخ المجابهة معهم، كما يفهم من قوله: ((والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه لما كان يكره قتالهم[8])).

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص97.

(2) المنتظم، ج3، ص142.

(3) بغية الطلب، ج1، ص ص 30، 32.

(4) ميسرة بن مسروق العبسي هو احد التسعة الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من بني عبس اسلم وحسن اسلامه وكان له من الخليفة ابي بكر ﷺ منزلة حسنة. ابن الاثير، أسد الغابة، ج3، ص ص 300-301.

(5) مرج القبائل: لم اعثر على ترجمة له، ولكن يبدو انه مكان داخل بلاد الروم.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج61، ص320، كذلك ج47، ص268.

(7) عن تفاصيل هذه الوقعة ينظر: الواقدي، فتوح الشام، ج2، ص ص 5-16. ذكر اليعقوبي ان حملة ميسرة الى ما وراء الدروب كانت سنة 20هـ/ 641م. اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص107.

(8) اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص107.

وروي ان عمير بن سعد[1] – الذي قيل انه أول من اجتاز الدروب[2] سنة21هـ/642م – بلغ في حملته خلف الدروب مدينة عرب سوس[3]، وقام باجراء احترازي هدفه تأمين وحماية مؤخرة القطعات الاسلامية النافذة إلى بلاد الروم، مؤداه تهجير سكان عرب سوس وتخريبهـا بامر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي سبق وان استشاره عمير بذلك بقوله له: ((يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عرب السوس يطلعون عدونا على عوراتنا ويفعلون ويفعلون فقال عمر: إذا أتيتهم فخيرهم بين ان ينقلوا من مدينتهم إلى كذا وكذا وتعطيهم مكان كل شاة شاتين ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كل شيء شيئين، فان فعلوا فاعطهم ذلك، وإن أبوا فانبذ اليهم، ثم اجلهم سنة، فأرسل اليهم فعرض عليهم ما أمره به امير المؤمنين فأبوا فأجلهم سنة ثم نابذهم[4])).

وللاسباب ذاتها – على ما يبدو – وسيراً على السياسة نفسها لما غزا والي الشام معاوية بن ابي سفيان ﷺ من ناحية المصيصة وبلغ درولية[5] سنة 31هـ/651م دمر كل الحصون التي مرّ بها فيما بين انطاكية ومغزاه[6]، وقد سبقه في ذلك القائد خالد بن الوليد ﷺ الذي بلغ في غزاته مرعش فدمر حصنها بعد أن أجلى أهلها حسب رواية البلاذري[7].

---

(1) عمير بن سعد بن عبيد بن النعمان ... الانصاري، كان من فضلاء الصحابة وزهادهم استعمله الخليفة عمر بن الخطاب على حمص ومات بالشام. ابن الاثير، أسد الغابة، ج4، ص ص311-313.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص164؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص487.

(3) عرب سوس: بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص307.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص ص488-489؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص130-131. ينظر ايضا: البلاذري، فتوح البلدان، ص ص157-158.

(5) درولية: مدينة في ارض الروم. البغدادي صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ)، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ط1، دار المعرفة، (لبنان 1954م)، ج2، ص525.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص164 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص319.

(7) فتوح البلدان، ص188.

وفي خطوة ثانية على طريق تنفيذ الخطة الدفاعية شرع المسلمون بأقامة المسالح[1] على الدروب المهمة ومشارف المدن الثغرية باتجاه العدو، بعد انفاذ تلك السرايا المذكورة سابقا، حماية لحدود دار الاسلام وضماناً لسلامة المجاهدين المتوغلين في بلاد الروم، وذلك بالافادة من سكان المدن المفتوحة بالاتفاق معهم على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً، ومسالح لهم، كما نص على ذلك الصلح الذي عقده حبيب بن مسلمة الفهري مع اهل الجرجومة[2]، بعد غزوه اياها[3]، وقد اعتمد الاسلوب ذاته فيما بعد من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان حين اتفق مع أهل أنطاكية على ان يكونوا أعواناً للمسلمين ومسالح[4]، ولما ولي معاوية بن ابي سفيان ولاية الشام والجزيرة سنة18هـ/ 639م، وجه أحد قادته بان يلزم المدن الجزرية والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء[5].

ويبدو ان معاوية بعد توليه الخلافة كان قد عزز مسلحة أنطاكية آنفة الذكر سنة 42هـ/662م لما نقل إليها جماعة من الفرس واهل بعلبك وحمص[6]، وفي خلافة هشام بن عبد الملك مع استمرار تهديدات الروم لطرق ودروب المجاهدين بنى حصن مورة في درب اللكام ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة[7]، ويظهر من هذا النص أن هؤلاء الاربعين من الرجال العرب المسلمين لابد ان يكونوا من أهل البأس والنجدة تولوا قيادة هذه الجماعة المحلية لاداء المهمات الجهادية من حراسة وانذار لمن وراءهم اذا ما دهمهم عدو.

---

(1) المسلحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوي سلاح أو لانهم يسكنون المسلحة، والمرقب فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه أعلموا اصحابهم ليتأهبوا للقتال. عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص147.

(2) الجرجومة: مدينة يقال لاهلها الجراجمة كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي فيما بين بياس وبوقه قرب انطاكية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص45.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص160؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص231.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص162.

(5) المصدر نفسه، ص179.

(6) المصدر نفسه، ص149.

(7) المصدر نفسه، ص167.

والظاهر ايضاً أن هذه الترتيبات الدفاعية الاسلامية كانت تشابه نظام الكليسورات الدفاعية التي اوجدها هرقل والتي أصبحت فيما بعد نواة نظام البنود (الثيمات Themes) البيزنطية الذي تطور عنها[1]، وكانت رداً اسلامياً عملياً عليها اوجبته الظروف الطبيعية للمنطقة وطبيعة القتال.

وفي سياق إقامة وتعزيز الترتيبات الدفاعية في الثغور عمد المسلمون إلى الافادة من الحصون البيزنطية القديمة، التي سبق وان خرب المسلمون قسماً منها وفقاً لضرورات القتال، بعد أن أدركوا بتواصل الحرب الأهمية التعبوية لهذه المشيدات المقامة في مناطق (استراتيجية)، وقيمة النتائج المتحققة من أعادة تحصينها وشحنها بالمقاتلة، فقد عمّر المسلمون المتشعث منها وشحنوه للافادة منها كنقاط رصد ومراقبة متقدمة وحصون تعويق في حال التصدي للمهاجمين الروم، ومثابات متقدمة للانطلاق صوب الاهداف الحيوية في ارض الروم، فقد وقف معاوية بن ابي سفيان سنة25هـ/645م عند عمورية التي بلغها في غزوته جماعة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته ((ثم اغزى بعد ذلك بسنة او سنتين يزيد بن الحر العبسي الصائفة وأمره ففعل مثل ذلك، وكانت الولاة تفعله[2])) وجعل معاوية ايضا من ملطية قاعدة متقدمة للأغراض آنفة الذكر، وهي ذات مزايا جغرافية وتعبوية مهمة[3]، تلتقي في سهلها عدة طرق وهي مفتاح آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ومدخل الجزيرة بالنسبة للجند العرب المسلمين القادمين من الغرب[4]، لذا وجه معاوية حبيب بن مسلمة الفهري ففتحها عنوة ورتب فيها المرابطة من المسلمين وشحنها بجماعة من اهل الشام والجزيرة

---

(1) C. E. Bosworth , The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab Incursions. PP. 119-121. The Foruth Internationl Confrence on the History of Bilad al – Sham, (Amman 1987) .

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص165؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج5، ص2225. عمورية: مدينة ببلاد الروم غزاها المعتصم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص355.

(3) قدامة بن جعفر، الخراج، ص187.

(4) ينظر ص من هذا الكتاب.

اثناء مروره بها في طريقه للغزو في بلاد الروم في أحد الايام، إذ انها كانت طريق الصوائف[1].

وتتأكد أهمية هذا الثغر العسكرية أكثر مع تطور أحداث الحرب مع الروم الذين طالما سعوا للسيطرة عليها مستغلين كل ضعف أو فتور ينتاب قوة المسلمين الموجهــة ضدهــم، كمــا حصــل ذلك اثنــاء حركة عبدالله بن الزبير (64-73هـ/683-692م) في خلافة عبد الملك بن مروان، إذ اضطر المسلمون المقيمون فيها إلى هجرها فخربها الروم[2]، واشتراها منهم فيما بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز مقايضة بمئة الف أسير وبناها[3]، وفي سنة 123هـ/ 740م خرج الروم اليها مرة أخرى بجيش جرار، فأغلق اهلها المسلمون ابوابها وقاتلتهم من على أسوارها حتى النساء وهن معتمات بالعمائم، واستنجدوا بالخليفة هشام بن عبد الملك الذي ندب بدوره المسلمين إلى ملطية، ثم أتاه الخبر بانسحاب الروم عنها، فبعث مع رسول أهل ملطية خيلاً للرباط بها ثم قصدها بنفسه وعسكر عليها حتى بنيت[4].

إن تواصل المجابهة الحربية أوجب على العرب المسلمين انشاء حصون جديدة في مناطق حيوية ومهمة ذات أثر فعال في تغيير مجريات الصراع لحسابهم، فقد عمل الخليفة معاويةعلى تعزيز الخطوط الدفاعية باقامة حصني مرعش والحدث[5]، وهما ثغران يرابط فيهما المسلمون ويجاهدون[6]، من الثغور الجزرية

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص185. ينظر ايضا: هاشم اسماعيل جاسم، الخطة العسكرية الدفاعية للثغور البرية والبحرية حتى نهاية العصر الاموي، مجلة آفاق عربية، بغداد السنة السابعة العدد 6، شباط 1981م، ص45.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص185.

(3) الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ)، فوات الوفيات، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر 1951م)، ج2، ص208 ؛ ينظر ايضا: ابن عربي، محاضرة الابرار، مج1، ص142.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص186 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص318.

(5) ينظر خارطة رقم (1).

(6) [2]ابن حوقل، صورة الارض، ص ص166-167؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص47.

بينهما خمسة فراسخ[1]، إذ شيد مرعش التي سبق ان خرب المسلمون حصنها على يد القائد خالد بن الوليد إبان الفتوحات، وهي ذات اهمية عسكرية ملحوظة ذلك أن سلسلة جبال طوروس كانت تمتد من منطقة كوماجين[2] صوب الجنوب الغربي بالقرب من مرعش في مواجهة سفوح الامانوس (اللكام) وبينهما سهل يمكن اجتيازه بيسر من الجنوب والشرق، مما يؤدي دور ملطية نفسه في الطرف الاخر من السلسلة[3] وهي شرقي نهر جيحان شمالي الهارونية على مسافة اقل من يوم والى الجنوب من ملطية بمسافة ثلاث مراحل[4]، وهي ((ثغر ليس وراءه الاّ عمارات العدو[5])) بناها الخليفة معاوية وشحنها بالمقاتلة وقد اضطر المسلمون إلى هجرها بعد ان هاجمهم الروم مستغلين حالة الفتور في دفاع المسلمين الفعّال اثناء الفتن التي اعقبت وفاة الخليفة يزيد بن معاوية[6] سنة 65هـ/ 684م، وفي سنة75هـ/ 694م كانت للمسلمين بقيادة محمد بن مروان بن الحكم وقعة كبيرة مع الروم عند مرعش الحقوا بهم هزيمة شنعاء[7].

وبمرور الايام تاكدت أهمية هذا المنشأ العسكري الحصين أسوة بغيره من العمائر الدفاعية الثغرية، من خلال جهود الخلافة الاموية المتواصلة لاعمارها وشحنها بالعدد والعدة ومساعي البيزنطيين بالمقابل لاستعادتها واحكام السيطرة عليها، فقد عمرّها العباس بن الوليد بن عبد الملك في أحدى حملاته وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجداً جامعاً، مما يشير إلى ضخامة اعداد هؤلاء المرابطين إلى الحد الذي استوجب اقامة مسجد جامع لهم، وفيه ايضا دلالات على عزم العرب

---

(1) قدامة بن جعفر، الخراج، ص ص 115-186.

(2) كوماجين: لم اعثر على ترجمة لها في المصادر المتيسرة.

(3) هاشم اسماعيل جاسم، الخطة العسكرية، ص45.

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص67.

(5) قدامة بن جعفر، الخراج، ص115.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص188؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص235-236.

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص188.

المسلمين على الاستقرار الدائـم بها وعدم التخلي عنها لاي سبب كان، وكان العباس بن الوليد يلزم عرب الجزيرة البعث اليها للجهاد والمرابطة[1]، وفي خلافة مروان بن محمد (127-132هـ/745-750م) لما شغل بحرب أهل حمص المنتقضين عليه، خرجت الروم وحصرت المسلمين في مرعش، فبلغ ذلك مسامع مروان وهو نازل على حمص فكاتب أهل مرعش يأمرهم بالصبر ((وانه قد وجه اليهم فلاناً في كذا وفلاناً في كذا وأن قد اتوكم وبعث بكتابه رجلا من الطلائع وأمره ان يتصدى لاهل مرعش حيث يراه الروم وتطمع فيه فاذا رآها خارجة اليه ولّى عنها والقى الكتاب، ففعل واخذته الروم فأتت به طاغيتها، وكان ذلك سبباً لاجابته أهل مرعش على أمانهم))، فلما فرغ الخليفة مروان من اهل حمص قطع بعثاً من اهل الشام وامرهم ببناء مدينة مرعش، واعمار حصنها الذي خربه الروم، وولى بناءها زياد بن ابي الورد الدمشقي[2] الذي عمرها وشيد في وسطها حصناً عليه سور عرف بالمرواني نسبة إلى الخليفة مروان بن محمد[3] ولم تلبث الروم حتى عاودت تخريبها بعد ان بنيت وعمرت في الفتنة التي اطاحت بخلافة مروان ابن محمد واسقطت الخلافة الاموية سنة132هـ/750م، فاعاد العباسيون بناءها مجدداً في خلافتي ابي جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م)، والمهدي (158-169هـ/775-785م)[4].

وجدد الخليفة معاوية بن ابي سفيان بناء ثغر الحدث في خلافته والذي فتح على يد حبيب بن مسلمة الفهري في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[5]، وهو من الثغور الجزرية المهمة ذو موقع عسكري ممتاز أقيمت قلعته الحصينة على ظهر

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص188 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص236.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج19، ص247؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص3953. ينظر ايضا: البلاذري، فتوح البلدان، ص188 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص319.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، ص249.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص188 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص319.

(5) قدامة بن جعفر، الخراج، ص115.

جبل الأحيدب بين ملطية وسميساط ومرعش[1]، تسيطر على درب الحدث الذي يعد من اهم الدروب النافذة إلى بلاد الروم يوصل بين مرعش (جرمانيقيه) والبستان – تسمية متأخرة لابلستين – عرب سوس على الضفة اليسرى لنهر جيحان الذي تناوب المسلمون والروم السيطرة عليه لاهميته التعبوية[2].

وتطلبت ضرورات المجابهة من الخلافة الاموية في عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) أقامة تحصينات دفاعية جديدة في مناطق موغلة في ارض العدو، تأكدت للمسلمين اهميتها وضرورات تشييدها عقب اعتداءات الروم المتكررة – المذكورة سابقا – على ملطية ومرعش وغيرها من مدن الثغور اثناء فتور هجمات الردع العربية الاسلامية، كما حدث ذلك عقب وفاة الخليفة يزيد ابن معاوية سنة64هـ/683م، لهذا زيادة في التحصين ولتجاوز ما حدث شيّد الخليفة عبد الملك على يد ولده عبد الله ثغري طرنده والمصيصة، فالأولى تقع شمال غرب ملطية موغلة في بلاد الروم في أعالي نهر القباقب عرفت باسم ترنته (Tranta) من قبل البيزنطيين[3]، اقامها عبد الله بن عبد الملك سنة83هـ/702م وبنى للمسلمين المساكن فيها واتخذ منها حصنا للرباط وتعويق العدو ومثابة انطلاق متقدمة نحو بلاد الروم مستقبلاً، و((كانت تأتيهم طالعة[4] من جند الجزيرة في الصيف فيقيمون بها إلى أن ينزل الشتاء وتسقط الثلوج فاذا كان ذلك قفلوا[5])) ولقساوة البرد وتساقط الثلوج فيها ولايغالها بعيداً في ارض الروم عزم الخليفة عمر ابن عبد العزيز على ترحيل اهل طرندة عنها وهم كارهون لهذا، وذلك لاشفاقه

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص124.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص189-190؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص115.

(3) لسترنج، بلدان الخلافة، ص153. ينظر: خريطة رقم (1).

(4) الطالعة: والطليعة هم القوم يعبون لمطالعة خبر العدو، وطليعة الجيش الذي يطلع من الجيش يبعث ليطلع طلع العدو. ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص237. (مادة طلع).

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص185-186، قدامة بن جعفر، الخراج، ص320، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص242.

عليهم من العدو ان ينقض عليهم مستثمراً مثل هذه الظروف، فرحلوا ولم يدعوا شيئاً[1]، ويدخل مثل هذا الاجراء الاحترازي ضمن إطار سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز في الحرص على سلامة الجند على كل الجبهات اقتداءً بالخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وحسب متطلبات الموقف العسكري.

أما المصيصة الواقعة على نهر جيحان بين انطاكية وبلاد الروم بالقرب من طرسوس فقد مصرت هي الاخرى سنة84هـ/ 703م من قبل عبد الله بن الخليفة عبد الملك، لما قاد الصائفة إلى هناك من درب انطاكية، فبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكاناً من الجند من أنطاكية ولم يكن العرب قد سكنوها قبل ذلك، وبنى لهم مسجداً جامعاً وكانت الطوالع تأتيها من انطاكية في كل عام تشتو بها ثم تنصرف[2]، ويتاكد للباحث أمر جدير بالاشارة هو نضوج الفكر العسكري لدى الخليفة عبد الملك وابنه عبد الله الذي أمر باقامة هذا المشيد الدفاعي المهم وتنفيذه، من خلال تزايد اهميته التعبوية بتواصل المجابهة الحربية واستمرار اقامة التعزيزات الدفاعية له من قبل الخلفاء الامويين المتعاقبين، فقد أمسك الخليفة عمر بن عبد العزيز عن هدم المصيصة وتخريب الحصون التي بينها وبين انطاكية عند زيارته لها، وهو أمر كان قد عزم عليه سابقاً، خشية منه على جند حاميتها من محاصرة الروم لهم هناك، وذلك عندما اعلموه أنها إنما عمرت ليدفع من بها الروم عن انطاكية وانه إن هدمها ((لم يكن للعدو ناحية دون انطاكية[3])).

ولزيادة اعداد المرابطين في المصيصة بمرور الزمن وبمن يفد اليهم مجاهداً – على ما يبدو – بنى الخليفة هشام بن عبد الملك الربض ثم بنى مروان بن محمد حصن الخصوص في شرقي جيحان[4]، وبذلك احكم الامويون تحصين هذا المصر الثغري المهم باقامة الترتيبات الدفاعية حوله.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص188 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص ص317-318.

(2) المصدر نفسه، ص307.

(3) المصدر نفسه، ص308.

(4) المصدر نفسه، ص308.

وبهدف احكام الخطوط الدفاعية الثغرية وترصينها ولديمومة الاتصال بينها عمد المسلمون في العصرين الراشدي والاموي إلى انشاء الطرق واقامة الجسور على المعابر والمنافذ التي تسلكها قطعات المجاهدين الذاهبة باتجاه ارض الروم، فقد ذكر البلاذري[1] ان المسلمين أقاموا جسراً عند منبج[2] لمرور جند الصوائف في خلافة عثمان ﷺ ولمتطلبات وضرورات المجابهة ايضا شيّد الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة125هـ/742م جسراً يربط ما بين المصيصة وأذنة على بعد تسعة أميال من المصيصة ويدعى جسر الوليد[3].

وزيادة في التحوطات الامنية ولضمان مرور المقاتلة المسلمين بمناطق مؤنسة غير موحشة على طول تلك الطرق وترسيخاً للوجود الاسلامي هناك بما يرفع الروح المعنوية للمقاتلة، عمد الخلفاء الامويون إلى اسكان رعاة الجاموس مع قطعانهم التي جلبت من السند في الثغور المواجهة للروم في زمن الخليفتين الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م)، ويزيد بن الوليد (126هـ/743م) ولم يزل مثل هذا الاجراء الامني معمولاً به على عهد الخلفاء العباسيين[4] مما يشير وبلا ادنى شك إلى بعد النظر العسكري ودقة الحسابات المستقبلية لدى الخلفاء الامويين عند تنفيذهم كل خطوة من خطوات الخطة التعبوية الدفاعية في الثغور الاسلامية.

تواصلت عمليات تشييد واعمار القلاع والحصون في الثغور الاموية على قدم وساق طيلة العصر الاموي في المناطق التي استرعت اهميتها الحربية الدفاعية أقامة مثل هذه المشيدات ففي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/723-742م) شُيد حصن طرغاش على يد عبد العزيز بن حيان

---

[1] فتوح البلدان، ص151.

[2] منبج: مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة... بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8، ص 325.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص168.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، ص168 ؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص162، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص159.

الانطاكي، واقام ببغراس مسلحة جديدة وابتنى لها حصناً، وشيد حصن بوقا من اعمال انطاكية الذي جدد واصلح فيما بعد[1].

وقد بلغت خطة الامويين الدفاعية هذه مرحلة متقدمة جداً على يد الخليفة المقاتل مروان بن محمد (127-132هـ/744-749م) الذي عزز خط الدفاع الثغري الاوسط – الواقع بين الخط الساحلي (البحري) والخط النهري – ببنائه حصن منصور، ذي الموقع الحربي غربي الفرات والذي يعد عقدة مواصلات مركزية بين كل من زبطرة ومرعش وملطية وسميساط، هذا الحصن الذي نسب إلى منصور بن جعونة العامري القيسي الذي تولى بناءه وكان مقيماً وقتذاك ليرد العدو وبصحبته اعداد كبيرة من جند الشام والجزيرة وارمينية[2].

وما اختيار الخليفة المقاتل مروان بن محمد لموقع كهذا لاقامة ذلك الحصن، الا شاهد صادق على ما تحلى به من فكر سوقي وتعبوي مبدع بلغ من البراعة في توزيع الحصون حداً أعطى ساحة الحركات الثغرية شكلها النهائي، تقاربت فيها الحصون إلى بعضها حتى غدت وكأنها سور محصن، إذ لاحظ وجود بعض الثغرات التي تتخلل خطوط الدفاع الطولية، فقرر بناء هذا الحصن وسواه من الحصون التي شكلت خطوط دفاع عرضية جعلت من ساحة الحركات الحربية الثغرية عبارة عن عقد دفاعية يسرت احكام قبضة المسلمين على ميدان المجابهة الرئيس مع الروم البيزنطيين[3] طوال العصر الاموي، لابل ان عمليات الاعمار واعادة التحصين والشحن بالمقاتلة والسلاح المستمرة بين الحين والآخر لهذه المشيدات الدفاعية طوال العصر العباسي الاول التي أوجدها الامويون، تعد بحق شاهداً على المستوى الفكري الرفيع الذي بلغه قادة الجهاد في العصر الأموي[4].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص167 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص309، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص227.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص167 ؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص321، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص249.

(3) هاشم اسماعيل جاسم، الخطة العسكرية، ص47.

(4) ينظر: نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العربية البيزنطية في العصر العباسي الاول دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ط1، المكتبة الفيصلية، (مكة المكرمة 1985م)، ص ص 17 – 23.

أساليب التحصين ووسائله في الثغور:

اما عن اساليب التحصين ووسائله التي اعتمدها المسلمون عند تنفيذ الخطة التعبوية الدفاعية في الثغور، ففضلاً عمّا عرفوه سابقاً من أساليب ووسائل تُعتَمدْ في هذا الشأن، فقد أشار كريزول[1] إلى ان الخلفاء الامويون كانوا قد شيدوا قصوراً لهم في بلاد الشام مربعة الشكل ذات ابراج دائرية للمراقبة مزودة بفتحات تخللت الاسوار لرمي السهام والنفط وبقية المقذوفات الدفاعية تسمى السقاطات(Machicoulis) محصنة بأسوار وخنادق على غرار الحصون والقلاع الرومانية التي سبق ان شيدت في بلاد العرب والتي اطلع عليها الخلفاء الامويين في بداية الامر.

وعليه فالأجدر بالعرب نقل ما تجمع لديهم من خبرة في مجال التحصين ووسائله وأساليبه إلى اهم ميدان من ميادين المجابهة الحربية مع البيزنطيين وهي الثغور، وهذا ما حصل فعلاً على ما يبدو من خلال الاشارات التاريخية الواردة في المصادر مستفيدين مما ورثوه عن عدوهم من خبرة ومشيدات ومجابهين اياه بالاساليب والوسائل ذاتها التي استخدمها يوما ما البيزنطيون في حروبهم ضد المسلمين واعدائهم السابقين لا سيما الفرس الساسانيين وكانت سبباً في تفوقهم.

يعد اختيار الموقع الجغرافي المحصن طبيعياً أول مسألة اهتم المسلمون بها عند اقامة خطوطهم الدفاعية على طول جبهة الحرب مع الروم، لاجل ضمان أمن وسلامة مقاتلتهم ورصانة بنيانهم معمارياً وتعبوياً، كقمم الجبال المشرفة على السهول الفسيحة والدروب والمضايق المهمة أو الاراضي المحاطة بسلاسل من الجبال العالية، وعلى ضفاف الانهار الكبيرة التي من شأنها ان تستر جانباً من المنشأ الدفاعي، وبذلك يكون المسلمون قد جابهوا الروم بالاساليب والوسائل ذاتها التي كانت من مصادر قوتهم، وهذا ما بدا جلياً في بنيان المصيصة[2] واذنه[3] والحدث[4] وزبطرة[5].

---

[1] Creswell , Opcit , PP 89-90 .

[2] الاصطخري، المسالك والممالك، ص47 ؛ ابن حوقل، صورة الارض، ص168.

[3] ابو الفدا، تقويم البلدان، ص249.

[4] البلاذري، فتوح البلدان، ص188؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص124، لسترنج، بلدان الخلافة، ص154-155.

[5] ابو الفدا، تقويم البلدان، ص234.

بعد اختيار الموقع الحصين لهذه المشيدات، أخذ المسلمون بتحصينها بكافة الوسائل والأساليب المعروفة والمتاحة لديهم كالاسوار المفردة والمزدوجة والخنادق وابراج المراقبة والانذار والشرفات الدفاعية، وهذا ما حصل في مدينة طرسوس الثغرية – على سبيل المثال – التي حصنت بخطين من الاسوار الحجرية[1]، وصفها أبو عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي (ت حوالي400هـ) في كتابه (سير الثغور) بانها مدت ((على سورين في كل سور منها خمسة ابواب حديد، فابواب السور المحيط بها حديد ملبس[2] وابواب السور المتصل بالخندق حديد مصمت، فالسور الاول يلي المدينة مُشَرَّفٌ[3] تعلوه ثمانية الآف شرافة، فيها مرتبة عند الحاجة إلى الحرب عنها رجال يرمون عن ستة عشر الف قوس رمية رجل واحد، وفي هذا السور من الابراج مائة برج سواء[4]))، وعلى الرغم من أن هذه الارقام الورادة في النص قد يبدو عليها المبالغة في الوصف، فأنها تعطي تصورا تاريخيا جيدا عن مستوى التحصين ووسائله واساليبه في المدن الثغرية آنذاك الذي تطور عبر سنوات التاريخ حتى بلغ إلى هذا المستوى أيام الطرسوسي، وزودت مدينة اطرابلس الثغرية على الساحل الشامي هي الاخرى بالوسائل الدفاعية المذكورة سابقا نفسها كما اوضح ذلك ابن عساكر[5]، في حديثه عن اعتداءات الروم البيزنطيين المتكررة على سواحل الشام أيام الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/ 684-705م).

---

[1] ابن حوقل، صورة الارض، ص168.

[2] ملبس: اللبس الخلط. يقال: لبست الامر بالفتح، ألبسة اذا خلطت بعضه ببعض. والتلبيس كالتدليس والتخليط. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص ص 202-205. (مادة لبس).

[3] مُشَرَّفٌ: الشرفة ما يوضع في اعلي القصور والمدن والجمع شُرَفٌ وقصر مشرف مطول. ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص71. (مادة شرف).

[4] ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص 180-181.

[5] تاريخ مدينة دمشق، ج34، ص ص 402-403.

واحاط المسلمون حصن منصور بسور من الحجارة[1] وكذا الحال بالنسبة لانطاكية التي كانت من أهم الثغور في العصر الراشدي، قال عنها ابن بطوطة في رحلته الشهيرة: ((عليها سور محكم لا نضير له[2])) له ثلاثمائة وستون برجاً يطوف عليها بالنوبة جموع من المقاتلة للحراسة((وللسور دون الجبل خمسة ابواب[3]))، وحصنوا ثغور ملطية[4] وزبطرة[5] بأسوار ظلت تتعاورها ايديهم بالترميم والادامة كلما تشعث جزء منها أو هدمت على طول العصر الاموي ومن بعده العباسي لاهميتها الكبيرة والمتواصلة ودورها في حسم الصراع الحربي مع البيزنطيين، وحفروا الخنادق زيادة في الاستحكامات الدفاعية مع الاسوار في بعض الحصون المهمة كما هو الحال مع حصني المثقب والخصوص[6].

تجهيزات مجاهدي الثغور في العصر الاموي:

يملي البحث في موضوع عسكري تاريخي كهذا على الباحث أن يبين ماهية العدد والتجهيزات التي زود بها مقاتلة الثغور لا سيما وهم يقاتلون الروم ويتصدون لهم في عقر دارهم وهم أهل الارض والاعلم بها، والتي امتازت بالتضرس وقساو المناخ لا سيما في فصل الشتاء.

فقد أولت الخلافة الاموية الدروب المفضية إلى العمق الرومي والمدن الثغري المواجهة اهتماماً كبيراً، إذ عينت عدداً من القادة الافذاذ الذين صقلتهم التجارب وعجمت عودهم الحروب لادارة الجهاد وأمور المجاهدين الحياتية اليومية فـي الثغور أمثال عبد الرحمن بن خالد بن وليد الذي عين أميراً على الدروب[7] وسراقة

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص192؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص115.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص93.

(3) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص85-86.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص186.

(5) المصدر نفسه، ص191.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص166-167؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص224، ج5، ص2236.

(7) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج34، ص330.

ابن عبد الرحمن الذي وجهه الخليفة عمر بن العزيز سنة99هـ/ 718م أميراً على الثغور بعد أن أقفل مسلمة بن عبد الملك وجنده من القسطنطينية[1]، واستعمل الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي أميراً على ثغر مرعش من قبل الخليفة مروان ابن محمد[2]، ولم يزل هذا الامر معمولاً به منذ أيام الخلفاء الراشدين، حيث ((ولّى أبو عبيدة كل كورة فتحها عاملاً وضم اليه جماعة من المسلمين وشحن النواحي المخوفة[3])).

فضلا عن ذلك اهتمت الخلافة بالشؤون الادارية الاخرى المتضمنة اطعام المقاتلة وعيالاتهم وميرتهم وتسليحهم اهتماماً يستحق الذكر والثناء – لم تشر اليه الدراسات الحديثة المتيسرة والمتعلقة بالموضوع[4] – إذ أقامت الاهراءات لحفظ المواد الغذائية وخزنها في ثغر المصيصة حين مصرها عبد الله بن عبد الملك سنة84هـ/703م أذ أتخذ كنيسة الحصن هرياً، وفي ملطية بني اهراء آخر استبقاه الروم ولم يهدموه حين هاجموها سنة133هـ/750 م[5]، وعنى الامويون بوسائل الشرب في المدن الثغرية وخير شاهد على ذلك انشاء الخليفة عمر بن عبد العزيز صهريجاً لحفظ مياه الشرب والوضوء في مسجد المصيصة لما زارها[6]، وحفروا

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج20، ص153 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص4198.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص188.

(3) المصدر نفسه، ص151.

(4) ينظر: هاشم اسماعيل جاسم، الخطة العسكرية، ص ص 42-38؛ طاهر مظفر العميد، تحصينات الثغور العربية البرية المواجهة للبيزنطيين، مجلة الدفاع، جامعة البكر للدراسات العسكرية العليا، العدد الثالث، السنة الثالث1987م، ص ص49-70، عبد الهادي ابو شعيرة، المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال طوروس في صدر الدولة العباسية، كتاب الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين، دار المعارف، (مصر 1962م)، ص ص147-167، باسيلي انطوانيت أديب، ثغور العرب في التاريخ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد33، تموز 1981م، ص ص63-71، العدد34، آب 1981م، ص ص54-61، العدد36 تشرين الاول، 1981م، ص ص60-69.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص65-166، 186-187.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص166؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص162.

الابار لتوفير المياه في ملطية[1]، وفي هذا السياق يمكن القول ان قيام الخليفة الوليد ابن عبد الملك ومن بعده الخليفة يزيد بن عبد الملك بنقل قطعان الجاموس مع رعاتها من السند إلى الثغور بين المصيصة وانطاكية كان يهدف في جانب منه إلى توفير الموارد الغذائية لسكنة الثغور المجاهدين[2]، رداً على سياسة الارض المحترقة التي سبق ان اتبعها الامبراطور هرقل عند انتقاله من انطاكية إلى القسطنطينية[3] ((لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم[4]))، فضلاً عن ذلك قام الامويون باحضار ((خوابي الخل والزيت[5])) إلى طرندة لحفظ هاتين المادتين الغذائيتين المهمتين بالنسبة للمقاتلة المرابطين لفترات طويلة في مناطق اتسمت بقساوة البرد وتساقط الثلوج شتاءً.

وفي هذا السياق روى ابن قتيبة (ت276هـ) أن أحدهم سأل عمراً بن معاوية العقيلي[6]، وكان صاحب صوائف أيام الخليفة معاوية ((بم ضبطت الصوائف؟ أي الثغور قال: بسمانة الظهر وكثرة الكعك والقديد[7])).

وحرص الخلفاء الرشدون والامويون على تزويد الثغور بالركائب كعدة اساسية من عُدد الجهاد وحرصوا كذلك على توفير العلوفة لها بحماية المروج الخضراء للرعي كما هو الحال مع مرج عبد الواحد في ضواحي الحدث الذي حماه

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص186.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص168 ؛ ابن الفقيه، كتاب البلدان، ص162.

(3) Bosworth , Opcit , PP 119,124 .

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص164.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص186؛ زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني وتاريخه الكبير لعصر صدر الاسلام والعصر الاموي، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة القاهرة 1961م، ص120-121.

(6) عمرو بن معاوية العقيلي من جند دمشق سمع معاوية بن ابي سفيان وأمره على الصوائف ويقال أن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ولاه ارمينية. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص361.

(7) عيون الاخبار، ج1، ص116. الكعك: الخبز اليابس وقيل: الكعك الخبز، فارسي معرب. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص481. القديد: اللحم المشرح والمقدد أو ما قطع منه طوالاً، الفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت816هـ)، القاموس المحيط، دار الفكر، (بيروت1930م)، ج1، ص326.

عبد الواحد بن الحارث بن الحكم ابن عم الخليفة عبد الملك بن مروان لخيول المسلمين[1]، واشار ابن العديم في رواية له بهذا الخصوص إلى ان ما ورد من الشعير برسم العُشر في ثغر طرسوس كان يطلق ((للادلاء المؤلفة قلوبهم رسماً على مقدار كراعهم قضيماً لها في كل سنة وحمل سائرة لقضيم بغال الساقة اولاً اولاً[2])).

بل ان في بعض الثغور خصصت داراً احتوت لوازم خيول الجهاد وعدتها كما هو الحال في طرسوس التي وصفها ابن العديم بقوله[3]: ((وهذه الدار بيوت سفالي واصطبلات ومخازن وعلالي أما الحوانيت فهي وقف على سبعة أفراس تكون في مربط هذه الدار بسروجها وآلاتها وجلالاتها ويقام بقضيمها وانعالها ومساميرها وأجره بياطرتها واجرة ساستها وقد رسمت هذه الافراس السبعة كل فرس منها بقائد من قواد طرسوس)). واقيمت مخازن لحفظ الاسلحة وعدد القتال الاخرى في المدن الثغرية، كما هو الحال في المصيصة، ففي هذا الشان انفرد ابن العديم برواية مهمة نقلها عن تاريخ ((ابي محمد عبد الله بن احمد الفرغاني)) جاء فيها انه سنة 351هـ/962م وجد تحت مسجد المصيصة الجامع واحدا من هذه المخازن مبنيا على هيئة طابقين ((وفيه صناديق كثيرة فيها خمسة الاف درع يغطي الفارس كل درع ببرنس معمول منه وبه، وخمسة الاف جوشن وخمسة الاف خوذة وخمسة الاف ساعد حديد وخفاف حديد بساقات وخمسة الاف رمح بأسنتها ونفط ودهن بلسان وقسي كثيرة للرجل ونشاب وخوابي فيها كبود قد طبخت وجففت وطيبت للقوت في الحصار يقتات بها))، ويرجع تاريخ اقامة هذه المخزن وما يحتويه إلى ايام الخليفة عبد الملك بن مروان[4].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص181، 191.

(2) بغية الطلب، ج1، ص181.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص184.

(4) ابن العديم، بغية الطلب، ج5، ص2068. ينظر ايضاً، ص ص2037-2038.

ويتضح من هذه الراوية التاريخية المستوى العالي للتسليح والتجهيز الذي بلغه المقاتل المسلم في الثغور في العصر الاموي، وهذا الاهتمام المنقطع النظير بالمدن والحصون الثغرية وتجهيزها بكل ما يحتاجه المقاتلة يؤكد مرة اخرى دورها الكبير ليس فقط في الدفاع والتصدي وانما في رفد الجيوش الاسلامية القادمة اليها من دمشق وغيرها من الامصار والمتجهة إلى بلاد الروم برسم الجهاد، ويعد هذا بحد ذاته رداً عملياً على واحد من الاساليب التي عمل بها البيزنطيون أنفسهم في حروبهم السابقة، اذ شيدوا محطات عدة على طول الطرق الحربية المهمة شحنت بالمقاتلة الذين جمعوا من المقاطعات التي تمر بها هذه الطرق لأجل رفد ومساعدة الجيش الامبراطوري في حروبه ضد الفرس الساسانيين وضد العرب المسلمين من بعدهم[1].

ومما تقدم يمكن القول أن العرب المسلمين في صدر الاسلام والعصر الاموي على الرغم من ان عقيدتهم العسكرية كانت عقيدة هجومية، فانهم حرصوا أشد الحرص على وضع وتنفيذ خطة تعبوية دفاعية في الثغور محكمة بكل التفاصيل لمجابهة الروم البيزنطيين، ذلك العدو الذي استمر يمثل خطراً يهدد قلب دولة الاسلام في العصر الاموي حتى كانت الحرب جراء ذلك سجالاً بين الطرفين.

---

[1] Ramsay , Opcit , P. 199 .

الفصل الرابع

الصوائف والشواتي

مفهوم الصوائف والشواتي في اللغة والاصطلاح

البدايات التأريخية الأولى للصوائف والشواتي

دواعي اعتماد أسلوب الصوائف والشواتي

تنظيمات مقاتلة الصوائف والشواتي

إعداد مقاتلة الصوائف والشواتي وتجهيزهم

علاقة مقاتلة الصوائف والشواتي فيما بينهم

التعبئة القتالية في الصوائف والشواتي

أهداف حملات الصوائف والشواتي

مفهوم الصوائف والشواتي في اللغة والاصطلاح:

اتسمت العقيدة العسكرية العربية الإسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي بانها تعرضية وليست دفاعية، إذ تطلب الجهاد في سبيل الله تعالى نشراً للإسلام وذوداً عنه خوض الكثير من المعارك، وما حملات الصوائف والشواتي السنوية إلا تجسيد عملي لهذا المبدأ وتطبيق فعلي لخطة الدفاع السيار الذي عمل به المسلمون في صراعهم الحربي مع الروم البيزنطيين في العصرين الراشدي والأموي انطلاقاً من مضمون قول الخليفة أبي بكر ﷺ ((لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل[1])) ومن قول الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ: ((.. ما غُزِيَ قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا ...))[2].

فالصوائف (لغة) من الفعل صيَّف: الصيف من الأزمنة معروف وجمعه أصيافٌ وصيوفٌ ويومٌ صائفٌ أي حار وليلةٌ صائفةٌ... وتصيَّف: من الصيف كما يقال تشتى من الشتاء. وأصاف القوم: دخلوا في الصيف وأصافوا بمكانٍ كذا: أقاموا فيه صيفهم وصفتُ بمكان كذا وكذا وصفته وتصيفته وصيَّفته... والصائفة: اوان الصيف والصائفةُ الغزوة في الصيف.. والصائفة والصيفية: الميرة قبل الصيف. وسميت غزوة الروم الصائفة لأن سنتهم أن يغزوا صيفاً ويقفل عنهم قبل الشتاء لمكان البرد والثلج[3].

أما الشاتية من الفعل شتا، والشتاء اسم مفرد لاجمع بمنزلة الصيف لأنه أحد الفصول الأربعة ويدلك على ذلك قول اهل اللغة أشتينا دخلنا في الشتاء وأصفنا دخلنا في الصيف، وأما الشتوه فإنما هي مصدر شتا بالمكان شتواً وشتوة للمرة الواحدة، كما نقول: شتا بالمكان شتواً وشتوه للمرة الواحدة، كما نقول صاف

---

[1] الطبري، تاريخ، ج1، ص210.

[2] الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص ص53 – 54.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص ص200 – 202.

بالمكان صيفاً وصيفةً واحدة والنسبة الى الشتاء شتوي.. وتشتى المكان: أقام به في الشتوة.. وشتوت بموضع كذا قمت به الشتاء[1].

والصوائف من حيث الاصطلاح – ومفردها صائفة – هي العمليات الحربية السنوية التي كانت تنظمها الدولة العربية الإسلامية بهيئة جيوش مختلفة العدد والعدة يتم ارسالها صوب العمق البيزنطي لأداء مهمات قتالية معينة في فصل الصيف، وتبدأ عادة من أواسط شهر تموز وتستمر لمدة ستين يوماً أو يزيد على حد وصف قدامة بن جعفر[2](ت310هـ) الذي لم يختلف مع الشيباني (ت181هـ) في ذلك والذي عرف الصائفة بأنها ((اسم للجيش العظيم الذي يجتمعون في الصيف ثم يغزون إذا دخل الخريف وطاب الهواء [3])).

اما الشواتي فهي الاخرى حملات سنوية توجه صوب أرض الروم في فصل الشتاء لغرض تنفيذ عمليات عسكرية محددة، وهذه الحملات أيضاً تتفاوت من حيث العدد والعدة حسب طبيعة تلك العمليات المراد أنجازها، وقد قدم قدامه بن جعفر وصفاً لما يجب ان تكون عليه هذه الحملات الشتوية السنوية جاء فيه ((ان كان لابد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل وليكن مسيرة عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره وان يكون ذلك في آخر شباط فيقيم الغزاة الى ايام تمضي من آذار فانهم يجدون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواباً ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون))[4].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص421، ينظر أيضا: ابن فارس، أبو أحمد بن فارس بن زكريا (ت395)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، ط3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (مصر 1970)، ج3، ص245. (مادة شتى).

(2) الخراج وصناعة الكتابة، ص ص192 – 193، بسام العسلي، فن الحرب، ص224، إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون في البحر المتوسط، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة (د 0 ت) ص ص 104 – 107.

(3) الشيباني، شرح كتاب السير الكبير، ج1، ص31، ينظر أيضا: المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد (ت656هـ)، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1417هـ)، ج2، ص176.

(4) الخراج وصناعة الكتابة، 193.

ويبدو ان هذا وصف افتراضي لما يجب أن تقضيه قوة الشاتية من زمن لا ينطبق على جميع شواتي المسلمين في العصر الأموي فقد أستمرت بعض الشواتي مقيمة في عمق بلاد الروم لمدة سنتين تشتو وتصيف على التوالي بناءً على ضرورات ومقتضيات المجابهة، كما حصل ذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي شتّا عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد سنتين في جيش مقيم بأرض الروم يدخل عليه القواد سنة سنة يصيف ويشتو عنده لم يغفل عنه حتى مات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرض الروم[1].

البدايات التاريخية الأولى للصوائف والشواتي:

ترجع البدايات التاريخية الأولى لأتباع هذا الأسلوب في المجابهة الحربية مع الروم إلى أيام الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حينما زار الشام سنة 17هـ / 638م اذ كانت الصوائف والشواتي من الإجراءات العسكرية الإدارية التي اتخذها هناك إذ ((قسم الأرزاق وسمى الشواتي والصوائف وسدّ فروج الشام ومسالحها[2])) وفعلاً بدأت أولى عمليات المسلمين التعرضية على الروم بهيئة صوائف في تلك السنة، والتي كانت في الوقت ذاته ركناً مكملاً لخطة المسلمين الدفاعية في الثغور المواجهة للروم، اذ توجه خالد بن الوليد وعياض بن غنم من الجابية سنة 17هـ / 638م ((فخرجا في دروب الروم فأصابا أموالاً عظيمة وسلما[3])) وهي أول مدربا كانت في الإسلام على حد قول ابن العديم[4]، ويروى ان ميسرة بن مسروق العبسي دخل غازياً بارض الروم سنة 20هـ /641م فغنم وسلم[5]، وفي سنة 32هـ/752، قاد معاوية بن أبي سفيان الصائفة حتى بلغ عمورية ومعه جمع من اصحاب رسول

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج39، ص ص329 – 330.

[2] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص66 – 67؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص ص559 – 562

[3] الطبري تاريخ، ج4، ص66؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص265، ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص142.

[4] بغية الطلب، ج1، ص30.

[5] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص107، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج61، ص320.

الله ﷺ[1]، وقد شهدت هذه الصائفة البدايات الاولى للتعاون الجاد بين المقاتلة المسلمين على جبهتي مصر والشام في عمليات الصوائف والشواتي لدحر الروم وردعهم[2]، واشار ابن الاثير من جانبه الى ان هذه الغزوة كانت سنة 25هـ/645م[3].

أما عن البدايات الاولى لعمليات الشواتي فعلى الرغم من الاشارة التاريخية الصريحة آنفة الذكر ان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان قد سمى الشواتي وحددها سنة 17هـ/638م فان ابن سعد[4](ت230هـ) وابن عساكر[5] (ت571هـ) اشارا الى ان المسلمين شتوا بأرض الروم سنة 42هـ/662م ((وهو أول مشتى شتوه بها))، وبهذا تكون هذه الشاتية اسبق تاريخياً من شاتية بسر بن أبي أرطأة[6] التي انفذها الخليفة معاوية سنة 43هـ/663م الى بلاد الروم[7]، والتي عدت أول شاتية للمسلمين في أرض الروم حسب أحدى الدراسات الحديثة ذات الصلة بالموضوع[8].

دواعي اعتماد اسلوب الصوائف والشواتي:

قبل البحث في كل ما يتعلق بمقاتلة الصوائف والشواتي من حيث أعدادهم ونوعية تجهيزاتهم وتعبئتهم في المسير والتعسكر والقتال، ومدى تطبيقهم لمبادئ الحرب الاساسية في هذه الفعاليات واي نوع من الرجال كان يصطفى لقيادتها

---

(1) الطبري، تاريخ، ج4، ص241، ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص221.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص57.

(3) الكامل في التاريخ، ج3، ص86.

(4) الطبقات الكبرى، ج5، ص224.

(5) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص114.

(6) بسر بن أبي أرطأة: عمير بن عويمر ...ابن عامر بن لؤي، كان فارساً شجاعاً وفي صحبته تردد، كان له نكاية بالروم بقي حياً الى خلافة عبد الملك بن مروان، ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج7، ص409؛ الذهبي، سير اعلام، ج4، ص492.

(7) خليفة بن خياط، تاريخ ج1، ص238؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2 ص167.

(8) صالح حسن عبد عيسى الشمري، العلاقات العربية – البيزنطية في العصر الأموي 41 – 132هـ/ 661 – 750م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1988، ص67.

وللجهاد فيها، ووصايا الخلفاء ورعايتهم لجند الصوائف والشواتي، وما الاهداف الآنية والمستقبلية المؤمل تحقيقها من هذه الفعاليات الحربية.

قبل البحث في كل هذه الامور الجوهرية التي لم اجد لها ذكراً في الدراسات الحديثة التي تناولت الموضوع والتي تسنى لي الاطلاع عليها، لابد من بيان اهم الاسباب التي كانت وراء انتهاج المسلمين لهذا الأسلوب التعبوي بالذات أكثر من غيره حتى غدا سمة مميزة من سمات الحرب بين العرب المسلمين والروم حتى نهاية العصر الأموي، تلك الاسباب التي يمكن استنباطها في ضوء المعطيات التاريخية.

والظاهر ان عامل الارض والمناخ كان له ابعد الأثر في اعتماد هذا الاسلوب، فالأرض تعد واحداً من العوامل الرئيسة التي تحدد شكل أو طريقة استخدام القوات وحجمها وأسلوب انفتاحها ونوعية التجهيزات والأسلحة الواجب توفرها[1]، واذا ما علمنا ان ارض الروم كانت قد اتسمت بالتضرس الشديد والمناخ القاسي، ((جلّها جبال وقلاع وحصون ومطامير وقرى في الجبال منحوتة وتحت الارض منقوبة، [2])) أدركنا جانباً من هذه الاسباب، لأن طبيعة تلك التضاريس (من جبال ومرتفعات ووديان) قد تفرض تأثيرها على المواقف الهجومية بطرق مختلفة، إذ تعيق قدرات ومناورات المهاجم، وتعطي المدافع مواضع مشرفة يستفاد منها في المراقبة والدفاع معاً، وتساعد على القيام بالحركات التراجعية بالإفادة من العوائق الطبيعية لحماية الأجنحة وتعطيل محاولات العدو الهجومية، وتؤدي وعورة تلك المناطق الى تباعد الطرق عن بعضها والتوائها وتحدد طاقتها، وعلى الرغم من ذلك فإنها تساعد بصورة عامة على حركات الدفاع، لاسيما لقوات المشاة (الرجالة) الصغيرة، ولاتساعد كثيراً على الحركات التعرضية باستخدام القوات الكبيرة الحجم

---

[1] قصي فالح عبد الرؤوف، الهندسة العسكرية في الفتوحات الاسلامية 11هـ/ 632م-132هـ/749م، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 1997م)، ص67.

[2] ابن حوقل، صورة الارض، ص181.

على نطاق واسع، وفي هذه التضاريس تكون المواضع الدفاعية المعادية قوية ومستندة الأجنحة في الغالب ويصعب القيام بمناورة ضرب الاجنحة والاحاطة ويتعذر القضاء على العدو بمعركة حاسمة، لأن مثل هذه الأراضي تسهل الانسحاب وتيسر إيجاد مواضع دفاعية لقتال التعويق ولقتال المؤخرات، وهنا يصعب التعاون التام بين أقسام الجيش المهاجم العامل بمثل هذه التضاريس إذا ما كان كبير الحجم، لاسيما في المضايق والمنعطفات الصخرية، وتتعرض خطوط ومواصلات المهاجم في هذه المناطق لخطر الانقطاع وهذا ما يستلزم تخصيص قوات كبيرة الاعداد لحماية هذه الخطوط، وإذا ما كانت هذه التضاريس في بلاد المدافع فانه يستفيد منها كثيراً؛ لأنه يعرفها جيداً، وان السكان المحليين يقدمون له مساعدات ثمينة وبذلك يستطيع شن حرب العصابات لمقاومة الجيش المهاجم[1].

ويبدو أن هذه الامور كانت تنطبق الى حدٍ ما على ساحة الحركات الحربية التي بين العرب المسلمين والبيزنطيين، وكانت نصب أعين المسلمين الذين لابد أنهم عقلوا شيئاً منها بارسالهم سرايا الاستطلاع الى العمق الرومي خلف الدروب منذ وقت مبكر من الحرب معهم.

فضلاً عن ذلك فان سعة ميدان المجابهة الحربية مع الروم من حيث الطول والعمق وتنوع تضاريسه وصعوبة تغطيتها بأكملها بقطعات مقاتلة لقصور حجم وقدرات جيش المسلمين عن تنفيذ مثل هذا الامر آنذاك، لأن عليه أيضاً مجابهة أعداء الأسلام الآخرين على الجبهات الاخرى ليس فقط الروم، وصعوبات إبقاء الجند لأزمان طويلة (تجميرهم) في تكنات عبارة عن قلاع وحصون تحت وطأة الظروف الجوية والتضاريس المعروفة لبلاد الروم، مما قد يؤدي الى إثارة امتعاض أولئك الجند وسخطهم على الخلافة وينعكس سلباً على دقة ومستوى ادائهم

---

[1] بلتير وبيرسي، لويس سي بلتير وجي. أيزل بيرسي، الجغرافية العسكرية، ترجمة: د. عبد الرزاق عباس حسن مراجعة اللواء الركن عبد المطلب أمين، دار الحرية، (بغداد 1975م)، ص63 ؛ وليد يونس خيري، الجغرافية العسكرية، دار الحرية، (بغداد 1976 م)، ص42.

القتالي وصدق نواياهم الجهادية، هذه الامور كانت على ما يبدو من جملة الأسباب التي دفعت المسلمين لأتباع اسلوب الصوائف والشواتي في قتال الروم منذ وقت مبكر من المجابهة معهم.

وفضلا عن هذا فقد كان للمناخ السائد هناك أثر بالغ الاهمية، ولاسيما ان الامكانيات المتيسرة للمسلمين وقتذاك قد لا تستطيع تأمين حماية الجيوش الكبيرة من التقلبات الجوية بصورة كافية ومضبوطة، فضلاً عن صعوبة تنقل القطعات الكبيرة وانفتاحها في الأيام الموحلة والمثلجة شتاءً، يضاف الى ذلك صعوبة الحركة المستمرة بسبب طبيعة الأرض الوعرة لما في ذلك من جهد، لذا كان عليهم تحديد حجم قواتهم المهاجمة واسلوب القتال في ضوء ذلك، وقد كانت الصوائف والشواتي من حيث وقت انطلاقها وزمن بقائها في ارض الروم خير اسلوب للتغلب على هذه المشكلة السوقية والتعبوية.

وكانت قوة العدو وحجم التهديد الذي يشكله ونوع التحصينات والتدابير الدفاعية المتخذة من قبله وتنظيمه وتسليحه لها الاثر البالغ في تحديد اسلوب التعبئة الواجب على المسلمين تطبيقها وقتئذ، فقد حذق الروم بأعمال الهندسة والابنية واتخاذ الحصون وعقد القناطر والجسور وكان لهم فيها حظ وافر على حد تعبير ابن الفقيه[1]، واعتمدوا منذ سنين سبقت الحرب مع العرب نظاماً دفاعياً فعالاً ومتميزاً وهو نظام الثيمات (البنود)[2] Themes فلأجل حماية آسيا الصغرى كان لابد من وضعها في حالة دفاع دائم، وقد أقتضى ذلك توزيع فيالق من الجيش (Themata) على جبهات من تلك البلاد تعسكر فيها بصفة دائمة، ولترغيب الجند بالأستقرار بأماكنهم تلك وشحذ هممهم للدفاع عن تلك المناطق التي استوطنوها منحتهم الامبراطورية قطعاً من الارض يستغلونها ويتمتعون بخيراتها وليس لهم

---

[1] كتاب البلدان، ص512.

[2] Ostorogrosky, Opicet, pp226 – 229.

بيعها، لأن منحها كان يتضمن إلزاماً بالخدمة في الجيش يرثه الابن عن أبيه[1]، ومنحت قائد الفيلق في الاقاليم سلطات مدنية وعسكرية مطلقة وبذا غدت آسيا الصغرى مقسمةعلى اقاليم حربية، وبالتدريج أعطت تلك الفيالق أسماءها للأقاليم التي أقامت بها، وكان الفيلق مقسماً على فرق Turma وهذه مقسمة الى الوية Moirai وتلك مقسمة على آلايات Tagmata وقد قسمت الاخيرة ايضاً الى بنود Banda وهذه التسمية التالية هي التي اختارتها المصادر العربية للدلالة على ما أسماه الروم الثيمات Themata[2].

واهم تلك الثيمات (البنود) في القرن السابع الميلادي وما تلاه هي الثيما أو البند الارميني، (Armeniakon) في الشمال الشرقي لآسيا الصغرى مجاور لأرمينية وثيما أنتولي كون (Anatolikon) ويشمل الجزء الجنوبي الاوسط من آسيا الصغرى من كبدوكيا غرباً الى بحر أيجه جنوباً حتى سيلوسيا والمتوسط، وكان واجب هذين البندين حماية قلب آسيا الصغرى من الهجمات العربية، أما البند الثالث فهو بند الأوبسكيون Opsikion المسمى بالحرس الامبراطوري وكان يغطي المنطقة الشمالية المركزية والشمالية الغربية لآسيا الصغرى والمجاورة للبحر الأسود والمضايق، وكان واجبه العمل كدرع حصين للعاصمة القسطنطينية، أما البند الرابع فهو بند سيبيريوت البحرية Cibgrrhaeot على السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى التي تضم جزيرة رودس وجزر بحر أيجه وكانت مهمة هذا البند حراسة وحماية تلك السواحل وسواحل البحر المتوسط من هجمات العرب المسلمين البحرية[3].

---

(1) بينز، نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس محمود محمد زايد، الدار القومية للطباعة والنشر، (د.ت) ص ص178-179؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية 323-1081م، دار النهضة العربية (بيروت 1982م)، ص ص120-123.

(2) إبراهيم أحمد العدوي، دراسات في التاريخ البيزنطي، المجلة التاريخية المصرية، م2، ع2، اكتوبر 1949م، ص ص87 – 88. ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ص166 – 170.

(3) ينظرخريطة رقم (7) باللغة الانكليزية، , Bosworth, Opcit p. .123

وكانت عساكر هذه الثيمات تقوموا على حراسة البلاد ووقايتها من الغارات الخارجية، فإذا حدث مثلاً أن اخترق المسلمون الحدود أبلغ القائد المحلي الأمر في الحال الى قائد اللواء فيرسل هذا بدوره في الحال تحذيراً الى الالوية المجاورة على حين تنطلق خيالته لتعقب المغيرين ومواصلة ملاحقتهم في الاطراف بينما تحتل المشاة الثقيلة المسماة الكليسوراتkleisouai[1] الممرات التي لابد لهم من المرور عبرها، اثناء عودتهم، وفي الوقت ذاته تكون بقية الالوية قد عبأت قواتها الرئيسة واستعدت للأتجاه صوب احد المواقع التي يتوقع ان يكون العدو في طريقه اليها، فان احسن توقيت تركز الجند فربما امكن الإمساك بالمغيرين والإحاطة بهم والحاق الضرر بقواتهم[2].

واعتمد الجيش البيزنطي على صنفي المشاة (الرجالة) والخيالة (الفرسان) في حروبه، وكانوا يقسمون على فرق خفيفة السلاح واخرى ثقيلة السلاح، فكان الفارس ذو السلاح الثقيل يلبس خوذة فولاذية ودرعاً من الزرد يكسوه من رقبته الى فخذيه وقفازاً من الحديد واحذية من الفولاذ وكان يحمل عباءة خفيفة أو برنساً يرتديه فوق سلاحه أيام الصيف المحرقة وعباءة فضفاضة من الصوف يتدثر بها لتقيه من البرد والرطوبة وكان سلاحه سيفاً عريضاً وخنجراً ورمحاً وقوساً للرمايا من على ظهور الخيل وجعبةً للسهام، واذا كان ممن يقفون في الصفوف الاولى ويقومون بالهجوم جعلت لحصانة دروع فولاذية على صدره وعصابات فولاذيا على جبهته، وكان الفارس ذو السلاح الخفيف عادة من الرماة فيلبس سترة من الزرد تغطي أنصافهم العليا وخوذاً فولاذية وكانت اسلحتهم السيف والرمح وفأس ذات نصلٍ قاطع من ناحية وسن مدببة من الناحية الاخرى، وكان جندي المشاة ذو

---

(1) Ramasy, Opcit , pp349 – 350 و Runciman, Steven Byzantine Civilization , University paper back , (London1961) , pp 140 – 141 .

إبراهيم أحمد العدوي، دراسات في التاريخ البيزنطي، ص86.

(2) رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد راجعه زكي علي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة 1961م)، ص ص165 – 166.

السلاح الخفيف إما رامياً عن القوس أو قاذفاً بالحربة فكان يلبس قميصاً طويلاً من الزرد يصل الى ركبته أو درعاً خفيفاً في بعض الاحيان ويحمل جعبةً للسهام وفأساً في حزامه، وكان يعلق خلفه ترساً صغيراً مستديراً[1].

وتجهز الجيش البيزنطي باسلحة الحصار الثقيلة التي كانت تحمل بجانب متاع الجند على الحيوانات او العجلات المسحوبة الى جانب بقية الصنوف الاخرى[2]، وكانوا يعتمدون في اساليبهم التعبوية الحيطة والحذر في قتالهم وقلما يبادرون الى اتخاذ الاساليب الخطرة في الحرب او المجازفة، فالقائد كان عليه ان يستوثق من الظروف الملائمة للعمليات العسكرية قبل المشاركة في أي اشتباك حربي، فالهرب المصطنع والمباغتة والهجوم الليلي والكمائن والمفاوضات الطويلة لكسب الوقت، كل هذه الاساليب واشباهها كان معمولا بها في الجيش البيزنطي ويجري التدريب عليها نظرياً وعملياً وممارستها، وكان الجندي البيزنطي الذي يعتمد على القوة حيث يغني الدهاء في كسب النصر يعد أبله ولا كفاية به[3]، فالروم كما وصفهم الحسن بن عبد الله (ت 709هـ) كانوا ((أهل صنائع وحرف وصبر وخدمة ولهم حيل في السياسات ووضع آلات حربية ...وميلهم الى المكايد في الحروب اكثر))[4] بلغ تعداد جيشهم في المدة المحصورة بين حكم جستنيان والقرن

---

(1) بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص ص84 – 85. Runciman, Opcit, pp 139 – 149

(2) بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص ص185 – 186؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ص171 – 172 0ذكر ابن عساكر انهم استخدموا المجانيق والدبابات اثناء هجومهم الذي شنوه على مدينة طرابلس في الساحل الشامي في خلافة عبد الملك بن مروان (65 – 86 هـ/684 – 705م)، واشار ابن كثير الى ان احد المقاتلة المسلمين تحت قيادة فضالة بن عيد الانصاري استشهد في احدى الغزوات البحرية بفعل مقذوفة أحد مجانيق الروم 0 ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج34، ص ص402 – 403، ابن كثير، ابو الفدا اسماعيل بن كثير (ت 774 هـ) تفسير القرآن الكريم، دار الفكر، (بيروت 1401هـ)ج3، ص233

(3) بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص ص182 – 183.

(4) الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت709هـ)، آثار الاول في ترتيب الدول، مطبعة بـــــلاق، (مصر د. ت) ص146.

التاسع الميلادي ما بين (120 – 150) الف مقاتل[1]، ما يقارب السبعين ألفاً من ألوية الثغور الشرقية والباقي من الالوية الغربية وفرق الجيش المركزي ولكن يجب ان نضيف اليهم العدد الهائل من((متعقبة المعسكرات)) الذين يرافقون كل جيش وكان مسموحاً للجند بان يصطحبوا معهم العبيد والخدم حتى لايرهقهم الأعياء بسبب اضطرارهم الى اقامة خيامهم أو حفر الخنادق[2].

بعد هذا العرض التاريخي الموجز عن حال الجند البيزنطي والنظام العسكري الذي يقاتل تحت مظلته، كان على العرب المسلمين في منازلتهم لمثل ذلك الجيش المدجج بأجود أنواع السلاح، أن يتجرعوا عليه ويلحقوا به الهزائم، بفضل ما تميزوا به من أيمان عميق وسخاء بالأنفس في ميادين النزال، ولا يسعنا إلا أن نكبرهم أيما إكبار.

تنظيمات مقاتلة الصوائف والشواتي وسجاياهم:

أما عن أعداد مقاتلة الصوائف والشواتي فانها كانت متفاوتة وغير محددة بعدد معين، وذلك تبعاً لنوع المهمات الحربية المنوط بهم انجازها وتبعاً لطبيعة الارض والمناخ السائدين في ميدان الجهاد وحجم العدو ونوعية استحضاراته الدفاعية من جانب آخر وهذا ما يمكن استنتاجه من النصوص التاريخية ذات الصلة، فعلى سبيل المثال أشار ابن الاثير[3] في كلامه عن احداث سنة 22هـ/ 642م الى ان والي الشام معاوية بن أبي سفيان دخل بلاد الروم مجاهداً في عشرة آلاف فارس من المسلمين، واشار الذهبي[4] هو الآخر الى ان الروم استجاشت سنة 24هـ/ 644م حتى استمد امراء الشام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فامدهم بثمانية آلاف من العراق فمضوا حتى دخلوا ارض الروم مع اهل الشام ((فشتوا وسبوا

---

(1) بينز، الامبراطورية البيزنطية، ص186؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ص171 – 172.

(2) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ص171 – 172؛ Rnciman , Opcit , pp. 146 – 147

(3) الكامل في التاريخ، ج3، ص38.

(4) تاريخ الإسلام (الخلفاء الراشدون)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1987م)، 309.

وافتتحوا حصوناً كثيرة))، وهذا يعني ايغالهم في بلاد الروم وخوضهم معارك ضارية مع الروم كانت نتيجتها فتح عدد من حصونهم وأسر أعداد منهم، وكانت بعض الصوائف أيام الخليفة معاوية بن أبي سفيان من حيث عددها على شكل سرايا صغيرة من الخيالة يبلغ تعدادها اربعين فارساً أو يزيد بقليل، هدفها الإغارة على مواضع محددة وتنفيذ واجبات استطلاعية معينة[1]، وقد يزداد عدد مقاتلة الصوائف الى الف مقاتل[2] في بعض الاحيان والى الف وخمسمائة مقاتل في أحيان أخرى[3] ويبدو ان جهات أخرى من ميدان الجهاد كانت تضاريسها تسمح بتقدم وانفتاح اعداد اكثر من الجند، إضافة الى ضرورات مجابهة قوة العدو واستحضاراته الدفاعية بزخم عددي هائل، ولتعدد أهداف تلك الحملات التي يؤمل تحقيقها، كل تلك الامور اوجبت ارسال صوائف كبيرة العدد تصل مقدمة بعض منها احياناً الى ثمانية آلاف مقاتل، كما حصل ذلك في أحدى الصوائف التي قادها الامير سليمان ابن هشام بن عبد الملك[4]، وقاد عمرو بن الوضاح[5] أحدى الصوائف في نحو من عشرين الفاً فوغل في أرض الروم وخاض عدداً من المعارك معهم واوقع خسائر كبيرة في صفوفهم[6]، وسيّر الخليفة عمر بن عبد العزيز صائفتين صوب أرض الروم اختار لقيادة احداهما الوليد بن هشام المعيطي[7]، والثانية عمراً بن قيس السكوني[8] في ما يقرب من اربعين الفاً من الجند – حسب رواية ابن عساكر –[9] لمساعدة المقاتلة المسلمين الذين كانوا مع القائد مسلمة بن عبد الملك والذين ضربوا الحصار على

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص154.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص429.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج57، ص ص143 – 144

(4) المرجع نفسه، ج56، ص459.

(5) عمرو بن الوضاح: صاحب الوضاحية وهو قائد من قواد بني أمية كان مروان محمد بعثه لقتال الذين خلعوه بدمشق أيام زامل بن عمرو السكسكي. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص445.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص445.

(7) الوليد بن هشام المعيطي ابو يعيش روى عن ام الدرداء وعبد الله بن محيريز.. كان شريفاً وهو صاحب الصوائف زمن الوليد كان حياً في خلافة مروان بن محمد. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج63، ص309.

(8) عمرو بن قيس السكوني: عمرو بن قيس بن ثور بن مازن السكوني الكندي، شيخ اهل حمص مات سنة 140هـ. الذهبي، سير اعلام، ج6، ص ص130 – 131.

(9) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 46، ص319.

العاصمة البيزنطية لما اصابهم من ضيق وشدة هناك ولستر انسحابهم وحمل ما يلزمهم من ميرة وعدة على ما يبدو.

وكان على الخلافة اختيار القادة الاكفاء والاشداء اختياراً صائباً ومتأنياً من شأنه تذليل صعوبات تلك المهمات وانجاحها، فقد روي في هذا الشأن ان القائد سفيان بن عوف الغامدي[1]. كان قد أتخذ في كل جنده من اجناد الشام رجالاً ((أهل فروسية وعفاف وسياسة للحرب وكانوا عدة له قد عرفهم وعرفوا به))[2]، وفي هذا التدبير اشارة واضحة الى أن أهمية الأهداف المراد تحقيقها والصعوبات الجمة التي تقترن بها ولاسيما شراسة العدو وطبيعة الأرض الوعرة، والمناخ البارد خاصة في فصل الشتاء تتطلب هكذا رجالا برزوا من بين صفوف المجاهدين يحملون مواصفات وخصالا أهلتهم لنيل شرف الجهاد ومواجهة عدو صعب المراس وهم الروم، كما ان في هذا النص بيانا للدور الذي اضطلعت به اجناد الشام – الى جانب امصار الدولة العربية الاخرى – في رفد ساحات الحرب مع الروم بالرجال الاشداء ذوي المواصفات الخاصة، وبعدد الحرب اللازمة، في اجراء يشابه ما كانت تقوم به الثيمات (البنود) البيزنطية على الجبهة المقابلة لساحة الحرب.

ولم يكن اختيار قادة الصوائف والشواتي اختياراً عشوائياً، إنما بناءً على رؤية بعيدة المدى من قبل الخلفاء وتقدير صائب يتناسب والمهام التي سينفذونها وقوة وشراسة العدو الذي سيواجهونه، ففي هذا السياق اورد الواقدي (ت207هـ) في كتاب ((الصوائف)) اكثـــر من رواية تؤكد ذلك، منها ان الخليفة عثمان بن عفان ﷺ كتب الى معاوية بن أبي سفيان والي الشام ((ان أغز الصائفة رجلا مأموناً على المسلمين رفيقاً بسياستهم، فعقد لأبي بحرية عبد الله بن قيس الكندي وكان ناسكاً فقيهاً يحمل عنه الحديث))، وكان معاوية وخلفاء بني امية يعظمونه[3]

---

(1) سفيان بن عوف بن المغفل بن عوف ... ابن سعد بن مناة بن غامد، استعمله معاوية على الصوائف قبل ان توفي سنة 52هـ وقيل سنة 54هـ. ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص347.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج33، ص ص 49 – 50؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص 4296.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج32، ص14؛ الذهبي، سير إعلام، ج5، ص487، المزي، جمال الدين ابو الحجاج يوسف المزي (ت 742هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال وبهامشه نيل الوطر من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، راجعه وقدم له: د. سهيل زكار، تحقيق الشيخ احمد علي عبيد وحسن احمد الاغا، دار الفكر (بيروت 1994م) ج10، ص432.

وفي سنة 26هـ/ 646م كتب الخليفة عثمان بن عفان ﷺ الى معاوية ايضاً ((ان اغز الروم رجلاً حازماً أديباً ذا سن وحنكة فاغزا يزيد بن الحر العبسي و كان من خيار المسلمين من أهل دمشق وعقد له على الصائفة فغزا))[1]، وقد كان قادة الصوائف والشواتي وجندهم ممن تحلوا بسجايا الخير التي اهلتهم لمجاهدة الروم، امتازوا بعمق الايمان بالله تعالى والاندفاع رغبة في الجهاد واتسموا بالعفاف عن المغانم والايثار على انفسهم، فضلاً عن الذكاء الميداني الكبير وحسن التصرف في أصعب الظروف وادارة الحرب، وقد زخرت المصادر بالكثير من النصوص الدالة على ذلك والتي لم يفطن لها العديد من الباحثين المحدثين الذين تناولوا الموضوع بالبحث والدراسة، فمن الشواهد على اندفاع اولئك المقاتلة مارواه الواقدي عن عبد الوهاب بن بخت[2] (ت113هـ) انه غزا مجاهداً مع عبد الله البطال[3] (ت122هـ) ((وانكشفوا فجعل عبد الوهاب يكر فرسه وهو يقول: ما رأيت فرساً أجبن منك وسفك الله دمي إن لم اسفك دمك ثم ألقى بيضته عن رأسه وصاح انا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون؟ ثم تقدم في نحور العدو، قال: فمر برجل وهو يقول واعطشاه فقال: تقدم الري أمامك قال: فخالط القوم فقتل وقتل فرسه))[4].

واجتاز اولئك القادة الافذاذ اختبارات الخلافة لهم في قوة ايمانهم ومدى تمسكهم بتعاليم الشرع الحنيف بنجاح منقطع النضير، فقد روي في هذا الصدد ان الخليفة معاوية بن أبي سفيان كتب الى مالك بن عبد الله الخثعمي وعبد الله بن قيس الفزاري يصطفيان له من الخمس، فأما عبد الله فأنفذ كتابه وأما مالك فلم ينفذه، فلما قدما على معاوية بدأه بالأذن وفضله في الجائزة فقال: ((ان مالكاً عصاني وأطاع الله وإنك عصيت الله واطعتني فلما دخل عليه مالك قال: ما منعك ان تنفذ كتابي؟

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج65، ص151.

[2] عبد الوهاب بن بخت ابو عبيدة ويقال ابو بكر مولى آل مروان مكي سكن الشام ثم تحول الى المدينة روى عن ابن عمر وانس بن مالك، استشهد في بلاد الروم سنة 113هـ. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص303.

[3] ينظر ترجمته بالتفصيل: ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص ص331 – 334.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص309. ينظر ايضا: مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص90.

قال: ما كان أقبح بك وبي ان تكون في زاوية من زوايا جهنم تلعنني والعنك وتلومني والومك وتقول لي هذا عملك واقول لك هذا عملك))[1]، وقد كان مالك هذا يسمى ((مالك السرايا... من ابطال الإسلام قاد جيوش الصوائف اربعين سنة))[2]، وسمي مالك الصوائف ومالك الروم لكثرة دخوله بلادهم مجاهداً في سبيل الله تعالى.

وتكرر الامر ذاته مع عمرو بن معاوية العقيلي أحد قادة الصوائف زمن الخليفة معاوية الذي أجاب الاخير بأبيات من الشعر تحمل أسمى المعاني الجهادية النبيلة التي تحلى بها هذا الطراز من المجاهدين[3].

وعف مقاتلة الصوائف والشواتي عن الغلول وتناهوا فيما بينهم عنها، لئلا يدنسوا جهادهم ويشوبوا أيمانهم وكانوا يتذاكرون أحاديث رسول الله ﷺ بهذا الشأن، كقوله ﷺ: ((من وجدتموه غلّ فاضربوه واحرقوا متاعه))[4] الذي رواه سالم بن عبد الله بن عمر(ت106هـ) لمسلمة بن عبد الملك في أحدى الغزوات بأرض الروم لما غلّ أحد مقاتلته فأحرق مسلمة متاعه، وفعل الامير الوليد بن هشام بن عبد الملك الشيء نفسه مع رجل من جنده غلّ فحرق متاعه وضربه ولم يعطه سهمه من المغنم[5]، وذكر ان رجلاً نفقت دابته فأتى مالك بن عبد الله الخثعمي وبين

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص ص473 – 474.

(2) الذهبي، سير اعلام، ج5، ص136.

(3) قال عمرو بن معاوية العقيلي:

تهادي قريش في دمشق غنيمتي	وأترك أصحابي فما ذاك بالعدلِ
ولست أميراً أجمع الناس تاجراً	ولأابتغي طول الامارة بالبخـل
فان يمسك الشيخ الدمشقي ماله	فلست على مالي بمستغلق قفلي

ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص278؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص361.

(4) احمد بن حنبل، المسند، ج1، ص22؛ ابو داود، سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني (ت 275هـ) سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د (ت، ج3، ص69، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج32، ص 373.

(5) ابو داود، سنن أبي داود، ج3، ص69؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص4115.

يديه برذون من المغنم ((فقال: احملني أيها الامير على هذا البرذون فقال: ما استطيع حمله فقال الرجل: اني لم اسالك حمله وانما سالتك ان تحملني عليه قال مالك: إنه من المغنم والله يقول: (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة)[1] فما اطيق حمله ولكن سل جميع الجيش حظوظهم فان اعطوكها فحظي لك))[2]. بهذا الطراز من الرجال الذين آمنوا بالله تعالى وبكتابه الكريم وسنة نبيه الرحيم ﷺ قولاً وفعلاً كانت الدولة العربية الاسلامية في صدر الإسلام والعصر الأموي تجابه دولة الروم القوية وتخوض غمار الحرب معها جهاداً في سبيل الله تعالى.

فضلاً عن تلك السجايا والخلال فقد كان قادة ورجال الصوائف والشواتي على درجة عالية من الذكاء الميداني والحس الامني والاستخباري، وخير شاهد على ذلك ان عمراً بن الوضاح قاد الصائفة سنة 114هـ/732م في نحو من عشرين الفاً ومعه الامير معاوية بن هشام بن عبد الملك وفي طريق عودته بالغنائم ((سمع منشداً ينشد: الا من دل على بغلة كذا يتبعها إلفها برذون كذا فدعا به عمرو فقال: ما تقول؟ فاخبره بما ينشد، فقال انما البغال تتبع الفها من البراذين ولا يعرف برذوناً يتبع البغال، فما انت ومن اين انت ومن بعث بك؟ قال فذهب ينسب فلجلج وعرف انه قد لجلج فقال: ليخلني الامير فأخلاه فاخبره انه عين للروم وانه خلّف اهل الرساتيق والكور قد حشروا الى عقبة الركاب ليأخذوا عليك بها ويستنقذوا ما غنمت))[3].

ونظراً لقدسية الجهاد في الصوائف والشواتي فقد استبعد الخلفاء الامويون الظلمة وعمال السوء من النفير للقتال فيها، ومن ذلك ما حدث مع عبيد الله بن يزيد ابن أبي مسلم الثقفي سيّاف الحجاج الذي رده الخليفة عمر بن عبد العزيز من

---

(1) سورة آل عمران آية 161.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص ص473 – 474.

(3) المصدر نفسه، ج46، ص445.

الدرب[1] وعقب على ذلك بالقول: ((ليس بمثله يستعين المسلمون في قتال عدوهم وكان عطاؤه الفين فرده عمر الى ثلاثين فرجع من دابق))[2] وفي هذا تجسيد آخر للأبعاد الايمانية والجهادية للحرب مع الروم البيزنطيين.

اما عن الاستنفار وتحشيد قدرات الامة المادية والبشرية فقد اشارت المصادر الى ان العرب في العصر الأموي كانوا قد اتخذوا من منطقة دابق في الشام معسكراً تجتمع فيه المقاتلة وتنطلق نحو اهدافها في الجبهة البيزنطية لقربها من الثغور[3]، منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إذ كانت دابق ((مجمعاً لعساكر الإسلام في الصائفة من زمن معاوية بن أبي سفيان، فكانوا يجتمعون بها فأذا تكامل العسكر وقبضوا عطاءهم دخلوا حينئذ من الثغور الى جهاد العدو واستمر ذلك في ايام بني أمية))[4].

وهب الجند من جميع الامصار والاجناد تلبية لنداء الخلافة ورغبة في جهاد الروم فقد اسهم مقاتلة مصر وافريقية الى جانب اخوانهم مقاتلة الشام في الصوائف والشواتي البرية والبحرية على حد سواء[5] وقاتل جموع من اهل المدينة المنورة في الجبهة الرومية رديفاً لأخوانهم من اهل الشام[6] وكذا الحال بالنسبة للموالي الذين نفروا وجاهدوا جنباً الى جنب مع اخوانهم العرب المسلمين لاسيما في الصوائف والشواتي البحرية[7].

---

(1) البسوي، ابو يوسف يعقوب بن سفيان (ت277هـ)، المعرفة والتاريخ، رواية عبد الله بن جعفربن درستويه النحوي، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت (1981م)، ج1، ص607، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص148.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص148؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج10، ص4622.

دابق: قرية قرب حلب من اعمال عزاز بينها وبين حلب اربعة فراسخ عندها مرج معشب كان ينزله بنو مروان اذا غزوا الطائفة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص271.

(3) ينظر ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص197، ج21، ص217، ج45، ص158.

(4) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص47.

(5) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج11، ص298، ج2، ص69، ج57، ص ص 143 – 144؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص48.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص347.

(7) المصدر نفسه، ج56، ص ص347 – 348.

وما ان يتم التحشد في منطقة الاجتماع حتى يأخذ الخلفاء بوصفهم قادة الجهاد بتحديد واجبات الجند وأولويات العمل التعرضي بوصايا موجزة توجه لهم، تجسدت فيها مباديء الحرب تلك المبادئ التي غدت من اساسيات الحرب في العصر الحديث، فقد روي ان الخليفة معاوية بن أبي سفيان ولّى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد على الصائفة حين استجاشت الروم في أحد الأيام، وكتب له عهداً ثم قال له: ((ما انت صانع بعهدي؟ – (قاصداً بذلك اختباره) – قال: ساتخذه اماماً ومثالاً فلا اتجاوزه فقال: رُد علّي عهدي فقال: اتعزلني ولم تخبرني ...ثم بعث الى سفيان بن عوف الغامدي من الازد فقال له: وليتك صائفة وهذا عهدي فما انت صانع؟ قال: اتخذه اماماً ما أمّ الحزم، فاذا خالفه أعملت رأيي وسألت الله التوفيق، فقال معاوية: أنت لها فلما ودعه قال معاوية: هذا والله الذي لايدفع عن بطء، ولايكفكف من عجلة، ولا يضرب على الامور ضرب الجمال الثقال، فغزا الصائفة))[1].

وفي هذا النص اشارة بينة الى حرص الخليفة معاوية على تطبيق ((مبدأ المرونة))[2] في تنفيذ خطة الحرب التعرضية وحرصه على شحذ قدرات قادته الابداعية على مواجهة مستجدات الحرب وتطوراتها الآنية، ذلك لأن القائد في الميدان يرى ما لايراه الغائب عنه، وعليه ان يقدر الموقف ويتصرف حسب ما يتطلبه أمر النزال، فالتنظيم الحربي واسلوب التعبئة وشكل انفتاح القطعات وتحركها والتخطيط للمعارك ليس له قاعدة ثابتة يسير عليها القائد ولايحيد الى سواها وانما هي قواعد اجتهادية يغلب تطبيقها ويكثر تبديلها أو تعديلها في المعارك، لهذا لما لمس الخليفة معاوية حالة الجمود والالتزام الحرفي بما كتب له عند عبد الرحمن بن خالد عزله وولى مكانه قائداً آخر اكثر مرونة منه واهلا لمثل هذا الامر شجاعاً عند

---

[1] البلاذري، انساب الأشراف، ج1 ق4، ص ص83 – 84؛ جمل من كتاب انساب الإشراف، ج10، ص209؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 56، ص347.

[2] مبدأ المرونة: ((وهي القابلية على رد الفعل السريع بالاعتماد على الصفات الفكرية وسرعة اتخاذ القرار في الوقت المطلوب..)) يونس محمد الذرب، السوق العسكري، ص20.

اللقاء، وئيداً متأنياً في الملمات والمواقف الصعبة، لايعتريه الوهن ولا التثاقل اذا ما حميّ الوطيس.

ان مثل هذه الاعتبارات كانت حاضرة في ذهن الخليفة معاوية ومثله الخليفة عبد الملك بن مروان الذي وجه أحد قادته حين أرسله على رأس قوة الصائفة الى أرض الروم بتطبيق مبدأ آخر من مبادئ الحرب وهو ((الاقتصاد بالجهد))[1] حفاظاً على سلامة المقاتلة ولئلا تتشتت قواهم في اكثر من محور من محاور القتال هناك كما يفهم من وصيته: ((أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيّس إن وجد ربحاً تجر والا تحفظ برأس المال..))[2].

وقد كانت هذه المبادئ نصب أعين قادة الصوائف أمثال مالك بن عبد الله الخثعمي الذي أجاب أحد أعظاء وفد الروم الذين قدموا على الخليفة معاوية بن أبي سفيان لما سأله ((كيف تصنع إذا دخلت بلاد الروم؟ قال: أكون بمنزلة التاجر الذي يخرج، فيلتمس وليس له هم إلا رأس ماله، فإذا أحرزه فما أصاب من شيء فهو فضل))[3]، ووجه الخليفة عمر بن عبد العزيز عمرا" بن قيس السكوني، حين ولاه قيادة الصائفة مرة على التحلي بالخلق الطيب مع الجند واحكام قيادته في الوقت ذاته لئلا ينفرط عقدهم وتذهب ريحهم ويفشلوا وهم في نحر العدو ((اقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ولا تكن في اولهم فتقتل ولا في آخرهم فتفشل، ولكن كن وسطاً حيث يرى مكانك ويسمع صوتك))[4] وحث المقاتلة اهل الصائفة في وصية أخرى يوماً ما على ضرورة تقوى الله تعالى واخلاص النية في الجهاد[5].

---

[1] الاقتصاد بالجهد: ((وهو تخطيط الانفتاح المتوازن جنباً الى جنب مع التخصيص المتعقل للموارد حيث لا يمكن ان تكون لدينا القدرة الفائقة في كل مكان)) يونس محمد الذرب، السوق العسكري، ص20.

[2] ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص132؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 732هـ) نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (مصر د. ت)، السفر السادس، ص107.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص ص475 – 476.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج11، ص244.

[5] ((اتقوا الله وقاتلوا اعداءه ابتغاء ثواب الآخرة فان الأجر للصابرين (في البأساء والضراء) وحين البأس)) البلاذري، جمل من كتاب انساب الاشراف، ج8، ص145.

ودأبت الخلافة على متابعة اولئك المقاتلة وتقصي اخبارهم ورفدهم بكل ما من شأنه تيسير العمليات الحربية وديمومتها ذوداً عن الدين واهله منذ عهد مبكر من عمر الإسلام فقد كان الخليفة عمربن الخطاب ﷺ قد عبر عن ذلك بقوله: ((لأمير جيش من جيوش المسلمين أهمُ اليَّ من أمير مصر من الامصار، لأن صاحب المصر يريد الامر فيراجعني وصاحب الجيش لايستطيع ان يراجعني))[1]، وقد أقتدى الخلفاء الامويون بهذا النهج كالخليفة معاوية بن أبي سفيان، فقد روي ان مقاتلة الشاتية في احد الايام أصابهم بردٌ شديد في الدروب، فقال احدهم ويدعى جرير لعبيد الله بن رباح أمير الجند ((سمعت رسول الله ﷺ قال: ((من لايرحم الناس لايرحمه الله))[2] قال: فكتب عبيد الله الى معاوية الَّي بجرير. قال: فبُعث فقدم على معاوية فقال: ما حديث ترويـــه عـــن رسول الله ﷺ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من لايرحم الناس لايرحمه الله)) قال: انت سمعته؟ قال: نعم انا سمعته قال: لاجرم لأوسعنهم طعاماً ولحماً ولا يشتوا لي جيش وراء الدرب بعدها ابداً. قال: فبعث اليهم القطائف والاكسية والثياب))[3].

وتحرى الخليفة عمر بن عبد العزيز اخبار الجند وحوائجهم بدقة متناهية شأنه في ذلك شأن سلفه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، فيوماً ما لما بعث اليه جعونه بن الحارث [4] وكان اميراً له على غزاة رسولاً سأل الخليفة عمر بن عبد العزيز ذلك الرسول ((أسلم المسلمون؟ قال: نعم، قال: كلهم؟ قال: نعم إلا رجلاً واحداً عدلت به دابته فساح في الثلج، قال: فصنع ماذا؟ قال: فهلك. قال: لقد اطلقتها غير مكترث عليَّ بفلان – كاتبه –، فكتب الى عامله جعونه: إياك وغارات الشتاء فوالله لرجل من المسلمين أحبُ اليَّ من الروم وما حوَت))[5].

---

[1] البلاذري، جمل من كتاب انساب الاشراف، ج10، ص 316.

[2] القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر ابو عبد الله القضاعي (ت454هـ)، مسند الشهاب، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، (بيروت 1986م)، ج2، ص66.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص427.

[4] جعونة بن الحارث بن خالد العامري روى عن عمر بن عبد العزيز والزهري، واستعمله عمر بن عبد العزيز على الدروب. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج11، ص242.

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص ص94 – 95، ج60، ص310؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج10، ص4355.

مما تقدم وفي ضوء النصوص بيان لمقدار المعاناة والصعوبات التي واجهت المقاتلة العرب في أرض الروم تحت مثل تلك الظروف المناخية وهم يجالدون عدواً خبِر الارض والمناخ السائد في بلده وهي مسألة ادركها الخلفاء الامويون واهل الدراية بالحرب من عمالهم، تلك الظروف التي حجمت فعاليات المجاهدين الحربية وحصرتها بالرباط والحراسة أحيانا، والتي لم تكن بالأمر الهين تحت وطأة برد الشتاء وغزارة الامطار في أرض الروم[1]، اذ كانت هذه الامطار الغزيرة مما يزيد في معاناة المجاهدين فضلا عما يلاقونه من قوة الروم، ففي سنة 78هـ/697م غزا المسلمون الروم وافتتحوا ارقلة [2] فلما قفلوا ((اصابهم مطر شديد من وراء درب الحدث فأصيب فيه ناس كثيرة))[3].

إعداد مقاتلة الصوائف والشواتي وتجهيزهم:

حظيت عملية إعداد مقاتلة الصوائف والشواتي وتجهيزهم بالتجهيزات المناسبة لطبيعة مهماتهم القتالية باهتمام الخلفاء الراشدين والامويين على حد سواء بغية ديمومة الجهاد وانزال الضربات بالاعداء، وحرصوا على جودة الادارة ودقته لأنها مطلب أساسي لنجاح أي عمل عسكري، إذ أشارت المصادر في هذا السياق الى ان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كان قد أعد الركائب للمقاتلة وكان يحمل في العام الواحد على اربعين الف بعير على حد تعبير البلاذري[4]، وارتبط خيا موسومة ((حبس في سبيل الله))[5] وكان يصلح بنفسه ادوات الابل التي يحمل علير في سبيل الله تعالى براذعها واقتابها، فاذا حمل رجلاً على بعيرٍ جعل معه اداته[6] وحذا حذوه في ارتباط الخيل وتجهيزها الخلفاء الامويون ومنهم على سبيل المثا

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج45، ص83.

[2] أرقلة: لم أعثر على ترجمة لها.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 57، ص79.

[4] جمل من كتاب انساب الاشراف، ج10، ص 354.

[5] المصدر نفسه، ج10، ص 355.

[6] المصدر نفسه، ج10، ص 355

سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك الذين كانوا يجرونها في الحلبة لانتقاء الاجود منها عدة للجهاد[1]، وشجعوا المسلمين على ذلك بأن جعل بعض قادة الصوائف للهجين[2] سهماً من المغنم كما فعل ذلك الوليد بن هشام في خلافة عمر بن عبد العزيز[3].

ولاريب في ان اهداف المهمات الحربية وغاياتها الى جانب عاملي الارض وقوة العدو، كان لها اكبر ألاثر في تحديد حجم ونوعية العدد والتجهيزات التي وجب على المقاتلة التزود بها، ففي الصوائف الاستطلاعية المبكرة ايام الخليفة عمـــــر بن الخطاب ﷺ اتسمت تلك التجهيزات بالبساطة والخفة[4]، وتطورت هذه العُدد والتجهيزات وتعقدت بتطور وسائل الحرب واساليبها وبدوام رعاية الخلفاء الامويين وتواصلها، فقد لبس الجند كعادتهم العمائم[5] وستر بعضهم راسه بالخوذ الفولاذية الواقية[6] وتجهزوا بالسيوف الصقيلة والخيول الاصيلة والدروع الحصينة وحملوا النبال عتاد القسي[7] والسكاكين [8] وتزودوا حتى بالابر والخيوط [9] وتابع بعض القادة في العصر الأموي أدق التفاصيل في تجهيزات جندهم المتوجهين الى الصوائف والشواتي مثل سفيان بن عوف الغامدي الذي كان((لايجيز في العرض رجلاً الا بفرس ورمح ومخصف ومسلة وبرنس وخيوط كتان ومخلاة ومبضع))[10].

---

(1) ينظر: البسوي، المعرفة والتاريخ، ج1، ص618، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 59، ص238.

(2) الهجنة في الناس والخيل انما تكون من قبل الام فاذا كان الاب عتيقاً أي كريما والام ليست كذلك كان الولد هجيناً. الرازي، مختار الصحاح، ص691.

(3) ابو زرعة، تاريخ، ج1، ص353.

(4) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 32، ص115.

(5) المصدر نفسه، ج49، ص303.

(6) مجهول، العيون والحدائق في اخبار الحقائق، مكتبة المثنى، (بغداد د. ت)، ج3، ص 90، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج37، ص309.

(7) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج61، ص350.

(8) المصدر نفسه، ج49، ص303.

(9) عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج6، ص343.

(10) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص 350.

وركب المقاتلة فضلاً عن الخيول الاصيلة الهجائن من البغال والبراذين وكذلك الحمير لأغراض شتى كالمناورة وتنقل القطعات وانفتاحها في المناطق الوعرة كالشعاب والجبال[1] وقد عرفوا مزية وفائدة كل واحدة من تلك الركائب بشكل دقيق[2].

وفي ضوء تطور متطلبات الموقف الجهادي ضد البيزنطيين اضطر المسلمون الى ابتداع وسائل جديدة واساليب في التموين والنقل كان من شأنها تخفيف معاناة المقاتلة الناجمة عن صعوبات الحركة والتنقل في بلاد متنوعة التضاريس وتغطيها الثلوج في فصل الشتاء وكانت استجابة فعالة لتحديات تلك الظروف من قبلهم، ففي خلافة الوليد بن عبد الملك (86 – 96هـ/705 – 714م) جهز خيلاً وأبلا وبغالاً وحميرا وحملها بالميرة ووجهها لجيشه الذي بعثه مع مسلمة ابن عبد الملك لفتح الطوانة سنة 88هـ/706م وولى عليها رجلا من أهل قنسرين، فسار حتى بلغ ما منعه من المضي في طريقه من الثلج فكتب الى الخليفة الوليد يخبره بأن الدرب قد أنغلق ولم يجد فيه منفذاً، فعزله الوليد واستعمل رجلاً آخر يدعى رباح الغساني وامره ان يقتحم الثلج بالجواميس والبقر، فمضى ثم فعل ذلك[3] ويبدو ان استعمال هذا الصنف من الحيوانات ناجم عن قدرتها لتحمل برودة الثلج لكونها ذات اضلاف قوية، ولخبرة العرب المتكونة بفعل التجارب التي مروا بها اثناء ملابسات الفتوح، يؤكد ذلك ما رواه ميخائيل السرياني في تاريخه لصدر الإسلام والعصر الأموي من أن المسلمين كانوا قد استخدموا مثل هذا الاسلوب اثناء فتوح ارمينية سنة 25هـ/645م من قبل حبيب بن مسلمة الفهري إذ انهم لما وصلوا ارمينية ((وجدوا ان المكان مليء ثلجاً تحايلوا واحضروا ثيراناً سيروها

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 27، ص229، ج 32، ص115، ج 46، ص363، ج63، ص ص314 – 315. ينظر ايضاً: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي (ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، ط 2، دار الشعب، (القاهرة 1372هـ)، ج8، ص16.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص11.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج18، ص257 – 258.

امامهم فعبد لهم الطريق ودخلوا ولم يعقهم الثلج[1])) ومن هذا يتجلى للباحث بعد النظر ومقدار الذكاء الميداني الذي كان وراء استقدام الخليفة الوليد بن عبد الملك لقطعان من الجاموس مع رعاتها ووضعا في المدن الثغرية للأستفادة منها بأستخدامها في مثل تلك الامور ولاسيما انها لها القدرة على حمل الاثقال والسير تحت مثل تلك الظروف التضاريسية والجوية المذكورة سابقا.

وتجهز المقاتلة المسلمون بأسلحة الحصار الثقيلة وادواته اللازمه ومنها المجانيق فضلاعن اسلحة الخيالة والمشاة الخفيفة المشار اليها سابقاً، فعلى سبيل المثال انه في احدى صوائف المسلمين في خلافة يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/719-723م) حاصر عثمان بن حيان احد قادة الصوائف وجنده عمورية حصاراً شديداً واوقف عليها ستة وثلاثين منجنيقاً وجد في حصارها[2].

والى جانب توفير الركائب والاسلحة للمقاتلة وبقية عدد الحرب أولت الخلافة الاموية مسألة إطعام الجند وتموينهم أهتماماً منقطع النظير، لاسيما وهم ذاهبون لمقارعة الروم في عقر دارهم لمسافات بعيدة ولمدد زمنية قد تطول لعدة أشهر، فقد رويٌ ان الخليفة عبد الملك بن مروان كان قد بعث الى مقاتلة أحدى الصوائف بجفان ملئت بالكعك والتمر والسويق[3]، وعمل المقاتلة من جانبهم على ادخار

---

(1) زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص126.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص140. وقد أفادنا الشعر بمعلومات مهمة عن استخدام المسلمين لأسلحة الحصار اثناء غاراتهم على بلاد الروم، ومنها المجانيق التي ترمي بالحجارة وبقية المقذوفات، فقد وصف النابغة الشيباني حصار مسلمة بن عبد الملك لمدينة طرندة الرومية وضربه اياها بالمجانيق بقوله:

أخزى طـرندة منه وابل بـرد ... وعسكر لم تقده العزل الجوف

مازال مسلمة الميمون يحصرها ... وركنها بثقال الصخر مقذوف

وقد احاطت بها ابطال ذي لجب ... كما احاط برأس النخلة الليف

فأهلها بين مقتـول ومسـتلب ... ومنهم موثق في القيد مكتوف

ينظر: زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة، دار المعارف، (مصر 1961م)، ص131.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج25، ص37.

وحمل الاطعمة ذات القيمة الغذائية الكبيرة السهلة الحمل والتي من شأنها أن تقيم صلبهم وتمنحهم القدرة على مطاولة العدو تحت تأثير درجات الحرارة المتفاوتة في بلاد الروم كالتمر والزبد[1].

والذي نود الاشارة اليه في هذا الصدد أن بعض الموسرين الخيرين قد أسهموا بأموالهم في جهاز الجند جهاداً منهم في سبيل الله تعالى باليد والمال وغيظاً للعدو، فقد ذكر البلاذري[2] وابن عساكر[3] ان العرجي عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ﷺ غزا مع مسلمة بن عبد الملك في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك فخاطب التجار قائلاً: ((يا معشر التجار من اراد من الغزاة المعدمين شيئاً فأعطوه إياه، فأعطوهم عليه عشرين ألف دينار، فلما أستخلف عمر بن عبد العزيز قال: بيت المال أولى بمال هؤلاء التجار من العرجي، فقضى ذلك من بيت المال))، ومثل العرجي كان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي الذي باع مالاً له بفدك بعشرين ألف دينار فأطعم بها جند الصائفة الذين كانوا معه تحت قيادة أحد أبناء الخليفة هشام بن عبد الملك في خلافته والذين أصابتهم مجاعة بأرض الروم[4].

وتكفلت الخلافة الاموية بمنح المقاتلة المنضوين تحت ألوية الصوائف والشواتي مبالغ من المال مع سداد جانب من ديونهم من بيت مال المسلمين، وهو أمر صرح به الخليفة عمر بن عبد العزيز في حوار جرى بينه وبين أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ﷺ لما أقبل اليه راغباً بالألتحاق للجهاد في احدى الصوائف[5].

---

[1] الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك ابو بكر الشيباني (ت287هـ)، الآحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، ط1، دار الراية، (الرياض 1991م)، ج5، ص339، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص9.

[2] انساب الاشراف، ج1 ق4، ص608، الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني(ت 365هـ)، الاغاني، شرحه وكتب هوامشه علي عبد مهنا وسمير جابر، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1986)، ج1، ص381.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج31، ص223.

[4] المصدر نفسه، ج6، ص79.

[5] المصدر نفسه، ج9، ص ص296 – 297 0 ينظر ايضاً: ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص2026 – 2027.

فضلاً عن ذلك كان بعض المقاتلة ينفر للصائفة تطوعاً في سبيل الله تعالى مجهزاً نفسه من ماله الخاص بعدة الجهاد من سلاح وركائب وما يلزمها من عدد وأدوات[1]، وأعتمدوا في تموينهم على موارد بلاد الروم – الى جانب ماذكر – ذاتها من زرع[2] واشجار فواكه ودواب وغيرها، وكان مثل هذا الشيء لامناص منه لاسيما اذا ما اوغلوا بعيداً في تلك النواحي مبتعدين عن مراكز تموينهم وامدادهم في مناطق الثغور، ولادراك قادة الصوائف والشواتي الصعوبات الناجمة عن احتمالية انقطاع الامداد او انقطاع طرق المواصلات التي تربطهم بمقراتهم الخلفية في الثغور أو مع العاصمة دمشق لأي سبب نهوا المقاتلة عن تدمير اشجار الفواكه والزروع في بعض الصوائف ووجهوهم بالأقتيات عليها، كما حصل ذلك مع مالك بن عبدالله الخثعمي الذي ندب جنده ((لا تقطعوا شجراً مثمراً فأنه لكم منفعة في غزوكم))[3]، وقد أشار ابو يوسف (ت 182هـ) من جانبه الى هذا الامر، إلا أنه رأى أن قطع وتخريب الاشجار والزروع أشد نكاية بالعدو وأخزى له وأنفع للمسلمين مما يتقوون به على القتال[4] وكانت الغنائم وماتتضمنه من أطعمة وأعلاف وأغنام ومواشي معيناً آخر يمون الجند، ووصل بهم الامر في بعض الاحيان الى استهلاك كميات كبيرة من خمس بيت المال من تلك الغنائم سداداً لمتطلبات الحرب[5].

واهتم الخلفاء الامويون بصحة المقاتلة وسلامتهم واامورهم الطبية اهتماماً كبيراً ولاغرابة في ذلك فهم ذراع الإسلام الضاربة داخل بلاد الروم وحماة الاهل

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج27، ص229، ج61، ص350، عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ مدينة دمشق، ج6، ص ص342 – 343.

(2) ينظر الفصل السابع ص.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص ص474 – 475.

(4) ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ)، الرد على سير الاوزاعي، عنى بتصحيحه: أبو الوفا الافغاني، ط1، لجنة احياء المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند د. ت)، ص83.

(5) خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص ص 278 – 279، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص ص462–463، ج59، ص433.

والديار، وعملوا على ارسال الادوية والمستلزمات الطبية المتيسرة الى اولئك الجند اذ كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد بعث بترياق[1] ليوزع على الجند في ارض الروم[2]، يضاف الى هذا نهيهم الجند عن مباشرة القتال مع العدو ان لم يكونوا مضطرين الى ذلك جداً في الايام المطيرة والمثلجة[3]، حرصاً على صحة المقاتلة وسلامتهم، وهو نهج عمل به الخلفاء الامويون لاسيما معاوية بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز تأسياً بالخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ واقتصاداً بقدرات الامة البشرية والمادية التي عليها ان تجاهد اعداءها محيطين بها في اكثر من مكان.

علاقة مقاتلة الصوائف والشواتي فيما بينهم:

تحلى جند الصوائف والشواتي بسجايا وخلال جديرة بالذكر والثناء، فقد واسى القادة الجند في السراء والضراء، لاسيما وانهم جميعاً يجاهدون في نحر الروم لأعزاز الدين ونيل رضا رب العالمين، فقد كان عمـــرو بن معاوية العقيلي – مثلاً – احد اشهر قادة الخليفة معاوية على الجبهة الرومية وهو امير على احد الجيوش كان ينزل عن ركوبته، فيواسي اصحابه في سوق السبي والجزور والرمك مشمراً عن ساقيه[4]، وواسى اولئك القادة الافذاذ الجند حتى في نحر الأضحية بوصفهم أولي أمر وآباء لهم، وهذا ما فعله بسر بن أبي ارطئة الذي كان على شاتية في ارض الروم، فوافق يوم الاضحى فالتمسوا الضحايا فلم يجدوها، فقام في الناس فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال: ((ايها الناس انا قد التمسنا الضحايا اليوم والتمسوها فلم نقدر منها على شيء – قال: وكانت معه نجيبة له يشرب لبنها لقوم ولم يجد شيئاً يضحي به الا هذه النجيبة – وأنا مضح بها عني وعنكم فان الامام أب ووالد ثم قام فنحرها ثم قال: اللهم تقبل من بسر ومن بنيه ثم قسم لحمها بين الأجناد حتى صار له منها جزء من الاجزاء مع الناس))[5].

---

(1) الترياق: لفظ فارسي معرب هو دواء السموم. ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص32.

(2) ابو زرعة الدمشقي، تاريخ، ج1، ص353؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج63، ص ص314 –315.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج7، ص ص94 – 95، ج37، ص427، ج60، ص310.

(4) خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص278؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص362.

(5) المزي، تهذيب الكمال ج3، ص38.

وكان اولئك القادة شديدي الحرص على سلامة مقاتلتهم، قد ضربوا اروع الامثلة في مواساتهم، كما هو الحال مع الصحابي الجليل أبي مسلم الخولاني[1] الذي كان اذا غزا في ارض الروم فمر الجند بنهر قال: ((اجيزوا بسم الله...ويمر بين ايديهم.. فيمرون بالنهر الغمر فربما لم يبلغ من الدواب الا الى الركب أو بعض ذلك أو قريباً من ذلك فأذا جاز قال للناس: هل ذهب لكم شيء؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن))[2]، وروى الاوزاعي عن أحد المجاهدين في هذا الشأن رواية مؤداها ان القائد مالك بن عبد الله الخثعمي فتح في احد الايام حصناً للروم بعد ان حاصره، وأصيب احد المقاتلة فجعل اصحابه يهنئونه بالنصر وافتتاح الحصن وهو يقول: ((ياليت الرجل لم يقتل وياليت الحصن لم يفتح وكان صائماً لم يفطر واصبح صائماً والناس يعزونه وهو يقول: ياليت الرجل لم يقتل وياليت الحصن لم يفتح))[3]، بل انه كانت رعاية الجند من معيته وادارة الجهاد شغله الشاغل حتى عن حوائجه الشخصية إذ روى ابن عساكر عن رجل كان يلازم مالكا الخثعمي، وهو يقاتل في بلاد الروم انه لم يتطيب بشيء وهو هناك حتى جاز الدرب قافلاً ((فذكرت ذلك له فقال مالك: وحفظت مني؟ قال: نعم، قال: ماكان يسوغ لي ان اتطيب لما يهمني من أمر رعيتي حتى سلمهم الله فلما سلمهم وأمنت تطيبت [4]))، وحظى المتميزون من مقاتلة الصوائف والشواتي في القتال بتكريم قادتهم بالثناء عليهم والحاقهم في شرف العطاء – يعني أعلى العطاء آنذاك – كما فعل ذلك الامير مسلمة بن عبد الملك مع احد الجند ويدعى جمال بن بشر العامري الكلابي[5].

---

[1] ابو مسلم الخولاني: عبد الله بن ثوب أدرك الجاهلية اسلم قبل وفاة رسول الله ﷺ ولم يره كان فاضلاً ناسكاً عابداً ذا كرامات وفضائل. ابن الاثير، اسد الغابة، ج3، ص192، ج6، ص304.

[2] اللالكائي، هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (ت418هـ) كرامات الاولياء، تحقيق لحمد سعد الحمان، ط1، دار طيبة، (الرياض 1412هـ)، ص ص187 – 188؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج27، ص210.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 56، ص ص474 – 475.

[4] المصدر نفسه، ج 56، ص 474.

[5] المصدر نفسه، ج11، ص ص 249 – 250.

وطالت رحمة المجاهدين من اهل الصوائف والشواتي وانسانيتهم من وقع في أيديهم من اسرى العدو وسباياهم عملاً باحاديث رسول الله ﷺ بهذا الشأن التي مافتأوا يذكرونها إذ لم تدفعهم فرحة النصر الى السفك والدمار كما تفعل الامم الاخرى، ففي أحدى غزواتهم البحرية صوب الروم بقيادة عبد الله بن قيس الفزاري مر ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه بصاحب المقاسم وقد اقام السبي فإذا بأمرأة تبكي فسأل ما شأنها؟ ((قالوا: فرق بينها وبين ولدها قال: فأخذ بيد ولدها حتى وضعه في يدها فانطلق صاحب المقاسم الى عبد الله بن قيس فأخبره فأرسل الى أبي ايوب: ماحملك على ماصنعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين الاحبة يوم القيامة))[1].

وفي غزوة للمسلمين وراء الدروب بقيادة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أتي الاخير بأربعة أعلاج من الروم فامر بهم ان يصبروا، فرموا بالنبل حتى قتلوا، فقام أبو ايوب حتى اتى عبد الرحمن بن خالد فقال: ((أصبرتهم؟ لقد سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن صبر الدابة وماحب ان لي كذا وكذا واني صبرت دجاجة.. فدعا عبد الرحمن بن خالد بغلمان له اربعة فاعتقهم مكانهم))[2]. ومن الشواهد التاريخية على انسانية المقاتلة المسلمين في تعاملهم مع اسرى العدو بأرض الروم، روي ان الحصين بن النمير السكوني أُتيَ وهو يقود جند المسلمين مجاهداً باسير وهو على غدائه فناوله احد الجند عرقاً من اللحم، فرآه الحصين يأكل فقال كيف نقتله وطعامنا بين اسنانه، فخلى سبيله))[3].

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج32، ص ص118 – 119. ينظر الحديث بلفظٍ آخر احمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله (ت 241هـ)، الورع تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1983)، ص39.

[2] ابن أبي شيبة، ابو بكر عبد الله ابن محمد ابن أبي شيبة الكوفي (ت 235هـ) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط1، (الرياض، 1409هـ)، ج5، ص ص 455 – 456؛ البيهقي، احمد بن حسين ابن علي ابو بكر البيهقي، (ت 458هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، (مكة المكرمة 1994م)، ج9، ص71.

[3] سعيد بن منصور، ابو عثمان سعيد بن منصور الخراساني (ت 277هـ)، كتاب السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط1، الدار السلفية، (الهند1972م) ج2، ص295.

التعبئة القتالية في الصوائف والشواتي:

اما عن تعبئة مقاتلة الصوائف والشواتي اثناء المسير والتعسكر والقتال، فمما أثر عن اهل العلم والدراية بامور الحرب من المسلمين قولهم انه اذا كان المحارب على مسافة قريبة من عدوه، فلايسير الافي مقدمة وميمنة وميسرة وقد اشهروا اسلحتهم ونشروا البنود والاعلام وعرف كل منهم مركزه وموضعه من العسكر سائرين تحت الويتهم ويكون رحيلهم ونزولهم على راياتهم واعلامهم وفي مراكزهم[1]، وقد عرف مثل هذه المباديء مقاتلة الصوائف والشواتي في العصر الأموي وعملوا بها، ففي إحدى حملات المسلمين السنوية الى بلاد الروم بقيادة مسلمة بن عبد الملك في زمن والده الخليفة عبد الملك بن مروان نفرت قبائل العرب تحت راياتها، واخذوا اماكنهم المحددة لهم اذ نفرت تميم تحت راية محمد بن الاحنف بن قيس، وربيعة نفرت تحت راية عبد الرحمن بن صعصعة ونفرت طي ولخم وجذام بزعامة عبدالله بن عدي بن حاتم الطائي، وساروا جميعاً نحو الروم على نظام تعبوي يعرف بالخميس – أي تقسيم القطعات الى خمسة اقسام بغية تامين الحماية من جميع الجهات –، فقد كان على المقدمة محمد بن الاحنف بن قيس وعلى الميمنة محمد بن مروان وعلى الميسرة عبد الرحمن بن صعصعة وعلى الساقة محمد بن عبد العزيز وفي القلب مسلمة بن عبد الملك بوصفه قائد الجيش[2].

ولتامين الحماية اللازمة لقطعات الجهاد اثناء سيرها كان القواد يرسلون مجموعات قتالية متقدمة بهيئة طلائع تستكشف الطرق والدروب وتامنها من ارصاد العدو وكمائنه، وقد اوصى الخليفة عبد الملك ابنه مسلمة لما ارسله على راس الحملة آنفة الذكر بفعل هذا الامر ((وصير على طلائعك البطال–(عبد الله البطال)– وأمره فليعس بالليل العسكر فأنه أمين ثقة مقدام شجاع))[3].

---

[1] قصي فالح عبد الرؤوف، الهندسة العسكرية، ص147.

[2] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص168؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص ص1922– 1923 ابن عربي، محاضرة الابرار، ج1، ص ص388– 389.

[3] المصدر نفسه.

وكان قادة الصوائف والشواتي يسيرون بالجند سيراً رفيقاً لا يلحق الضرر بهم آخذين في الحسبان حالتهم العامة فقد يوجد بينهم المتعب او المريض من المقاتلة أو العجفاء والضعيفة أو المريضة من الدواب والركائب كما هو الحال في احدى الصوائف التي قادها مالك بن عبد الله الخثعمي [1]، وزيادة في التحوطات الامنية وستراً لأنسحاب المقاتلة بعد تنفيذ واجباتهم كان بعض قادة الصوائف والشواتي يدور على جموع المقاتلة القافلين ممتطياً جواده ذاباً عنهم، كبسر بن أبي أرطأة الذي غزا الروم في أحد الايام ((فجعلت ساقته لاتزال يصاب منها طرف، فجعل يلتمس ان يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته فيكمن لهم الكمائن))[2] أي يجعل لها الحماية المناسبة لأنها تحمل الاثقال من متاع الحملة وغنائمها وجرحاها وبقية العدد الثقيلة وليس لها القدرة القتالية الكبيرة على حماية ركائبها وأحمالها.

اما عن تعبئتهم اثناء التعسكر فالمعروف في العمل العسكري ان للتعسكر اغراضاً منها راحة الجند بعد طول المسير أو تهيئة الاستحضارات النهائية للمعركة قبل الشروع بالالتحام مع العدو الذي غدا قريباً منهم، ويكون التعسكر اما ليلاً - فيسمى البيات – او نهاراً، ومهما يكن الغرض منه ووقته، فان العرب المسلمين كانوا يتخذون كل الاجراءات الكفيلة بحماية الجند من خطر مداهمة العدو ومن استطلاع منطقة التعسكر قبل التعسكر فيها، وهذا ما اوصى به الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد ابا عبيدة عامر بن الجراح عندما وجهه الى الشام ((لا تنزل منزلاً قبل ان تستريده لهم وتعلم كيف مأتاه[3])) وكان ترتيب الجند في التعسكر معلوماً اذ تخصص كل جهة من جهات المعسكر لقائد من القواد ومعه جنده فيكون في موقع معروف إذا تطلب الامر استدعاءه مع مراعاة حرية المقاتلة في الحركة والتجوال اثناء النفير من خلال افساح المنازل وترك الفرج وهذا مابينه احد مقاتلة

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج56، ص474.

(2) المزي، تهذيب الكمال، ج3، ص37.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ج1، ص40.

الصوائف بقوله: ((ان اهل الشام كانوا اذا ساروا الى الشام ينزلون ارباعاً.. وكان بين كل جندين فرجة وطريق للعامة ومجال للخيل ومركز لها ان كانت فزعة من ليل أونهار، وكان والي الصائفة ينزل بخاصته ورهطه في القلب في اهل دمشق ثم ينزل أجناد الشام يمنة ويسرة))[1].

وقد نهى قادة الصوائف والشواتي الجند عن تضييق المنازل فيما بينهم إذا عسكروا في مكان ما كما فعل ذلك الامير عبد الله بن عبد الملك الذي نهى جنده حين نزلوا على حصن سنان – أحد الحصون في بلاد الروم – في صائفة من الصوائف عن تضييق المنازل على بعضهم وذكّرهم بقول رسول الله ﷺ: ((من ضيق منزلاً أو قطع طريقاً فلا جهاد له))[2].

اما عن تعبئتهم في اثناء التماس ومباشرة القتال مع الروم فيبدو من الاشارات التاريخية الموجزة ذات الصلة، انهم ابدعوا في معارك اقتحام القلاع والحصون ولاغرابة في ذلك، اذا ماعلمنا ان القلاع والحصون – بحكم طبيعة بلاد الروم الجغرافية – كانت ابرز وسائل الروم الدفاعية المستخدمة حينذاك، فروي ان القائد عثمان بن حيان لجأ الى اتباع اسلوب المطاولة والصبر وتضييق الخناق عندما حاصر عمورية في أحدى الصوائف في اثناء خلافة يزيد بن عبد الملك (101 – 105هـ/ 719 – 723م) واقام عليها ستة وثلاثين منجنيقاً[3]، وقد شجع الخليفة عمر بن عبد العزيز قبل هذا الوقت على اتباع الأسلوب ذاته ووجه احد قادته – الذي كان يعالج حصناً من حصون الروم في احدى الحملات – باستخدام المنجنيق بوصفه سلاحا فعالا في حسم مثل هذا النوع من المعارك[4]، وفي سنة 106هـ/ 724م قاد محمد بن مروان وهو على الجزيرة من قبل الخليفة هشام

---

[1] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج3، ص37.

[2] الشيباني، شرح كتاب السير الكبير، ج1، ص31 – 32؛ ابو داود، سنن أبي داود، ج3، ص42، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج48، ص ص274 – 275.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص140.

[4] ابن سعد، الطبقات، ج5، ص352.

محمد بن عبد الملك الصائفة وافتتح حصناً يسمى مواسا عنوة بعد طول صبر وشدة حصار ورمي بالمجانيق[1].

ولضرورات مجابهة العدو طور المسلمون في العصر الأموي أساليب تعبوية وقتالية جديدة لم تكن مألوفة من قبل في معارك القلاع والحصون حضيت برضا الخلفاء ومباركتهم كاستخدام الدخان وتوجيهه نحو تلك العمائر الحصينة لإجبار حامياتها على الاستسلام بأسرع وقت وبأقل خسائر في صفوف المسلمين[2]، وهو أسلوب من شأنه ارباك العدو والتضييق عليه حتى يستسلم وينزل للمسلمين على شروطهم.

واجاد المقاتلة استخدام التموية والخداع والمناورة تأسياً برسول الله ﷺ الذي قال بمبدأ ((الحرب خدعة)) وعمل به[3]، لأرباك الروم وتضليل عيونهم (جواسيسهم) ولحرمانهم من فرصة الاستعداد المسبق لمجابهة المسلمين وزيادة في امن قطعات المسلمين، ففي هذا السياق روي ان الامير معاوية بن هشام خطب الجند في احدى الصوائف قائلاً: ((اللهم انصرنا على عمورية وهو يريد غيرها))[4]، ولما عزم الخليفة الوليد بن عبد الملك على غزو الطوانة سنة 88هـ/706م كاتب ملك الروم بكتب امر صاحب ارمينية - حليف العرب المسلمين - ان يكتب بها اليه بما عزمت عليه الخزر ((من غزوه وقلة من معه وكثرة من يتخوفه من خزر ومن تأشب اليهم من ملوك جبال ارمينية ومن فيها من الامم المخالفة للأسلام، ففعل ذلك صاحب ارمينية، وتابع كتبه، وقطع الوليد البعث على اهل الشام الى ارمينية واكثفه وجهزه وقواه واستعمل عليه مسلمة بن عبد الملك وأعانه بالعباس بن الوليد حتى يبلغ من جهازهم مايريد ثم سيرهم الى

---

(1) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص89.

(2) ابن سعد الطبقات، ج5، ص352.

(3) البخاري، صحيح البخاري، ج3، ص1102؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص ص1361 – 1362.

(4) ابن العديم، بغية الطلب، ج10، ص4690.

الجزيرة ثم اعطفهم الى ارض الروم ثم امرهم بالنزول على الطوانة))[1] ففتحها المسلمون في السنة المذكورة.

وكان مالك بن عبد الله الخثعمي وهو على الصائفة ((يقوم في الناس اذا اراد ان يرحل فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول: اني دارب بالغداة درب كذا فتفرق الجواسيس عنه بذلك فاذا اصبح سلك بالناس طريقاً غيرها فكانت الروم تسميه الثعلب[2])).

ومن الاساليب القتالية ذات الابعاد الامنية التي ابتدعها المسلمون وهم يقارعون الروم في عقر دارهم ولدرء مخاطر الثلوج المتساقطة عليهم هناك في فصل الشتاء واستجابة منهم لتلك التحديات لجأوا في اثناء حصارهم للطوانة الى الاستتار والمبيت بالخنادق الشقية التي حفروها، فقد روي ان الشتاء اكب على مسلمة وجنده هناك حتى نفقت عامة الظهر وعرض لكثير منهم البطن – من امراض الشتاء – وتهتكت الابنية من الجليد والثلج، فحفر الجند لانفسهم الأسراب يبيتون بها ليلاً ويظهرون نهاراًحتى دعا ذلك اهل الطوانة بعد ان ياسوا من رحيل المقاتلة المسلمين في الكتابة الى ((طاغيتهم يخبرونه بحالهم وانهم ينتظرون مادة وميرة تاتيهم: فان كانت لك بناحاجة فالان قبل ان ياتيهم المدد والميرة[3])).

ومن هذه النصوص التاريخية المهمة وسواها تبرز قدرة القادة المسلمين على الابداع والتجديد والابتكار في الاساليب القتالية، استجابة لضرورات المجابهة الحربية وهي من اهم العوامل الرئيسة المؤثرة في تحديد واختيار نمط التعبئة المناسب للقتال.

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج18، ص 443، ج26، ص 443.

(2) النويري، نهاية الارب، السفر السادس، ص176.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص 443.

اهداف حملات الصوائف والشواتي:

اما عن اهداف هذه الحملات السنوية فالمعروف ان لكل عملية قتالية هدفا معينا اوغاية محددة تبتغي الحملة العسكرية المرسلة تحقيقها، وقد تدفع ملابسات المعركة ومداخلاتها وما يستجد اثناء صفحات القتال الى تحقيق اكثر من هدف اوغاية في وقت واحد، وهذا الامر ينطبق على الصوائف والشواتي واللافت للنظر ان المصادر التاريخية المعتمدة سواء اسلامية أم غير اسلامية لم تتوسع في بحث هذه المسالة او في اعطاء تفاصيل دقيقة عن ما كان يحدث اثناء اشتباك قطعات الصوائف والشواتي مع قوات الثيمات البيزنطية، ولكن على العموم يمكن الاشارة الى ابرز اهداف تلك الحملات من خلال جمع واستقراء الاشارات التاريخية الموجزة.

فمن الصوائف ما كان هدفها استطلاع واستكشاف الطرق والدروب المفضية الى بلاد الروم من حيث طبيعتها الجغرافية ومدى تواجد القوات البيزنطية واعداده ومقدار الخطر الذي يمكن ان تشكله على قوات المسلمين النافذة الى العمق البيزنطي لاحقا"، فعلى ضوء ما تجلبه تلك الصوائف من معلومات تجري القياد العليا للجهاد تقديراً للموقف توضع على ضوءه خطتهم الحربية المستقبلية، مثا ذلك حملات الصوائف المبكرة التي خرجت ايام الخلفاء الراشدين سنة 17هـ 638م وما بعدها، اذ كان بعضها بهيئة سرايا صغيرة تنطلق نحو اهداف محدد بزمان ومكان معينين[1].

واستهدفت بعض تلك الحملات توجيه هجوم مقابل وخاطف على مواقع العد المواجهة للمسلمين رداً على اعتداءاته المتواصلة التي ما فتأت تتكرر مستثمراً كا حالة ضعف او فتور قد تنتاب المسلمين لاي سبب، ففي هذا السياق روي عل سبيل المثال ان محمد بن مروان بن الحكم قاد الصائفة متوجهاً الى بلاد الروم سنا

---

[1] ينظر، ص من هذا الكتاب.

75هـ /694م لردع الروم والرد على اعتداءاتهم على المسلمين من اهل ثغر مرعش وتخريبهم سورها في ذلك العام[1]، وفي سنة79هـ /698م هجم الروم على انطاكية وعرضوا اهلها للاذى فجهز الخليفة عبد الملك بن مروان حملة لطردهم والرد عليهم[2]، وبهدف درء خطر الروم ورد اعتداءاتهم المتكررة ولاهمية ماضربوه من حصون المسلمين الثغرية من النواحي التعبوية بعثت الخلافة الاموية بعض الصوائف لاعادة اعمار مادمرمنها، كما حصل ذلك سنة 84هـ /703م فقد ((غزا عبدالله بن عبدالملك بن مروان ارض الروم حتى بلغ طرنده وفيها بني المصيصة[3])) وفي السنة التالية 85هـ /704م ((بعث عبدالله بن عبد الملك وهو بالمصيصة يزيداً بن حنين فلقيته الروم في جمع كثير فأصيب الناس بميسوسنة واصيب ميمون الجرجماني في نحو من الف من اهل انطاكية عند طوانة [4])) وفي خلافة مروان بن محمد تكررت مثل هذه الاعتداءات على مدينة مرعش الثغرية ودمر الروم سورها وهجروا سكانها مستثمرين ما عصف بخلافتة من مشاكلات داخلية بخروج اهل حمص وغيرهم عليه، مما اوجب على الخليفة مروان حال فراغه من امر اهل حمص ان يقطع على اهل الشام بعثاً للرد على الروم ولبنيان مرعش وشحنها بالجند والسلاح مجدداً[5].

وكانت الغاية من ارسال الصوائف والشواتي مجابهة البيزنطيين بحرب استنزاف لاهوادة فيها لاجل تكبيدهم اكبر قدر ممكن من الخسائر المادية والبشرية وتدمير اسباب قوتهم الرئيسة بحملات مباغتة في اكثر من اتجاه وعلى اوقات مختلفة؛ لانهم كانوا مصدر الخطر الأساسي على الإسلام ودولته من بين أمم الكفر

---

[1] ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص347؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص197، الطبري، تاريخ، ج6، ص202، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص374.

[2] الطبري، تاريخ، ج6، ص322.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج29، ص346.

[4] خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص379

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج19، ص247؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص3953.

الأخرى، ولأعلامهم بحالة التوثب والاستنفار الدائمة في صفوف المسلمين آنذاك، فقد ذكر الطبري في حدثية عن وقائع سنة 48هـ /668م واحداثها رواية مفادها ((وكان فيها شتى عبد الرحمن القيني انطاكية وصائفة عبدالله بن قيس الفزاري وغزوة مالك بن هبيرة السكوني للبحر وغزوة عقبة بن عامر الجهني باهل مصر البحر، وباهل المدينة على المدينة المنذر بن الزهير وعلى جميعهم خالد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[1]))، واشار ابن الاثير في حديثه عن وقائع سنة 93هـ/711م الى انه في هذه السنة ((غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سبسطية والمرزبانيين وطرسوس وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجره وفيها غزا مسلمة الروم ايضاً ففتح ماسيسة وحصن الحديد وغزاله من ناحية ملطية[2])).

وفي سنة 94هـ /712م ((غزا العباس بن الوليد ارض الروم ففتح انطاكية وفيها غزا عبد العزيز بن الوليد فبلغ غزالة وبلغ الوليد بن هشام المعيطي برج الحمام ويزيد بن كبشة ارض سورية[3]))، وكلها حصون في بلاد الروم، وذكر ابن الكلبي ان الامير معاوية بن هشام بن عبد الملك غزا ارض الروم سنة 107هـ /725م فأوغل فيها ((وبعث الوضاح صاحب الوضاحية فحرق القرى والزروع وقطع الشجر))، لان الروم كانوا قد احرقوا مراعي المسلمين[4]، وفي السنة ذاتها اغزى الخليفة هشام بن عبد الملك الامير مسلمة الصائفة ((فادرب من ملطية فاناخ على قيسارية فافتتحها عنوة وذلك لاربع خلون من شهر رمضان سنة سبع ومائة[5])) واغزى الخليفة هشام ابنة سعيد قيسارية من بلاد الروم و فتح ابراهيم بن

---

[1] الطبري، تاريخ، ج5، ص231.

[2] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص578.

[3] ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص449؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص582، ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص100.

[4] خليفة بن خياط، تاريخ، ج2، ص350؛ اليعقوبي، تاريخ، ج2، 230، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج59، ص281.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص378؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج58، ص37.

هشام بن عبد الملك حصناً من حصون الروم ايضاً وفيها غزا اسيد بن عبيد الله القسري ... وفيها غزا معاوية بن هشام بن عبد الملك ارض الروم وبعث البطال على جيش كثيف فافتتح جنجرة وغنم منها شيئاً كثير[1])).

وكان الهدف المرجو تحقيقه من ارسال بعض تلك الحملات الرباط والحراسة في مواضع الخطر من الثغور المواجهة للروم لاجل الدفاع ضد أي طارىء يحدث وتاكيداً لحالة التوثب والاستنفار المتواصلة عند المسلمين، ففي هذا الصدد ذكر ابن تغري بردي (ت 874هـ) ان بسر بن أبي ارطأة شتى بارض الروم مرابطاً سنة 43هـ /663م[2] وغزامسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد فرابطا في طوانة وشتوا عليها سنة88هـ[3]/706 م وفي سنة 113هـ /731م ((غزا معاوية بن هشام ارض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع [4])) وفي سنة 121هـ/738م اغزا الخليفة هشام بن عبد الملك ولديه مسلمة ويحيى ملطية فرابطا بها تلك السنة[5]، وذكر الواقدي (207هـ) ان الروم خرجوا زهاء عشرين الفاً منهم فنزلوا على ملطية سنة 123هـ /740م ((فاغلق اهلها ابوابها وخرج رسولهم مستغيثاً فلحق بهشام وهو بالرصافة فندب هشام الناس الى ملطية وتقلد سيفاً ثغرياً وركب يطوف على الناس بالرقة واتاه الخبر بان الروم قد قفلوا فاخبر الرسول بذلك وبعث معه بشراً ليرابطوا بملطية [6])).

واستهدفت الخلافة الأموية من إنفاذ بعض الصوائف والشواتي التمهيد للحملات الكبرى المتجهة من الشام لفتح القسطنطينية باشغال العدو وإحداث الارتباك بين صفوفه وتسليط اكبر قدر ممكن من الضغط العسكري على قطعاته

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص318؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص100.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص124.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج6، ص441.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص176.

(5) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج58، ص68.

(6) البلاذري، جمل من كتاب انساب الاشراف، ج8، ص359.

المتركزة بازاء المسلمين، فقد اشارت المصادر الى النشاط الحربي الكبير الذي سبق حملة مسلمة سنة 98هـ /718م، ففي سنة 95هـ /713م كانت حملة الوليد ابن عبد الملك الى ارض الروم فدخل مدينة (هرقلة) وحصن (طولس) و(المرزبانيين)[1]، وفي سنة 96هـ /714م كانت حملة مسلمة الى ارض الروم وقضى الصائفة فيها وطرد الروم من حصن عوف وكذلك كانت حملة العباس بن الوليد حيث هزم الروم في (طرسوس)[2]، وفي 97هـ /715م ((امّر الخليفة سليمان بن عبد الملك ابنه داود على الصائفة ففتح حصن المراة، قال الواقدي: وفيها غزا مسلمة بن عبد الملك ارض الوضاحية...وفيها غزا مسلمة ايضاً برجمة ففتح حصوناً وحصن الحديد وسردا وشتى بارض الروم وفيها غزا عمر بن هبيرة الفزاري في البحر ارض الروم وشتا بها[3])). وارسل الخليفة سليمان حملة اخرى بقيادة ابنه داود، ففتح حصن (المرأة) والمناطق المحيطة بملطية[4]، وتحدث ابن عساكر عن اهم العمليات الحربية التي مهدت لحملة مسلمة على القسطنطينية سنة 98هـ/ 717م قائلاً ((واغزى سليمان بن عبد الملك الصائفة مسلمة بن عبد الملك برجمة والحصين الذي افتتح الوضاح وهو حصن ابن عوف وافتتح مسلمة ايضا حصن الحديد وسردا وشتا بضواحي الروم في سنة ثمان وتسعين شتا مسلمة بضواحي الروم وشتا عمربن هبيرة في البحر والبرفجاوز الخليج وافتتح مدينة السقالبة.. [5])).

---

[1] الطبري، تاريخ، ج6، 492- 494؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج3، ص71.

[2] الطبري، تاريخ، ج6، ص522، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص233.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص177.

[4] الطبري، تاريخ، ج6، 545؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص235.

[5] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج58، ص32، ج17، 155.



الفصل الخامس

المجابهة الحربية البحرية

المجابهة الحربية البحرية:

لم يكد العرب المسلمون يتمون تحرير مدن الساحل الشامي[1]، حتى اخذ والى الشام معاوية بن أبى سفيان يتطلع الى ركوب البحر ومجابهة البيزنطيين فيه، بعد أن تبين له جدوى مثل هذا الامر من النواحي السوقية والتعبوية على مجريات الحرب المستقبلية، لا سيما بعد ملاحظته الدور الكبير الذي أدته السفن البيزنطية في إسناد المدن المحاصرة وامدادها، بكل ما من شأنه ان يعزز صمودها وإفشال جهود العرب المسلمين الرامية لتحريرها، ورأى ان البيزنطيين لم يكن ليسلموا بسرعة بخروج الساحل الشرقي للبحر المتوسط من أيديهم، والذي كان لسنوات طويلة مورداً ومعبراً مهـماً لتجارتهم ومرتكزاً لأساطيلهم وقوتهم البحرية في المنطقة، وادرك الدور الخطير الذي اضطلعت به جزر ذلك البحر بوصفها قواعد تموين وانطلاق وإمداد للأساطيل الحربية البيزنطية أثناء غاراتها على السواحل الشامية، لا جل هذا كله أيقن الوالي معاوية ومنذ وقت مبكر بضرورة قتال الروم في البحر، مجاراة لهم في أساليبهم الحربية وصداً لغاراتهم ومجابهتهم بالوسائل والأسلحة ذاتها التي استخدموها ضد العرب المسلمين.

فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يصف له حال السواحل وما غدت عليه بُعيد حروب التحرير، ويستأذنه بالغزو في البحر[2]، ويرغبه فيه[3]، وجريا على السياسة الحميدة التي انتهجها الخلفية عمر ﷺ في التشاور مع المسلمين فيما يتعلق بشؤون الدولة العليا لاسيما الجهاد، كتب الى عمرو بن العاص والي مصر

---

[1] ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص ص119–121، 129–131، 134–136، 144–145؛ ابن حبيش، الغزوات، ج1، ص324–328.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص130.

[3] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص258–259؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص48، المقريزي، الخطط، ج3، ص ص4–5. قال عمرو بن العاص: ((يا أمير المؤمنين: اني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء ان ركد أحزن القلوب وان زل ازاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة والشك كثرة هم فيه كدود على عود إن مال غرق وان نجا برق)).

أن يصف له حال البحر والإبحار في مياهه، وقد جاء رد عمرو بن العاص يحمل وصفاً دقيقاً لما قد يلاقيه المرء من صعاب في أثناء ركوب البحر والقتال فيه، لذلك فان هذا الوصف قد أضاف إلى ما وقر في نفس الخليفة عمر ﷺ من أسباب موجبة للرفض، فكانت إجابته بالرفض[1] والنهي عن طلب هذا الأمر مرة أخرى، وكان رائده في ذلك حرصه الشديد على سلامة المسلمين، لئلا يصابوا بأي أذى أو يُغرر بهم، كما يرجع الى ما أتصف به الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من روية ورزانة يستهدي المنطق السليم في كبح جماح قواده عن التسرع في الغزوات التي قد يبدو له فيها ولو نزر يسير من المخاطرة بأرواح المسلمين[2]، وكان هذا دأبه في الحروب البرية أيضا والى إدراكه قصور خبرات اكثر المسلمين وقتذاك بتعبئة البحر وأساليب القتال فيه، بالقياس الى البيزنطيين، وربما عدم امتلاكهم العدد الكافي من القطع البحرية الحربية، مما يوفر ذلك كله غلبةٍ لاعدائهم عليهم، فضلا عن حاجة المسلمين الى الاستقرار وتنظيم أمور تلك النواحي الإدارية والدفاعية، يضاف الى ذلك ضرورة إتمام تحرير بقية الأراضي العربية الساحلية والقضاء على جيوب المقاومة الرومية في الشام ومصر.

وليس السبب وراء رفض الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ هو عدم معرفة العرب بالبحر وركوبه، كما ذهبت الى ذلك العديد من الدراسات الحديثة[3] اعتماداً

---

[1] الطبري، تاريخ، ج4، ص ص258-259؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص48، المقريزي، الخطط، ج3، ص ص4-5.

[2] ينظر عن موقف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ من حملة العلاء بن الحضرمي من البحرية على بلاد فارس سنة17هـ/638م: الطبري، تاريخ، ج4، ص ص79 – 83؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص ص538 – 540.

[3] ينظر مثلا: أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م) ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة د. ت)، ص88، تمت مناقشة هذه القضية بالتفصيل من قبل: حسن صالح شهاب، فن الملاحة عند العرب، ط1، دار العودة، (بيروت1982م)، ص ص15-35، سالم عبد علي العبيدي، القوة البحرية العربية الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل 1991م، ص ص9-12.

على نص أورده ابن خلدون في مقدمته[1]، فالعرب أمة عرفت البحر وألفت الإبحار فيه لأغراض التجارة منذ زمن بعيد، لاسيما أولئك الذين قطنوا السواحل في غرب وجنوب شبه الجزيرة العربية المطلة على مساحات مائية واسعة تتمثل – كما في التسميات الحديثة – بالبحر الأحمر والبحر العربي وخليج عُمان والخليج العربي، وقد حوت إشعارهم العديد من الألفاظ والمفردات التي تؤكد ذلك، وجاء ذكر البحر والسفن في اكثر من موضع من سور القرآن الكريم[2]، بل إن بعض القبائل العربية اشتهرت بركوب أبنائها البحر كقبيلة الازد اليمانية حتى قال قائل بحقهم[3]:

إذا أزديّـــة ولـــدت غلامـــاً   فبشـــرها بمـــلاح مجيـــد

وعيّرهم القائد قتيبة بن مسلم الباهلي في أحد الأيام قائلاً: ((وأنتم يا معشر الازد تبدلتم بقلوس السفن أعنة الخيل، وبالمرادي الرماح، وبالمجاذيف السيوف[4]))، بل إن اعتماد الخليفة معاوية على اليمانية في غزو الروم بحراً قد أثار حفيضة القيسية، وهي إشارة الى معرفتهم بركوب البحر والقتال فيه اكثر من سواهم[5]، ولا غرابة في هذا، فقد حفظت دواوين الشعر بعض النصوص الدالة على معرفة بعض العرب القتال في البحر كقول عمرو بن كلثوم[6]:

ملأنـــا الـــبر حتـــى ضـــاق عنّـــا   وظهـــر البحـــر نملـــؤه ســـفينا

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ)، المقدمة، ط1، دار القلم، (بيروت1989)، ص253.

(2) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب، (مصر 1389هـ) ص114.

(3) ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د. ت)، ج1، ص200.

(4) (3)ابن اعثم، الفتوح، ج7، ص262؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص ص13-14.

(5) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج68، ص ص 146-147. ينظر ايضا: البلاذري، انساب الأشراف، ج1، ق4، ص91.

(6) الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، (بيروت د. ت)، ص197.

وفي قول النابغة الذبياني وهو يصف سفن الأنباط وهي تدخل في صراع مع البيزنطيين للذود عن الساحل العربي تجاه غزواتهم ما يؤكد ذلك[1]:

له بحر يقمص بالعدولي وبالخلج المحملة الثقال

مضر بالقصور يذود عنها قراقير النبط الى التلال

ولعل من الخطأ التاريخي أخذ نص ابن خلدون آنف الذكر على الإطلاق، لاسيما وانه مؤرخ متأخر عاش في القرن الثامن الهجري (732-808هـ/ 1331-1405هـ) ولم ينشأ في بيئة بحرية تجعله ضليعاً بمعرفة أسرار الحياة البحرية وحكماً في أمور التاريخ البحري وفلسفته فأين مقامه وزمانه من القائد والخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي أسس أول أسطول عربي إسلامي غزا به جزيرة قبرص سنة 28هـ/648م[2].

ازاء ذلك كله آثر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ اعتماد نظام دفاع ساحلي فعّال قائم على تحصين الثغور[3] وجعلها على الاهبة لرد أي عادية على عجل، كمرحلة تالية في عمليات التحرير، وهذا ما تضمنه أمره لواليه معاوية حين كتب اليه الأخير يصف له حال السواحل وما هي عليه من خراب وافتقارها الى الوسائل الدفاعية، لاسيما بعد ان شهدت تحصيناتها القديمة وقائع معارك التحرير، فأمر الخليفة عمر ﷺ بترميم حصونها وترتيب المقاتلة فيها وشحنها بالعدة والعتاد اللازمين وأقامة الحراسات على مناظرها واتخاذ المواقيد لغرض الإنذار والتنبيه فيها[4].

---

(1) قاسم راضي مهدي، مظاهر البيئة البحرية في الشعر الجاهلي، مجلة المورد، ع3سنة 1981م، ص131.

(2) خالد بن محمد القاسمي، الملاحة البحرية في العصور الإسلامية، مجلة تاريخ العرب والعالم، ع 91-92، آيار – حزيران 1986م، ص ص65-73.

(3) ينظر: خريطة رقم (8).

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص130؛ المنظرة وهي أبراج حراسة تبنى على الأماكن العالية المشرفة على البحر من اجل رؤية المراكب المعادية قبل اقترابها من الساحل ووسيلة اتصال عن طريق إيقاد النيران أنذاراً بقدوم العدو. هاشم إسماعيل جاسم، الخطة العسكرية، ص43.

واستمر العمل بالخطة هذه بقية عهد الخليفة عمر ﷺ ((إذ كان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند ساحل رتبوا فيها قدر من يحتاج لها اليه من المسلمين فإن حدث في شيء منها حدث من قبل العدو سربوا أليها الإمداد[1]))، وقد روى في هذا السياق أن الوالي معاوية بن أبى سفيان لما انتهى من تحرير ثغر عسقلان سنة19هـ/ 640م أسكنها الروابط ووكل حامية تحفظها[2]، وقد استثمر معاوية أمر الخليفة عمر ﷺ آنف الذكر واتخذه دليلاً عمل بموجبه واساساً بنى عليه خططه الحربية البحرية اللاحقة، فحصن الثغور البحرية وشحنها وانشأ الربط[3] الحربية، واعتنى بهذا النظام حتى غدا جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط بالجهاد، إذ جذب الرباط الأتقياء المتحمسين للجهاد ونصرة الإسلام[4]، وقد طبق نظام الرباط في ثغر الإسكندرية خير تطبيق منذ العصر الراشدي، إذ كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يبعث إليها في كل سنة جماعة من أهل المدينة المنورة ترابط هناك ((وكاتب الولاة لاتغفلها وتكثّف رابطتها ولاتأمن العدو عليها[5])) وفـي عـهد الخليـفة عثمان بن عفان ﷺ (13-23هـ/ 634-643م)، تم السير على السياسة ذاتها، فأمر أميرها عبد الله بن سعد بن ابي سرح بتخصيص رابطة للإسكندرية وتحديد أمد إقامتها بستة اشهر من العام، وفي خلافة معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ/661-679م) وولاية عمرو بن العاص الثانية تعدى تنظيم الدفاع الساحلي الإسكندرية الى بقية السواحل المصرية، فقد ذكر ابن عبد الحكم (ت214هـ) ان الوالي عمراً بن العاص قطع من أصحابه للرباط في الإسكندرية ((ربع الناس خاصة، الربع يقيمون ستة اشهر، ثم يعقبها شاتية ستة اشهر، ربع في السواحل،

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص130.

(2) المصدر نفسه، ص144.

(3) الربط: هي الأماكن التي تتجمع فيها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على ارض العدو. ينظر: احمد إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص75-76. في معنى الرباط ينظر: الطبري، محمد بن جرير ابو جعفر الطبري (ت310 هـ)، جامع البيان في معاني القرآن، دار الفكر، (بيروت 1405هـ)، ج4، ص222.

(4) احمد إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص75-76.

(5) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص258.

والنصف الثاني مقيمون معه[1]))، وقد تواصل الاهتمام بهذا الثغر البحري، فقد تم تعيين حاكم خاص للإسكندرية وحامية دائمة إذ عقد عتبة بن ابي سفيان الذي ولي مصر سنة43هـ/663م لعلقمة بن يزيد الغطيفي سنة 44هـ/664م عليها مع أثني عشر ألفا من أهل الديوان يكونون رابطة فيها، ولكن أمير الإسكندرية هذا ما لبث ان كتب شاكياً قلة من معه من الجند، وانه يتخوف عليهم من بأس العدو، فكتب اليه الخليفة معاوية ((إني قد أمددتك بعبد الله بن مطيع في أربعة آلاف من أهل المدينة، وأمرت معن بن يزيد السلمي ان يكون بالرملة[2] في أربعة آلاف ممسكين بأعنة خيولهم متى يبلغهم عنك فزع يعبروا إليك[3])).

وهكذا افقد استنفرت الخلافة في العصرين الراشدي والأموي قدرات الأمة وطاقاتها الجهادية في الأمصار والأجناد للدفاع والتصدي للخطر البيزنطي الذي لم يزل يهدد دار الإسلام بصور شتى.

واستمر العرب المسلمون يعملون بتلك السياسة الدفاعية حتى بعد ان ركبوا البحر وقاتلوا البيزنطيين في لجته، بل إن اعتداءاتهم المتكررة على ثغور الشام ومصر البحرية وتصدي المقاتلة المرابطين لها، أثبتت مرة اخرى فعالية هذه السياسة وجدوى العمل بها، وعملت الخلافة على اعتماد كل الوسائل والأساليب الكفيلة بتعزيز ما سبق إقامته من استحكامات دفاعية هناك، بما يؤكد الأهمية البالغة لهذه التحصينات بوصفها منافذ التماس الحربي مع الروم عبر البحر، وقد أشار البلاذري[4] الى انه في سنة 23هـ/ 643م غلبت الروم على بعض هذه الثغور الساحلية[5] فقصدهم والي معاوية بن أبى سفيان ففتحها مجدداً ولرممها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع لينفعوا بها في أسلوب مستحدث قصد من ورائه توطين

(1) فتوح مصر وأخبارها، ص258.

(2) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين كانت رباطاً للمسلمين. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص321.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص258؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج41، ص202.

(4) فتوح البلدان، ص129.

(5) لم يذكر البلاذري ماهي هذه الثغور.

المقاتلة هناك وزيادة في تمسكهم بالأرض والدفاع عنها بعد أن تغدو ملكاً لهم، وفي الوقت الذي أذن فيه الخليفة عثمان ﷺ للقائد معاوية بالجهاد في البحر أمره أن يعد في السواحل إذا غزا جيوشاً خلا من فيها من الرتب وان يقطع الرتب أرضين ويعطيهم ما جلا عنه أهله من المنازل ويبني المساجد ويكبر ما بنى منها قبل خلافته مما كان لتنفيذ هذا الامر أبعد الأثر في انتقال المسلمين للجهاد والرباط في السواحل من كل ناحية[1]، ولم يزل المسلمون في العصر الأموي يعملون بهدي تلك التوجيهات، إذ كانت تخرج طالعة من المدينة المنورة عملها الحربي ملازمة السواحل والرباط فيها عند خروج قوات الصوائف والشواتي البرية والبحرية خشية انقضاض الأسطول البيزنطي على قواعد المسلمين في السواحل الشامية بهجوم معاكس[2].

وحين تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة سنة41هـ/661م، واصل العمل بذات النهج الذي بدأ به مذ كان والياً وقائداً بالشام أيام الراشدين، وأخذ يطوره حسب مقتضيات المرحلة وتداعياتها، فاعاد تقويم وترميم بعض الحصون الثغرية المتهدمة وانشأ حصوناً جديدة وشحنها بالعدد والعتاد، فقد بنى لجبله[3] حصناً خارج الحصن الرومي، القديم وبنى حصن انطرطوس[4] الذي جلا أهله عنه ومصرها واقطع القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس واللاذقية[5] وهي حصون على ساحل

(1) المصدر نفسه، ص130-131.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج57، ص ص143-144.

(3) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص31.

(4) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية واول أعمال حمص. المصدر نفسه، ج1، ص216.

(5) مرقية: قلعة حصينة في سواحل حمص: المصدر نفسه، ج7، ص251.

بلنياس: كوره صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر. المصدر نفسه، ج2، ص386.

اللاذقية: مدينة بساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة. المصدر نفسه، ج7، ص169.

بحر الشام[1] ووكل بها الحفظة من الجند المرابطين الى انغلاق البحر وتوقف الغزوات البحرية فيه شتاء[2]، ورمم عرقة[3] بعد ان حررها، أعاد أعمار جبيل[4].

وعمد الخليفة معاوية الى تكثيف سكان الثغور البحرية بعد ان هجر تلك المناطق كثير من الروم عائدين الى بلادهم، فقام الخليفة ومعاوية بإرسال جماعة من الفرس والاساورة[5] ليسكنوا الساحل ويعمروه، وفي ذلك يقول اليعقوبي[6] ((وبعلبك وأهلها قوم من الفرس و في أطرافه قوم من اليمن ... ولبنان وصيدا وبها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة ومدينة طرابلس أهلها قوم من الفرس كان معاوية بن ابي سفيان نقلهم أليها ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب وجبيل وصيدا أهل هذه الكور قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن ابي سفيان))، وإذا كان اليعقوبي قد اغفل تحديد تاريخ هذا الإجراء فإن البلاذري[7] أشار الى ان هذا كان سنة42هـ/ 662م ففيها نقل الخليفة معاوية جماعة من الفرس أهل بعلبك وحمص ومن المصرين (الكوفة والبصرة) الى إنطاكية، وروى عن أحد الانطاكيين قوله أن الخليفة معاوية نقل من فرس بعلبك وحمص وإنطاكية الى سواحل الأردن وصور وعكا وغيرها في تلك السنة (42هـ/662م) وقد برز العديد من المجاهدين من بين أولئك الفرس[8] ممن اخلصوا في دينهم وطاعة

---

(1) ينظر خارطة رقم (9).

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص135؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص119-120.

(3) عرقة: بلدة في شرقي طرابلس، وهي آخر عمل دمشق وهي في سفح جبل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص109.

(4) جبيل: بلد مشهور في شرقي بيروت. المصدر نفسه، ج3، ص34.

(5) الاساروة: من الأسوار او السوار وهو أسوار من الاساورة: لرامي الحاذق والأصل اساورة للفرس قوادها وكانوا رماة الحدق.الزمخشري، جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت 538هـ)، أساس البلاغة، دار صادر دار بيروت، (بيروت 1965م)، ص 313.

(6) البلدان، ص327.

(7) فتوح البلدان، ص149.

(8) يبدو ان الفرس كانوا في بلاد الشام قبل الإسلام بدليل أن أبا عبيده بن الجراح كان قد صالح أهل بعلبك بان أمنهم على أنفسهم واموالهم وكنائسهم ((رومها وفرسها وعربها على أنفسهم واموالهم...))، البلاذري، فتوح البلدان، ص132. وذكر البلاذري ايضا ان معاوية اغزى ابنه يزيد بلاد الروم ومعه ((فرس)) إنطاكية وبعلبك وغيرهم. انساب الأشراف، ق2 ح2 ص3.

الخلافة بعد ان اصبحوا مواطنين صالحين في الدولة العربية الإسلامية منهم ((أبو خراسان الفارسي)) و((سفيان الفارسي)) اللذان جاهدا في البحر في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان[1] (65-86هـ/684 -707م)، وفي خلافة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/ 723-742م) كان على مدينة صور الثغرية أمير فارسي الأصل هو خالد بن الحسفان الفارسي[2]، واسهم الفرس من أهل بعلبك في الرباط بالسواحل في فصل الشتاء[3].

وقد كانت سياسة حكيمة اتبعها الخليفة ليبعث الحياة – على الأقل – في الثغور البحرية ويعزز دفاعاتها بالإفادة من طاقات الأمة ورعاياها على مختلف مللهم ونحلهم، فضلا عن ان معظم أولئك الفرس إن لم يكونوا جميعاً من أهل الخبرة في صناعة السفن وما يلزمها وفي ركوب البحر، وبذلك لن يكون ثمة مانع من وجودهم باعتبارهم جماعة من الفنيين يعملون في الصناعة المستحدثة لإنشاء أسطول عربي يجابه أساطيل الروم، وبذا فلا حرج من استخدام الخليفة معاوية لهؤلاء الفرس وغيرهم من بقايا الروم كأجراء في إنشاء الأسطول شأنهم شأن القبط الذين كان منهم جماعة يسكنون مدن الساحل[4]، والذين اسهم بعضهم بدور مشهود في فتح جزيرة قبرص الى جانب المجاهدين المسلمين[5].

وفي سنة 49هـ/669م أو 50هـ/ 670 م نقل الخليفة معاوية الى السواحل قوماً من زط البصرة السيابجة[6]، وانزل بعضهم إنطاكية، وقد كان لهم فيها محلة تعرف بالزط وببوقا من عمل إنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط[7]، وحذا

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج21، ص367، ج66، ص159.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص337.

(3) المصدر نفسه، ج50، ص337.

(4) اشترك جمع من الأقباط في بيروت في تشييع جنازة الأمام الاوزاعي. ينظر: المصدر نفسه، ج ، ص.

(5) ينظر: الأصفهاني، الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله (ت430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1988م)، ج5، ص134؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص193.

(6) الزط: جيل اسود من السند اليهم تنسب الثياب الزطية.. وهم جيل من أهل الهند، وقيل الزط والسيابجة قوم من السند بالبصرة. ابن منظور، لسان العرب، ج7، (مادة زط).

(7) البلاذري، فتوح البلدان، ص162؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص90-91.

حذوه الخليفة الوليد بن عبد الملك (68-96هـ/705-714م) الذي اقطع الجند بإنطاكية ارض سلوقية[1]، عند الساحل فعمروها أجرى ذلك لهم وبنى حصن سلوقية زيادة في الاستحكامات الدفاعية الساحلية[2].

وواصل الخلفاء الأمويون إحكام الدفاعات الساحلية وترميم المتشعث منها وتزويدها بالعدد والعدة طوال سنوات المجابهة، لاسيما وان الحرب كانت سجالاً، إذ كلما هاجم الروم تطور المسلمين البحرية وخربوا ما بلغوا منها، مستفيدين من أي وهن ينتاب المسلمين لسبب او لاخر، عمد الخلفاء الأمويون من جانبهم حال استقرار أوضاع الدولة الداخلية الى استئناف العمل في حماية الساحل وهو أمر لا مناص منه، كما حصل ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان حيث استغل الروم انشغاله بحركة عبد الله ابن الزبير (64-73هـ/683-692م) فهاجموا عسقلان وقيسارية وصور وعكا ودمروا مساجدها واسوارها، فحال استتباب الأمور لصالح الخليفة عبد الملك أعاد ترميم قيسارية وبنى مسجدها وشحنها وبنى صوراً وعكا اللتين نالهما ما نال قيسارية وفعل الامر ذاته بعسقلان، إذ اقطع فيها القطائع مستهدفاً دفعهم الى الاستقرار بها وتعزيز حاميتها العسكرية لصد أي عادية رومية مستقبلاً[3]. وفي سنة 100هـ/718م أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) بإعادة بناء ثغر اللاذقية وتحصينها مجدداً – بعد ان أغارت الروم عليها وهدمت مدينتها وسبت أهلها – ولم يتم ذلك الامر حتى توفي الخليفة عمر سنة 101هـ/719م، فأتمه الخليفة يزيد بن عبد الملك فيما بعد (101-105هـ/719-723م)[4]، وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بنى حصن المثقب[5]، على ساحل البحر الشامي قرب المصيصة على يد حسان بن ماهويه

---

[1] سلوقية: حصن بساحل إنطاكية. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج2، ص732.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص149.

[3] المصدر نفسه، ص ص144-145.

[4] المصدر نفسه، ص135.

[5] المثقب: حصن على البحر قرب المصيصة لانه في جبال كلها مثقبة. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، 206.

الانطاكي وسمي المثقب لأنه ((كان في جبال كلها متقبة[1]))، ولا شك في أن بناءه كان لغايات دفاعية تحت ضغط ضرورات حربية أوجبتها أهمية المجابهة مع الروم.

وإزاء مستجدات الصراع الحربي عمد العرب المسلمون الى اعتماد أسلوب حربي جديد لتعزيز الدفاع الساحلي والتصدي للبيزنطيين براً باللجوء الى مبدأ الهجوم افضل وسيلة للدفاع ((الدفاع السيار)) بحراً، على اثر هجماتهم الخطرة على مصر والشام ما بين الأعوام (23-25هـ/643-645م)[2]، ذلك لان دفاعات المسلمين الساحلية هذه لم تعد تكفي وحدها تماماً لكبح جماح الروم وردعهم، كما إن وقوف العرب المسلمين موقف المتلقى للضربات الرومية من شأنه إضعافهم والحاق الضرر بهم ووضع حد لجهودهم الهادفة الى نقل رسالة الإسلام وتواصل الفتوحات، وهذا ما أظهرته الأحداث اللاحقة، لهذا سمح الخليفة عثمان بن عفان ﷺ للوالي معاوية بن ابي سفيان وجنده بركوب البحر يدفعه الى ذلك – دون شك – مبدأ (ما غُزِيَ قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا[3])) في إذن ملوءه الحذر والتحرز وقتذاك، بعد أن طمانه معاوية وهو عليه الأمر فالبحر[4] ((قد ذلّ بعد صعوبته[5])) عقب انحسار الشتاء[6]. وبفضل جهاد العرب المسلمين بحراً، تحول البحر المتوسط من (بحر الروم) الى بحيرة عربية إسلامية – كما سنرى في الصفحات التالية.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص167؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، ص206، ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص224.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ص236-239؛ البلاذري، فتوح البلدان، ص129.

(3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص ص53-54.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص153.

(5) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص117.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص154.

أذن الخليفة عثمان ﷺ بمهاجمة جزيرة قبرص[1] سنة28هـ/648م مشترطاً على واليه معاوية من باب الحيطة والحذر أن لا يجبر الناس على ركوب البحر وان لا يقرع بينهم[2]، وان يحمل ويعين من اختار الجهاد طائعاً وان يصطحب معه أهله تأكيدً على صدق نيته وتهويناً للأمر على المسلمين ولرفع معنوياتهم[3]، وقد أشار أحد الباحثين المحدثين[4] الى انه على مرّ التاريخ من أراد ان يصبح قوة يعتد بها في شرق البحر المتوسط عليه أن يسيطر على هذه الجزيرة، وفي هذا بيان لسبب إصرار معاوية على فتحها، لأنها كانت قاعدة انطلاق متقدمة للأساطيل البيزنطية وتهديدها السواحل العربية، وقد أدرك المسلمون هذه المسألة مبكراً، لاسيما وإنها ذات موقع تعبوي ممتاز فهي تمتد بطول 140ميلاً من الشرق الى الغرب وبعرض 60ميلاً، وتبعد عن ساحل آسيا الصغرى بمقدار 40 ميلاً، إذ تشاهد معالمه منها في وضح النهار، وتبعد عن الساحل المصري 240 ميلاً[5]، وقد اسهبت كتب الفتوح[6] بوصفها تفصيلياً.

اتخذ معاوية من ثغر عكا قاعدة للانطلاق صوب قبرص بعد أن أمر أهل السواحل بإصلاح المراكب وجمعها فيها بعد تلقيه أذن الخليفة عثمان ﷺ، فأصلحت وجمعت واعطى المقاتلة الأرزاق والاعطيات[7]، وخاض البحر بأسطول بالغ بعض المؤرخين في عدد سفنه بان جعلها (1700) سفينة[8]، وهو رقم مبالغ فيه لاسيما

---

(1) عن جغرافية قبرص بالتفصيل ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص113-124؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص196-197.

(2) كان المبدأ الذي عمل به الخليفة ابو بكر ﷺ لا يستفتح بمتكاره في أثناء المعارك. ينظر: الطبري، تاريخ، ج3، ص ص346-347.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص153-155؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص ص95-97.

(4) علي محمد فهمي شتا، ظهور القوة البحرية الإسلامية، مجلة الدارة، العدد1، الرياض مارس 1975م، ص110.

(5) مؤيد كيلاني، قبرص جزيرة السحر والجمال، 1960م، ص6-7.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص154؛ ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص123-124.

(7) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص118.

(8) المنبجي، اغابيوس بن قسطنطين المنبجي، (من القرن 4هـ)، المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وصنفه: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار المنصور، (لبنان 1956م)، ص55.

وانه أول أسطول عربي إسلامي يستخدمونه في غزواتهم البحرية، كما إن الوقت لم يكن ليسمح بإنشاء هذا العدد الهائل من السفن في المدة الوجيزة بين موافقة الخليفة عثمان ﷺ وانطلاق الأسطول، وعليه فان العدد الذي أعطاه ابن اعثم[1] – (220) سفينة – هو الأكثر قبولا، وقد آزر الأسطول المصري بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح الأسطول الشامي في هذه الغزوة فأطبقا الهجوم على قبرص[2].

أكدت بنود الصلح الذي عقده المسلمون مع أهل قبرص بعد الإغارة عليها ومحاصرة مدينتها قسطنطينا (Costantina) الغايات الدفاعية وراء تنفيذ العرب المسلمين لهذا العمل الحربي فقد نص الصلح على أن يدفع أهل قبرص جزية سنوية للمسلمين على نحو ما كانوا يؤدون للدولة البيزنطية وتعهدوا بالاّ يساعدوا البيزنطيين في غاراتهم على سواحل الشام، ولا يطلعوهم على أسرار المسلمين، كما قبلوا أن يزودوا المسلمين بأنباء أية حملة ينوي البيزنطيون شنها على دار الإسلام، وان على أهل قبرص التزام الحياد التام في الحرب بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين إذا لم يطلب منهم العرب المسلمون تقديم أية مساعدة لهم في حال اغاراتهم على البيزنطيين ((فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ولم ينصرهم أهل قبرص ولم ينصروا عليهم[3])).

عدت هذه الحملة أول تماس حربي فعلي في البحر مع البيزنطيين وعلى أثرها تشجع المسلمون اكثر لركوب البحر، فأخذت سفنهم تذود عن سواحل الشام ومصر بحزم، فحينما نقض أهل قبرص صلحهم المذكور سابقا بمساعدتهم الروم بمراكب أعطوهم اياها سنة32هـ/652م قصدها معاوية وجنده مجدداً بنحو (500) سفينة حربية سنة33هـ/653م، عازماً هذه المرة على إنهاء السيطرة الرومية

---

[1] الفتوح، ج2، ص118.

[2] الطبري، تاريخ، ج4، ص262.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص154؛ ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص119، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج50، ص337.

بقبرص بصورة تامة، وجعلها ثغراً بحرياً عربياً متقدماً، فحررها واسكنها (12) ألف مقاتل أقاموا في ليبيتوس (Lepithos) على الساحل الشمالي للجزيرة[1] ((كلهم أهل ديوان فبنوا المساجد[2]))، تأكيداً منهم على عزمهم على الاستقرار فيها بشكل نهائي قاطعين بذلك أي رجاء للروم بالعودة أليها، او أي أمل للقبارصة بمساعدة أسيادهم السابقين (الروم)، فشيد معاوية للمرابطين مدينة جديدة هناك وأسس لهم مسجداً جامعاً، ولم تزل قبرص محل اهتمام العرب بوصفها ثغراً بحرياً متقدماً، فقد عزز معاوية بعد توليه الخلافة حاميتها – سالفة الذكر – بأن نقل إليها جماعة من أهل بعلبك ومنحهم الأعطيات تشجيعاً لهم على الرباط هناك[3]، ووجه موسى بن نصير بعد ان ولاه البحر الى قبرص فبنى بها حصوناً وموانئ ((منها يانس وال عوصه[4])) واستمر بإرسال الصوائف البحرية إليها تأكيدا منه على سيادة المسلمين المطلقة على هذا الثغر البحري المهم[5].

اكدت الأحداث التاريخية اللاحقة رجاحة فكر القائد والخليفة معاوية بن ابي سفيان العسكري، فبعد انسحاب الحامية الإسلامية المرابطة في قبرص أيام الخليفة يزيد بن معاوية (60-64هـ/679-683م)، ربما بسبب الأحداث التي عصفت بخلافته، اظهر أهل قبرص عدة مؤشرات على تذبذب ولائهم السياسي للعرب المسلمين، مما دفع ذلك الأمويين لقصدهم اكثر من مرة وزيادة الجزية المفروضة عليهم سابقاً تارة أو إعادتها الى ما كانت عليه تارة أخرى[6]، بل إن الخلفية هشام ابن عبد الملك أرسل أحد قادته سنة 125هـ/742م لغزوها ومعاقبة أهلها على

---

[1] ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص90.

[2] البلاذري، فتوح البلدان، ص154.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص154؛ إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص85.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج61، ص ص212-213.

[5] المصدر نفسه، ج4، ص329.

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص ص155-157؛ الطبري، تاريخ، ج7، ص40، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص585، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص274. أحداث السنوات95، 107، 120هـ.

مساعدتهم للروم في هجماتهم المتكررة على الثغور البحرية الإسلامية وأمره ان يخيرهم بين المسير الى الشام إن شاءوا، وان شاءوا الى الروم فاختار قسم منهم جوار المسلمين فنقلوا الى الشام واختار آخرون جوار الروم فرحلوا اليهم[1]، وذكر المنبجي[2] ان الأمر تكرر في خلافة الوليد بن يزيد (125-126هـ/742-743م) فأمر الخليفة الوليد ان يجلوا مرة أخرى ويسكنوا في الساحل الشامي ما بين صور وصيدا، ثم رد الخليفة يزيد بن الوليد هؤلاء إلى قبرص فيما بعد.

وفي هذه الأحداث مؤشرات على الأهمية الكبيرة لهذه الجزيرة التي سعى الروم بكل الوسائل ولاكثر من مرة لمعاودة السيطرة عليها بغية ضرب القواعد الساحلية والحد من نشاط المسلمين البحري، لاسيما بعد ان غدت بحريتهم تدك معاقل الروم في القسطنطينية وعلى السواحل وفي الجزر القريبة منها.

ولا بد من الإشارة – إلى ما نوهنا به سابقاً – ان الانتصار الإسلامي في قبرص قد تعزز اكثر بفتح المسلمين لجزيرة ارواد الشامية (Aratus) الواقعة بين جبلة وطرابلس أمام مدينة انطرطوس بعد حملتين بحريتين أعقبتا فتح قبرص في شتاء سنة 28هـ/649م وربيع سنة 29هـ/650م، وهي آخر أقوى حصن للروم البيزنطيين على السواحل الشامية[3].

وبعد قبرص وأرواد الشامية توجه الأسطول العربي بأمر القائد معاوية وبأذن الخليفة عثمان ﷺ لفتح جزيرة رودس، تلك الجزيرة التي تعد أهم جزر بحر ايجه أعلاها مكانة لدى الروم من حيث نشاطها البحري ونشاط صناعة السفن فيها، فهي أول حلقة في سلسلة ارخبيل بحر ايجه[4]، وتعد حلقة وصل بين القسطنطينية

---

(1) الطبري، تاريخ، ج7، ص227؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص ص67-68.

(2) المنتخب، ص95. ينظر ايضا: البلاذري، فتوح البلدان، ص155؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص ص67-68.

(3) المزيد من التفاصيل ينظر: إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص88-89؛ ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص90.

(4) ينظر: خريطة رقم (10).

والثغور البيزنطية في السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى، تمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي على بعد (12) ميلا" تقريباً من ساحل آسيا الصغرى[1]، وصفها البلاذري[2] بأنها غيضة في البحر وهي من اخصب الجزر وفيها مساحات مزروعة بالزيتون والكرم وفيها مياه عذبة، تقع الى الشمال الغربي من جزيرة قبرص والى الشمال الشرقي من جزيرة كريت (اقريطش)[3]، ونظراً لموقعها هذا ولأنها خطر على أطراف الشام الشمالية المتاخمة للحدود البيزنطية بآسيا الصغرى، أرسل إليها معاوية حملة بقيادة جنادة بن أمية الازدي انطلقت من ثغر صيدا البحري، وقد دارت معركة بحرية بين العرب المسلمين والروم بالقرب من ساحل رودس ((حتى كثر القتلى بينهم ثم رزق المسلمون الظفر عليهم فهزموهم وفضوا أمرهم ومراكبهم حتى ساروا الى الجزيرة، فدخلوها عنوة وقتلوا فيها من قتلوا[4]))، ثم انسحب القوة الإسلامية على ما يبدو تحت ضغط الظروف الطبيعية والصعوبات التي اعترضتهم بسبب المقاومة أثناء عملية الفتح، لكن هذا الانسحاب تم بعد إلحاق الهزيمة بالحامية البيزنطية في رودس[5].

كان للانتصارات الإسلامية البحرية – آنفة الذكر – الأثر الأكبر في تشجيعهم على توجيه المزيد من الضربات المباشرة الى المعاقل البحرية البيزنطية في ساحل آسيا الصغرى ليكيا (Lycia) المطل على البحر المتوسط وبحر ايجة في إطار تنفيذ خطة الدفاع البحري السيّار، وتمهيداً لضرب مكمن الخطر البيزنطي (القسطنطينية) بتعاون القوة البحرية مع القوات البرية، وضرب المزيد من الحاميات

---

(1) إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص90.

(2) فتوح البلدان، ص233.

(3) ينظر: خريطة رقم (11).

(4) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص125.

(5) إبراهيم احمد العدوي، الأمويــون والبيزنطيون، ص90-91؛ سالم عبد علي العبيدي، القوة البحرية، ص ص89-90.

والقواعد الرومية في الجزر الايجية[1] القريبة من ذلك الساحل، لأنها محطات حيوية ومهمة من النواحي التعبوية في الطريق الى القسطنطينية اتخذتها الأساطيل التابعة لتلك المقاطعات قواعد لها كخط دفاع أول عن القسطنطينية[2]، فضلاً عن ذلك قد يكون الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن الحربية من مناطق ليكيا (Lycia) الغنية بأخشابها سبباً آخر يضاف الى ما تقدم ذكره من الأسباب التعبوية و((السوقية)) التي دفعت المسلمين الى خوض معركة ذات الصواري 34هـ/655م التي أسفرت عن هزيمة الأسطول البيزنطي العريق[3].

وضع الوالي معاوية بن ابي سفيان خطته الحربية على أساس تعاون الأسطول البحري مع القوات البرية – لاول مرة – لأجل تحقيق الأهداف آنفة الذكر، إذ استخدم الجيش البري بهدف الخديعة وجذب الروم بعيداً عن العاصمة، وفي الوقت نفسه يقطع خط الهجوم الرومي المعاكس في حال تفكيرهم بالإغارة على القواعد الإسلامية الساحلية في مصر والشام وقت انشغال الجيش العربي الإسلامي بحملته، فضلاً عن عزل الجيش البيزنطي عن العاصمة بعملية إنزال جيوش إسلامية خلف القوات القادمة لملاقاة الجيش الإسلامي البري في منطقة ليكيا Lycia [4] لهذا توجه جيش إسلامي بري نحو ملطية فوطأ ارض الروم وافتتح في طريق مدناً صغيرة ووصل الى حصن المردة بباب ملطية وحقق النصر على أهلها

---

[1] عن الجزر الايجية ينظر: Baskin Oran , Turk – Yunan Liskilerind Baiti Trakay Sorunu the .Westren Thrace Question on Greek – Turkish Relation , 1986 , PP 6-9

[2] إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص93–95.

[3] تناولت الكثير من الدراسات التاريخية هذه الواقعة بالبحث، إلا إن اغلبها ركز على الجانب البحري بالاعتماد على روايات المصادر المتقدمة وأهملت الجانب البري فيها، والذي يعد بداية التعاون بين القوات البرية والبحرية الإسلامية وقد اعتمدت دراسة عبد المنعم مختار الموسومة (أضواء على معركة ذات الصواري) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، كانون الثاني 1966م، ج1، ص ص325–336. من هذه الدراسات: ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص91، علي حسين الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، (بيروت د. ت)، ص11، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارهـا الباقية، دار الكتـاب العربي، د. ت، ص83–84.

[4] المنبجي، المنخب، ص ص59–61؛ عبد المنعم مختار، أضواء، ص ص332–333.

بعد قتالهم[1]، وفي الوقت ذاته تحرك الأسطول الإسلامي بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي سرح من الشواطئ المصرية الذي قام بإنزال نصف قواته على ساحل ليكيا بقيادة بسر بن ابي ارطأة، لقطع الطريق على القوات البيزنطية في حال انسحابها باتجاه القسطنطينية للدفاع عنها[2]، فدخلت القوة البحرية العربية ميناء فونيقية (Pheonix)، ولا شك في ان الإمبراطور البيزنطي كونستانز الثاني (Contans II) (641- 668م) أدرك مقدار الخطر الذي باتت تشكله القوات العربية الإسلامية، ليس فقط على قواعد الروم البحرية في سواحل آسيا الصغرى والجزر الايجية، بل على القسطنطينية نفسها، بعد أن حفزت العرب المسلمين على ما يبدو نتائج حملتهم هذه على التفكير في مهاجمتها، لذا رأى الإمبراطور أن يتصدى لهم ويفاجئهم بأسطول يفوق أسطولهم بالعدد والعدة بعد أن بلغته أنباء حملتهم، فخرج ((في جمع لم يجتمع للروم مثله منذ كان الإسلام)) على حد وصف الطبري[3]، تألف من خمسمائة سفينة وفي رواية ثانية ألف سفينة[4]، مزودة بالآت الحرب مما راع منظرها المقاتلة المسلمين الذين لم يكن لقائدهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح من بدّ الا ان استنفرهم لمجابهة سفن الروم، فاستنفروا مؤمنين بقوله عز وجل ((كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين[5]))، لذا قاتلوا الروم بكل أسلحتهم وتراموا معهم بالحجر وربطوا سفنهم بسفن الأعداء واصطفوا فوق السفن في تعبئة تشبه تعبئتهم في الحروب البرية، مما كان لها ابعد الأثر في حسم المعركة

---

(1) ينظر: المنبجي، المنتخب، ص59-61، كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح في حقائق المعرفة، مط الآباء اليسوعيين، (بيروت1907م)، ص ص347-348. جعل الطبري هذه الغزوة سنة 33هـ/ 654م ونقلها عنه ابن الأثير: ينظر: تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص317؛ الكامل في التاريخ، ج3، ص137.

(2) ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص255.

(3) تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص ص69-70.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص56؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص169.

(5) سورة البقرة آية 249. ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص255-256.

لصالح المسلمين والحاق الهزيمة بأسطول الروم[1]، فما لبث إمبراطورهم ان فرّ باتجاه جزيرة صقلية بعد ان دفعت أمواج البحر والرياح قطع أسطوله المتبقية الى قبالة شواطئ الإسكندرية لتشهد افدح هزيمة لها على يد مقاتلة الأسطول العربي ((ورجعت مراكب المسلمين الى الساحل فأرسيت بعكا وكتب عبد الله بن سعد ومعاوية الى عثمان بن عفان ﷺ يخبرانه بهزيمة الكفار ...[2])).

عُدت هذه الوقعة البحرية الحاسمة نقطة تحول كبرى في مسار المجابهة الحربية البحرية مع الروم فهي بحق يرموك ثانية عليهم كما وصفها المؤرخ الإغريقي ثيوفانتس (ت818)[3]، وحد فاصل في تاريخ البحر المتوسط جعلت منه بحرا إسلامي[4]، وغدا المسلمون قوة لا يستهان بها حتى ان الموقف الجديد أصبح يحتم عليهم الفصل في سيادة ذلك البحر وانتزاعه نهائياً من قبضتهم، فما ان استتبت أحوال الدولة الأموية بعد سنة 41هـ/661م عام الجماعة، حتى أخذ الخليفة معاوية يرنو ببصره تجاه القسطنطينية، لأنها مصدر الخطر البيزنطي على المسلمين، وهي حقيقة أدركها منذ كان والياً وقائداً أيام الخلفاء الراشدين، لذا واصل الخليفة معاوية تعزيز الدفاعات الساحلية بمختلف الوسائل والأساليب، وأرسل الصوائف[5] البحرية الى المعاقل البيزنطية في جزر البحر المتوسط الشرقية والغربية على حد سواء، لان الإمبراطور كونستانز الثاني بعد هزيمته في ذات الصواري نقل مقره الى مدينة سرقوسه في جزيرة صقلية وفي نفسه عدة مآرب[6] يبغي تحقيقها، منها

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص ص255-256؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص ص 69-70، ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص128-129.

(2) ابن اعثم، الفتوح، ج2، ص130. كان ذلك ما بين سنة 34هـ/655م وبداية سنة 35هـ/655م حتى أن الأوائل لكتابتهم التاريخ على المنهج الحولي جعلوا من هذه الحادثة حادثتين، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يقع في الخطأ ذاته. ينظر: عبد المنعم مختار، أضواء، ص ص335-336.

(3) علي حسين الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص11.

(4) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج2، ص338.

(5) ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق ان الخليفة اغزى عقبة بن عامر الجهني وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد قبرص سنة 47هـ/667م، ج4، ص329.

(6) ابراهيم احمد العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص98-100؛ ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص92-95.

تحويل نشاطه الحربي ضد العرب المسلمين الى غرب البحر المتوسط أملاً في التشبث بما بقي تحت نفوذه من أراضي في شمال أفريقية وضرب الجيوش العربية الإسلامية التي كانت تتقدم ظافرةً لدك المعاقل البيزنطية هناك[1].

إذ وجه الخليفة معاوية القائد معاوية بن حديج على رأس جيش للتقدم في إفريقية سنة 45هـ/665م، فتصدت لجنده حملة بيزنطية بحراً من صقلية[2]، لهذا قرر معاوية بن حديج توجيه ضربة قوية الى قاعدة الروم البحرية في صقلية[3] لما تشكله هذه القاعدة الحربية المهمة من خطر على المقاتلة المسلمين إذا ما تواصلوا بفتوحهم في شمال أفريقية وهو أمر أكدته الأحداث التالية من سفر المجابهة، لذا بعث حملة إليها سنة 47هـ/667م مؤلفة من مائتي مركب اشتبكت مع القوات البيزنطية هناك ((فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً ثم انصرفوا الى أفريقية[4])) مؤكدين للروم بهذا الفعل حالة التوثب والاستنفار لديهم لردعهم في أي وقت ومكان، على الرغم من حالات الوهن والفتور التي قد تنتابهم لسبب أو لآخر، وللأسباب ذاتها وجه الخليفة معاوية حملة بحرية ثانية بقيادة رويفع بن ثابت الأنصاري الذي كان يلي طرابلس من قبل سنة46هـ/666م الى جزيرة جربة الواقعة قبالة ساحل قابس وتمت هذه الغزوة سنة47هـ/670م[5]، وذكر الطبري ان فضالة بن عبيد الأنصاري (ت53هـ) غزاها مرة أخرى سنة 49هـ/669م وشتا بها ((وفتحت على يديه وأصاب منها سبياً كثيراً[6]))، بعد قتال ومقاومة من قبل الروم فيها واحكم المسلمون قبضتهم على جزيرة قوصرة (بانتلاريا حالياً) الواقعة على بعد ستين ميلاً

---

(1) ينظر: خريطة رقم (4، 5).

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص34-35؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص16.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص233.

(4) [3]ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص16-17؛ فازيليف، العرب والروم، ص ص62-63.

(5) المالكي، رياض النفوس، ج1، ص53؛ ابن ابي دينار، ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني المعروف بابن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية ومؤنس، تحقيق: محمد شسام، المكتبة العتيقة، تونس، د. ت، ص28.

(6) تاريخ، ج5، ص232.

الى الجنوب من صقلية واربعين ميلاً من أفريقية والتي كانت بمثابة القنطرة التي قفزوا منها الى صقلية على حد تعبير فازيليف[1] وفتحوها مجملة موفقة قادها فضالة بن عبيد الأنصاري[2].

لم ينقطع نشاط المسلمين الحربي البحري في شرق البحر المتوسط الى جانب عملياتهم الحربية الموفقة في شمال أفريقيا وغرب البحر المتوسط، فقد أنفذوا صائفة بحرية نحو جزيرة رودس التي تقلبت في ولائها بين العرب والروم، قادها جنادة بن أمية الازدي فاعاد فتحها ثانية سنة 52هـ/672م بأمر من الخليفة معاوية وفرض السيادة الإسلامية المطلقة عليها عن طريق إسكان المقاتلة فيها وأقامة القلاع والحصون لهم هناك، ومعاقبة المقاتلة إليها سنوياً والذين زرعوا واتخذوا بها أموالا ومواشي يرعونها، وأقاموا على الشاطئ الحرس والنواطير للإنذار والتحذير من الروم، فكان أولئك المرابطون أشد شيء على الروم يعترضون سفنهم في البحر، حتى أخافوهم و أمدهم الخليفة معاوية بالأرزاق والعطايا، فقاموا بها سبع سنين ومعهم مجاهد بن جبر يقرئ الناس القرآن[3]، وما زالت توجيهات الخليفة معاوية ومعوناته تترى اليهم في هذا الثغر المهم حتى أقفلهم الخليفة يزيد بن معاوية بعد وفاة والده[4].

ورداً على إنجازات المسلمين آنفة الذكر هاجمت أساطيل الروم البحرية سنة53هـ/672م شواطئ البرلس[5] في مصر أثناء ولاية مسلمة بن مخلد

---

[1] العرب والروم، ص63.

[2] الطبري، تاريخ، ج5، ص232؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1982م، ص111 –112، سالم عبد علي العبيدي، القوة البحرية، ص99.

[3] ينظر، البلاذري، فتوح البلدان، ص233؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص88، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص144، المنبجي، المنتخب، ص71، كتاب العنوان المكال بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح في حقائق المعرفة، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت 1907م)، ص347.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج11، ص ص32–33.

[5] البرلس: بليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص391.

الأنصاري لضرب قواعد الأسطول المصري الذي كان مصدر خطر دائم على القواعد البيزنطية منذ وقعة ذات الصواري سنة34هـ/655م الى جانب أسطول الشام، فتصدى لهم المسلمون في البر والبحر حتى تمكنوا من ردعهم بعد معركة حامية سقط فيها عدد كبير من الشهداء في صفوف المسلمين[1]، إزاء ذلك لم يكن أمام الخلافة الأموية من سبيل الاّ تعزيز الروضة سنة54هـ/673م[2]، مجاراةً للروم في قوتهم ولإحداث نوع من توازن القوى معهم واستجابة للضرورات الحربية الدفاعية واستعداداً لشن الهجوم البحري – البري المرتقب على القسطنطينية الذي تم في تلك السنة، والذي مهد له المسلمون بفتحهم جزيرة ارواد (كزيكوس) في مياه القسطنطينية في تلك السنة 54هـ/673م على يد جنادة بن أمية الازدي واسكنها الخليفة معاوية المسلمين، واتخذها قاعدة لتوجيه حملاته البحرية على القسطنطينية أثناء حصار السنوات السبعة54-60هـ/673-679م فكانت سفن الأسطول الإسلامي تنقل الجنود من هذه الجزيرة الى البر لمحاصرة العاصمة[3].

عقب انسحاب المسلمين من حصارهم الأول للقسطنطينية (54-60هـ/ 673-679) وما لبد الأجواء السياسية للدولة العربية الإسلامية من اضطرابات بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية (64هـ/683م) وما تعرضت له ثغور المسلمين البحرية الشامية – نتيجة لذلك – من هجمات بيزنطية متكررة أسفر عنها تدمير أسوارها ومساجدها كعسقلان وقيسارية وطرابلس، عاد الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م) بعد استقرار لصالحه بعد سنة 73هـ/ 692م الى استئناف الجهاد ضد البيزنطيين في البر والبحر، لاسيما في جبهة شمال أفريقيا

---

(1) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت350 هـ)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، مصححاً بقلم: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت 1908م)، ص38؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج62، ص ص443-444.

(2) الكندي، كتاب الولاة، ص38؛ الاصطخري، الأقاليم، 26، علي حسني الخربوطلي، الإسلام في حوض البحر المتوسط، ص19.

(3) إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص165؛ احمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام، ص ص23-24.

وغرب البحر المتوسط في أجراء وقائي استهدف أحكام السيطرة العربية الإسلامية على هذا البحر شرقاً وغرباً ورداً على الاعتداءات الرومية المتمثلة باحتلال مدينة القيروان العربية في المغرب، واستشهاد القائد عقبة بن نافع الفهري[1] على يد الروم البيزنطيين وحلفائهم البربر سنة 65هـ/684م، وضربهم مؤخرة الجيش العربي الإسلامي في ضواحي برقة وقتلهم القائد زهير بن قيس الفزاري هو الآخر سنة 31هـ/690م[2]، هذه الاعتداءات التي كانت تجسيداً عملياً لتحول النشاط الحربي البيزنطي الى تلك الأقاليم بعد ان يئسوا من تدمير القواعد الإسلامية الثغرية في الشام ومصر ومن إخراج العرب المسلمين نهائياً من تلك الأصقاع ومن فرض سيادتهم المطلقة على شرق البحر المتوسط.

ازاء ذلك جهز الخليفة عبد الملك بن مروان جيشاً قوامه اربعون ألف مقاتل غالبيتهم من أهل الشام وعهد بقيادته الى حسان بن النعمان الغساني[3] (ت80هـ) أطلق يديه في أموال مصر تحفيزاً له ولجنده على النفير وسداً لنفقاتهم، وبعد أن تم له النصر على البيزنطيين وحلفائهم البربر في الميدان البري ما بين السنوات 74-82هـ/694-701م[4]، ولما كان الخطر البيزنطي يأتي من جهة البحر ويسعى البيزنطيون الى التشبث بالحصون الساحلية – كقرطاجنة[5] مثلاً – بكل الوسائل قرر القائد حسان بناء مدينة جديدة تكون ثغراً ساحلياً دفاعياً ودار صناعة لبناء

---

(1) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ص267-268، 272-273، الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية، ص ص44-47، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص ص106-110.

(2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ص267-268، 272-273، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص ص44-47، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص ص106-110.

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص ص53-55؛ ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص100. حسان بن النعمان الغساني امير المغرب افتتح فيها بلاداً.. وحكمها نيفاً وعشرين سنة قيل انه توفي سنة ثمانين الذهبي، سير اعلام، ج5، ص269. ينظر ايضاً ص159.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر ولخبارها، ص ص269-272؛ الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص ص55-61، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص ص369-372.

(5) ابراهيم احمد العدوي، الامويون والبيزنطيون، ص ص226-228.

المزيد من السفن الحربية التي من شأنها إنهاء السيادة البيزنطية على الركن الغربي من البحر المتوسط، ولتكمل مع دار الصناعة بالشام ومصر السور الدفاعي البحري العربي عن دار الإسلام، فأختار لهذا موضعاً قديماً يقال له ترشيش[1]، أرسل وفداً الى الخليفة عبد الملك اطلعه على ما يعانيه المسلمون هناك من غارات الروم البحرية، وكتب اليه معهم رسالة وضح له فيها أهمية وجدوى إنشاء دار صناعة بتونس لشهرة الأقباط في صناعة السفن وقيادتها[2]، فكتب الخليفة عبد الملك الى أخيه عبد العزيز بن مروان (ت85هـ) عامله على مصر ((أن يوجه الى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا ترشيش وهي تونس، وكتب الى ابن النعمان يأمر أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين الى آخر الدهر وان يجعل على البربر جرّ الخشب لإنشاء المراكب ليكون ذلك جارياً عليهم الى آخر الدهر، وان يصنع بها المراكب، ويجاهد الروم في البر والبحر وأن يغار منه على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمسلمين وحصيناً لشأنهم[3])).

وفي هذا الإجراء إبراز لقوة المسلمين المتجددة عقب كل حالة وهن وفتور ينتابها في إطار سياسة يمكن وصفها بتوازن القوة والرعب مع العدو – إن صح التعبير – كما إن تمصير هذا الثغر ومن قبله القيروان سيعزز الأمن والاستقرار هناك، من خلال إسكان العرب المسلمين وبقية رعايا الدولة العربية الإسلامية على مختلف أصولهم ونحلهم – سيراً على النهج الذي اختطه القائد والخليفة معاوية بن ابي سفيان من قبل في ثغور الشام البحرية – وجعلها مواطن جهاد يقصدها المجاهدون، ومن شأنه أيضا أضعاف مكانة مدينة قرطاجنة البيزنطية التي كانت

---

(1) ترشيش: قرية صغيرة بجوار بحيرة الى الجنوب من رادس على بعد نحو اثني عشر ميلاً شرقي قرطاجنة. ينظر: البكري، المغرب، ص ص37-38.

(2) عن معرفة المصريين بصناعة السفن عبر التاريخ ينظر: د. علي مظهر، السفن والملاحة بمصر، مجلة المقتطف، يناير 1934م، ج1، مج34، ص62-64.

(3) البكري، المغرب، ص ص37-38؛ ابن ابي دينار، المؤنس، ص15.

تمثل مركز السيادة البيزنطية على شمال أفريقيا والتي طالما تكررت محاولات الروم لاعادة السيطرة عليها، فوفد القبط عليه، فجعل معظمهم في رادس[1]، ووزع البقية في مراسي أفريقية ثم أجرى البحر من رادس الى موضع دار صناعة السفن وأمر القبط بعمارتها في الميناء المتصل بالبحيرة، أصبحت البحيرة متصلة بالبحر، وتحولت تونس على هذا النحو الى قاعدة بحرية مهمة ومنطلقاً لمهاجمة الجزر البيزنطية وفي مقدمتها صقلية وسردانية وميناءً تأوي إليها السفن الحربية الإسلامية[2].

وبعد أن اصبح للمسلمين أسطول ثالث مقره تونس انصب اهتمامهم الى توجيه الضربات المركزة الى قواعد الروم غرب البحر المتوسط، ففي سنة85هـ/704م أرسل موسى بن نصير الذي ولي المغرب بعد حسان بن النعمان حملة بحرية بقيادة ابنه عبد الله ابن موسى الى جزيرة صقلية فاستطاع فتح إحدى مدنها ثم قفل عائداً من إذ انطلق[3]، وفي السنة ذاتها اغزى الخليفة عبد الملك، عبد الملك بن قطن في البحر، ففتح ما كان هناك من الجزر ومنها قو صرة (بانتلاريا) الواقعة بين صقلية وساحل شمال أفريقية[4]، وانفذ موسى بن نصير شاتية بحرية الى صقلية سنة 86هـ/705م، فاصاب المقاتلة المسلمون مدينة سرقوسة وقفلوا عائدين[5]، ولا بد انه قصد من هذه الشاتية مفاجأة الحاميات الرومية هناك، لان

---

(1) رادس: قال عبيد البكري: البحر على ساحله تونس باقريقية يقال له رادس وبذلك سمي ميناؤها ميناء رادس. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص12.

(2) البكري، المغرب، ص ص37-38؛ احمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط. البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية د. ت)، ص ص32-33.

(3) ابن أبى دينار، المؤنس، ص16.

(4) البكري، المغرب، ص45.

(5) ابن قتيبة، ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، (منسوب)، الإمامة والسياسة علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1997م)، ص235، ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص16.

المعتاد أن تتوقف الحملات البحرية العربية شتاءً او فيما يسمى بانغلاق البحر، وتستأنف في شهر نيسان لتستمر حتى شهر تشرين الثاني حيث يكون البحر اكثر سكوناً والأنواء أصلح للإبحار والجهاد.

وفي سنة 87هـ/705م أنفذ موسى بن نصير حملة بحرية بقيادة ابنه عبد الله الى جزيرة سردانية فافتتح إحدى مدنها وتدعى أوله او قوله[1]، وقاد عبد الله سنة 89هـ/707م حملة بحرية اخرى استهدفت فتح جزيرتي ميورقة ومنورقة الواقعتين ما بين جزيرة صقلية والأندلس[2]، ولأهمية هذا الركن من جبهة المجابهة الحربية البحرية مع الروم البيزنطيين ودورها في رجحان كفة الحرب لصالح العرب المسلمين، ولما لأسطول تونس من أهمية تعبوية على مجريات الصراع، اصبح لبحر أفريقية خطة خاصة تولاها محمد بن اوس الأنصاري منذ سنة 93هـ/ 711م[3] لتنظيم أعمال الجهاد في البحر الى جانب واجبات اتخاذ الحيطة والحذر في السواحل لحمايتها من أساطيل الروم.

ولم تزل غارات المسلمين البحرية تتوالى على المعاقل الرومية في جزر البحر المتوسط الغربية حتى بعد فتح الأندلس سنة 92هـ/ 710م وبعد عودة الأساطيل الإسلامية من حصار القسطنطينية الثاني98هـ/716م، وغدت الغارات البحرية نشاطاً حربياً مستمراً ما بين السنوات 102-122هـ/ 720-739م، ففي السنة الأخيرة اغزى عبيد الله بن الحبحاب والي أفريقية حبيب بن ابي عبده بن عقبة بن نافع الى صقلية فاصطحب حبيب معه ابنه عبد الرحمن فلما نزل بأرضها اشتبك عبد الرحمن هذا في جماعة من المسلمين مع الروم وهزمهم ونزل على مدينة سرقوسة فقاتله الروم وانتصر عليهم فصالحوه على الجزية. وعاد عبد

---

[1] خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص235؛ الذهبي، الأمام محمد بن أحمد (ت748هـ)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت1960م)، ج1، ص216

[2] خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص297؛ الذهبي، العبر، ج1، ص216.

[3] المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، (بيروت 1997م)، ج3، ص52.

الرحمن الى القاعدة التي استقر بها جيش أبيه حبيب، وكان الأخير قد عزم على المقام بصقلية حتى يستكمل افتتاحها ويقطع شأفة الروم بها فأتاه كتاب ابن الحبحاب يستدعيه الى أفريقية لما بلغه وثوب البربر في طنجة بعامله عمر بن عبد المرادي وإشعالهم نار الفتنة في المغرب[1].

وفي الوقت الذي كانت فيه هجمات المسلمين البحرية على اشدها في غرب البحر المتوسط قام البيزنطيون بشن هجمات مقابلة على السواحل الإسلامية في مصر والشام بين الحين والآخر في محاولة ربما قصدوا من ورائها تخفيف الضغط الإسلامي المتواصل على قواعدهم في غرب البحر المتوسط واشغال العرب المسلمين في عقر دارهم، وللحد من الزخم الحربي الإسلامي المستمر والذي اصبح يهدد القسطنطينية، ففي سنة 90هـ/708م أغار الروم على مدينة دمياط[2] الساحلية المصرية واسروا أمير بحرها خالد بن كيسان[3]، رداً على مهاجمة المسلمين لصقلية وسردانية – على ما يبدو – ((فذهبوا به الى ملكهم فأهداه ملك الروم الى الوليد بن عبد الملك[4]))، ولا يمكن تفسير مثل هذا الأمر على انه تحسن في العلاقات العربية – البيزنطية، بقدر ما هو مناورة أراد بها الروم إبلاغ المسلمين بنشاط قوتهم البحرية شرقي البحر المتوسط – ولا غرابة في ذلك فقد كانت الحرب سجالاً بين الطرفين – وان ذراعهم البحرية تطال أية قاعدة إسلامية على الساحل، وهذا ما تكرر سنة118هـ/ 736م عندما أغاروا على ثغر الإسكندرية[5]، واغاروا

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص52.

(2) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج54، ص314.

(3) خالد بن كيسان: ولي غزو البحر في أيام بني أمية. قال الواقدي سنة تسعين فيها أسرت الروم خالد بن كيسان صاحب البحر فذهبت به الى القسطنطينية. ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص18.

(4) الطبري، تاريخ، ج1، ص412؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج16، ص18، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص221.

(5) المقريزي، الخطط، مج1، ص311.

ايضاً على ثغر دمياط في سنة 121هـ/ 738م[1]، وعندما هجمت سفنهم الحربية في خلافة هشام بن عبد الملك على سفن التجار الراسية في ثغر بيروت تصدى لهم المقاتلة المسلمون بقيادة الأسود بن بلال المحاربي الذي قاد المراكب وردهم واستنقذ ما اخذوا[2]، واستهدفوا بغارة بحرية اخرى ميناء عرض البحر[3]، ليؤكد لهم بهذا الفعل الجهادي قدرة المسلمين على الذود عن سواحلهم وكبح جماح أعدائهم الذين ما اقدموا على مثل هذه الأفعال الا ليردوا بنفس الأسلوب على هجمات المسلمين الموجهة نحو القواعد البيزنطية في قبرص ورودس وصقلية وسردانية وبقية جزر غرب البحر المتوسط التي أغارت عليها لأكثر من مرة ما بين السنوات 102 – 122هـ/720 –739م وقد أستمر الجهد الحربي العربي الإسلامي في غرب البحر المتوسط الى ما بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/749م[4].

---

[1] المقريزي، الخطط، مج1، ص377.

[2] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص ص66–67.

[3] المصدر نفسه، ج65، ص317.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص ص141، 145، 151، 185، 191، 156؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص ص49، 51، 65.

الفصل السادس

الحملات الحربية المباشرة صوب القسطنطينية

الحملات الحربية المباشرة صوب القسطنطينية:

يعد توجيه الحملات الحربية الكبيرة المباشرة الى العاصمة البيزنطية واحداً من أهم الأساليب الحربية التي أتبعها المسلمون في حربهم الضروس مع البيزنطيين في العصر الأموي، ذلك أن بقاء حالة الحرب سجالاً بين الطرفين، وتواصل التهديدات الرومية للأراضي العربية التي حررت من احتلالهم، كانت مرهونة ببقاء القسطنطينية بؤرة ومصدراً للخطر البيزنطي الدائم على دار الإسلام، إذ ليس بالأمر الهين على الإمبراطورية ان تسلم للمسلمين تلك الأقاليم الغنية وترضخ للأمر الواقع، وهي حقيقة أدركها العرب المسلمون مبكراً وعلى رأسهم الخليفة معاوية بن أبى سفيان، الذي سار باتجاه ضرب الروم في عقر دارهم بخطى راسخة ومتتالية أفصحت عن فكراً عسكري ثاقب قد تحلا به، كان أولها تأسيس قوى بحرية إسلامية تأخذ عنصر المبادأة من يد الروم بفتح الجزر والمعاقل ذات التأثير المباشر والفعال في مجريات الحرب بين الطرفين، والنفاذ بعد ذلك الى المضايق والمسالك المهمة المفضية إلى قلب دولة الروم، وتأسيس قواعد متقدمة (براً وبحراً) باتجاه القسطنطينية وتدريب المقاتلة المسلمين التدريب اللازم لكل المهام الصعبة بإرسالهم في سلسلة من حملات الصوائف والشواتي التي تعمل في الوقت ذاته على فتح الدروب وعقد المواصلات الرئيسة وسبر أغوارها بغية تيسير الوصول إلى الهدف الرئيس القسطنطينية[1].

فحالما استقرت أوضاع الدولة العربية الإسلامية لصالح الخليفة معاوية بن أبي سفيان على مختلف الصعد، وبعد ان أصبحت القوة البحرية العربية أهلاً لضرب الروم في عقر دارهم عقب سلسلة الانتصارات التي حققها المسلمون على

---

[1] ذكرت المصادر ان معاوية بن أبي سفيان قاد حملة بحرية قصدت مضيق القسطنطينية سنة 32هـ/ 653م وعلى الرغم من عدم إفصاحها عن هدف هذه الغزوة فانه يمكن تفسيرها على إنها عملية استطلاعية بحرية بعيدة المدى لاكتشاف الجزر الحيوية والدروب البحرية الموصلة إلى القسطنطينية. ينظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص176؛ الطبري، تاريخ، ج4، ص304؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص221.

البيزنطيين في عدد من الصوافي والشواتي البرية والبحرية[1] في المدة ما بين سنة43-49 هـ/ 663-669م، التي مهدت السبيل بلا ريب أمام الخليفة معاوية سنة 49هـ/669م لإرسال حملة كبيرة إلى عمق بلاد الروم بعد أن رأى ضرورة الإفادة من الأوضاع السياسية المتردية في الدولة البيزنطية والتي كان يتابعها عن كثب على ما يبدو بعد مقتل الإمبراطور كونستانز الثاني (Constans II) وثورة الطامعين في العرش البيزنطي وعلى رأسهم قائد بند الارميناق (Arminikon) الذي استنجد بالخليفة معاوية لمساعدته في مسعاه[2]، إزاء ذلك أرسل الخليفة معاوية حملة برية كبيرة بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري لمساعدة الثائر البيزنطي وافتتاح المزيد من الأراضي الرومية، لكن هذه الثورة سرعان ما أخمدت واستتبت الأمور نوعاً ما لصالح ابن الإمبراطور القتيل الإمبراطور الجديد قسطنطين الرابع (668-688)[3]، ومع ذلك بلغت حملة فضالة هذه مدينة خرشنة (Kharsianon) من بند الارمنياق وفتحت على يديه بعد ان الحق الهزيمة بالروم عندها[4]، وواصل مسيره مكتسحاً المعاقل الرومية التي أمامه حتى بلغ - كما يقال - خلقيدونية ضاحية من ضواحي القسطنطينية التي قضى فصل الشتاء فيها[5]، لاعادة تنظيم قواته وانتظار المزيد من الإمدادات، وتجسد الجهد الحربي المكثف للمسلمين في هذه الأثناء بإرسال قوة أخرى بقيادة يزيد بن شجرة الرهاوي في البحر ومثلها حملة أخرى من أهل مصر بقيادة عقبة بن نافع الفهري.

---

(1) ينظر: الطبري، تاريخ، ج5، ص ص181، 212، 226، 227، 229، 231؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص ص425، 440، 453، 455.

(2) أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط1، دار المكشوف، (بيروت 1955م)، ج1، ص ص260-261؛ عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين، ط5، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1976م)، ص ص42-43.

(3) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ص ص42-43.

(4) تسميها المصادر الإسلامية خطأ في التصحيف (جربه) ينظر: الطبري، تاريخ، ج7، ص232؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص138، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج2، ص42.

(5) فيليب حتي، تاريخ العرب مطول، ترجمة: د. إدوارد جرجي د. جبريل جبور، دار الكشاف للنشر والتوزيع 1950م، ج2، ص ص264-265؛ إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص154-155.

ولا شك في ان إنفاذ هذه الحملات البرية والبحرية وعلى اكثر من جبهة في فصل الشتاء كان الهدف منها ضرب الدفاعات البيزنطية في اكثر من مكان على حين غفلة منهم وإحداث المزيد من الإرباك بين صفوفهم، لاسيما وان الروم ألفوا مهاجمة العرب المسلمين لهم في فصل الصيف بصورة اكثر،أما ان يهاجموهم في الشتاء تحت وطأة المناخ القاسي لبلاد الروم في البر والبحر فهو ضرب من المخادعة الحربية ونوع من المران استعداداً للحملات المباشرة على العاصمة البيزنطية لاحقاً، وفي تلك السنة 49هـ/669م وقيل سنة 50هـ/670م أردف الخليفة معاوية حملة فضالة آنفة الذكر بصائفة كبرى استنفر لقيادتها ابنه وولي عهده يزيداً واردفه بسفيان بن عوف الغامدي الذي سبقه بالدخول مع طلائع الجند إلى بلاد الروم[1]، فنال المسلمون هناك ((حمى وجدري)) ألحقت ضرراً كبيراً بهم[2]، ونفر مع يزيد عدد من الصحابة ﷺ منهم: ابو أيوب الأنصاري وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن الزبير[3] والحسين بن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهم)[4].

والجدير بالذكر ان بعض الرواة المغرضين ذوي الميول المعادية للأمويين – أمثال عوانه بن الحكم – حاولوا الطعن بشخصية القائد – والخليفة فيما بعد – يزيد ابن معاوية والتنكيل به والحط من سيرته الجهادية من خلال تصويره بصورة المتخاذل الكسول الذي لا يأبه بمصيبة إخوانه المجاهدين في عمق بلاد الروم ويشمت بهم، بأبيات شعرية مفتعلة على لسانه[5]، ولا ريب ان مثل هذه الراويات

---

[1] ذكر المسعودي ان الخليفة معاوية اغزا سفيان بن عوف العامري بلاد الروم وأمره ان يبلغ الطوانة فاصيب معه خلف من الناس وقد جعل تاريخ هذه الغزوة سنة 45هـ/ 665م. المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص33.

[2] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص159.

[3] ابو زرعة الدمشقي، تاريخ ابو زرعة ، ج1، ص188؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص232، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص47.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج14، ص111، ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص153.

[5] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص159؛ البلاذري، انساب، ق4 ج1، ص86 (رواية عوانه بن الحكم).

قائمة على ادعاء باطل لا يصمد أمام النقد التاريخي، فما زعمه أولئك الاخباريون من ان يزيد تخلف عن الجند وعاد أدراجه الى دير مرّان[1] بعد ان استنفر وعقد له لواء أمر لا يعقل لانه يخالف بطبيعة الحال قواعد تنظيم الجيوش وإرسالها للقتال ويخالف أصول الجهاد التي عرفها المسلمون منذ عهد النبوة، فكيف أذن يجرؤ يزيد على العمل؟ وأين الخليفة والصحابي الجليل معاوية من هذا السلوك لقائد عقد له اللواء على راس الجيش الذي يحارب عدواً شديد المراس كالروم لا ينفع معهم التقاعس والتخاذل في الحرب[2]؟.

بل ان ما يؤكد بطلان هذا الادعاء هو خروج مجموعة من الصحابة معه وقبولهم الائتمار بأمره، فلو انهم علموا ان يزيداً ليس بأهل لما أوكل إليه لوقفوا من أمرته موقف المتردد او المستنكر في أقل تقدير – وهو ما لم تشر إليه المصادر – لا بل ان قبولهم السير تحت رايته مؤشر كاف وصريح على كفاءته وقدرته الفكرية والعسكرية والبدنية على تنفيذ تلك المهمة الجهادية المنوطة به.

وعلى كل بعد ان قصدت حملة يزيد بن معاوية هذه مدينة خلقدونيا المقر الحربي البري المتقدم الذي اتخذه فضالة لادارة أعمال الجهاد والهجوم على القسطنطينية بعد ان أخضعت المدن البيزنطية في طريقها الى هناك، وعلى ضفاف مضيق البسفور انضم يزيد بقواته الى قوات فضالة بن عبيد وعبر مياه هذا المضيق الى الشاطئ الأوربي[3].

---

[1] دير مرّان: بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة بناؤه بالجص. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261.

[2] فريال بنت عبد الله بن محمود الهديب، صورة يزيد بن معاوية في الراويات الأدبية دراسة نقدية، ط1، دار اجاء، (الرياض 1995م)، ص ص47-48.

[3] عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ص43؛ إبراهيم لحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص56، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج2، ص44. الجدير بالذكر ان فيليب حتي قدّر المسافة ما بين ثغر طرسوس الذي كانت تنطلق منه الجيوش الإسلامية والقسطنطينية بنحو 450 ميلاً خطاً مستقيماً. تاريخ سورية، ج2، ص45؛ تاريخ العرب مطول، ج2، ص263.

وعلى الرغم من ان أية محاولة جادة لاطباق الحصار الشامل على القسطنطينية توجب على الجيش الإسلامي محاصرتها من ناحية البحر، فان المصادر التاريخية المتيسرة لم تشر الى دور الأسطول الإسلامي في هذه الحملة، وهذا ما يجعل الباحث يذهب الى تفسير هذه الصائفة على انها حملة بعيدة المدى استهدفت اختبار الدفاعات البيزنطية في المناطق المحيطة بالعاصمة، والتمهيد لحملات لاحقة هدفها فرض الحصار التام على القسطنطينية براً وبحراً وباستعدادات برية وبحرية تناسب مثل هذا الفعل العسكري العظيم، و هذه الحملة كان الهدف منها أشعار البيزنطيين بقوة العرب المسلمين وقدرتهم على دك الحاضرة البيزنطية وانزالها من عليائها. فلو لم تكن هذه الحملة الا تمهيدية وكان القصد منها أطباق الحصار براً وبحراً لاسرع الخليفة معاوية بإرسال المزيد من الإمدادات لها بأسرع وقت ممكن ولمهد المسلمون لها بفتح الجزر والمعاقل البحرية الهامة في بحر ايجة وبحر مرمرة كما حصل ذلك فيما بعد.

واللافت للنظر انه على الرغم من الأهمية التاريخية لهذه الحملة التمهيدية، فان المصادر صمتت عن إيراد تفاصيل اكثر عنها من حيث صفحات القتال والعدد والآلات الحربية التي استخدمها الطرفان وطبيعة الدفاعات الرومية والأساليب التعبوية الهجومية التي قابلها بها المسلمون وغير ذلك مما يحتاجه الباحث لتكوين تصور تاريخي شامل عن ما جرى ولكن مع هذا لم يغفل المؤرخون العرب عن ذكر بعض المواقف البطولية التي أبداها المقاتلة العرب المسلمون، فقد روي ان القائد يزيد بن معاوية حمل على الروم حملة هزمهم فيها واحجرهم في المدينة، وضرب باب القسطنطينية بعمود حديد كان في يده فهشمه حتى انخرق وقيل ضربه بسيفه[1]، وعلى الرغم من المبالغة الظاهرة في هذه الرواية، فإنها تحمل دلالات أكيدة على هذا الفعل البطولي وسواه ما هو الا إشعار للروم بمقدار قوة العرب

---

[1] البلاذري، انساب، ق4 ج1، ص86؛ الأصفهاني، الاغاني، ج17، ص212.

المسلمين وجرأتهم على ضربهم في قلب إمبراطوريتهم لما وقر في نفوسهم من رغبة بالجهاد في سبيل الله تعالى.

وقيل انه لمّا اشتد القتال بين الطرفين لم يزل عبد العزيز بن زرارة الكلابي – أحد المقاتلة الذين رافقوا يزيد في حملته تلك – يتعرض للشهادة فلم يقتل حتى حمل على الروم وانغمس بينهم فشجروه برماحهم حتى قتلوه ((فبلغ معاوية قتله فقال لأبيه (زرارة): هلك والله فتى العرب فقال ابوه لمعاوية: ابني ام ابنك؟ فقال: ابنك فآجرك الله فقال:

فـــان يكـــن المـــوت أودى بـــه   واصـــبح مـــخ الكلابـــي زيـــرا

فـــكل فتـــى شـــارب كأســـه   فإمـــا صـــغيراً وامـــا كـــبيراً[1]

والمتتبع لحادثة وفاة الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري ﷺ[2] يجد إشارة واضحة الى مقدار ما بلغه العرب المسلمون من قوة – في هذه المرحلة التاريخية – وتمكن من اخذ زمام الأمور والمبادرة من يد عدوهم، الى الحد الذي جعل القائد يزيد بن معاوية يهدد ملك الروم فيمـــا إذا أمر بنبش قبر الصحابي الجليل أبى أيوب ﷺ أن لا يدع نصرانياً في ارض العرب الاّ قتله ولا كنيسة الا هدمها، مما اضطرهم للعدول عن ذلك والمحافظة عليه[3].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص459؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص135.

(2) اختلف المؤرخون في سنة وقوعها وقد شيع تشييعاً مهيباً أثار انتباه الروم وملكهم حيث دفن عند أسوار القسطنطينية. ينظر: ابن أبي شيبه، مصنف ابن أبي شيبه، ج5، ص247، احمد بن حنبل، المسند، ج5، ص419، ابن الأثير، أسد الغابة، ج6، ص28–29.

(3) ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ج2، ص ص116–118؛ ج6، ص28–29. ينظر ايضا: الحاكم، محمد بن عبد الله ابو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت450هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1990م)، ج3، ص518.

رفع المسلمون الحصار عن القسطنطينية وآثروا الانسحاب نحو الشام بعد ان لقوا ما لقوا من شدة المقاومة من جانب الروم[1]، ولكن مع ذلك فقد اثبتوا للبيزنطيين ان عاصمتهم ليس بعيدة المنال عن المسلمين الذين جاست قواتهم الطرق والمسالك المؤدية أليها وضربت بقبضة من حديد الدفاعات البيزنطية المقامة على طول تلك الطرق[2].

وإتماما لجهودهم آنفة الذكر، رأى المسلمون بوصفهم أصحاب المباداة في تلك المرحلة التاريخية ان يضربوا الحصار المباشر والمطبق على القسطنطينية براً وبحراً، ولكن أمرا كهذا كان يوجب عليهم وضع المزيد من القوات المهاجمة لاضعاف دفاعات البيزنطيين وأحداث الخلل والإرباك في صفوفها، ولاتمام السيطرة على الطرق والمضايق البحرية المفضية الى العاصمة البيزنطية، مثلما تحتم عليهم في الوقت نفسه تشديد سيطرتهم على المدن والحصون المهمة الواقعة على الدروب البرية المؤدية الى العاصمة، وضرب الدفاعات البيزنطية التي شهدت المزيد من التعزيزات بإقامة بنود جديدة (ثيمات Themes) في القرن السابع الميلادي، على اثر حملة يزيد ابن معاوية سنة 49هـ/669م آنفة الذكر[3].

لذا بادر الخليفة معاوية بن أبي سفيان ومن اجل فرض الحصار الى إرسال عدة حملات بحرية استهدفت فتح عدد من الجزر ذات الأهمية ((السوقية)) والتعبوية على مجريات الحرب مع الروم حينذاك، فقد افتتحت حملة بحرية بقيادة جنادة بن أمية الازدي جزيرة رودس مرة ثانية وبصورة ناجزة سنة52هـ/ 672م وفرض العرب المسلمون سيادتهم المطلقة عليها عن طريق توطين الجند فيها واقامة الترتيبات الدفاعية اللازمة لهم هناك[4]، وفتحت سفن الامويين عدداً من القواعد

---

(1) وصف أحد الجند الذين رافقوا يزيد تلك المقاومة بقصيدة موجهة الى الخليفة معاوية رواها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، ج67، ص ص125-126.

(2) إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص157.

(3) المرجع نفسه، ص ص158-164. ينظر الفصل الرابع من هذا الكتاب ص.

(4) Ostorogrosky , Opcit , P.124.

البحرية في سواحل ليكيا (Lycia) وكيليكيا (Cilicia) وأزمير[1] وعدداً من الجزر الايجية المهمة مثل كوس وخيوس[2]، ولأجل ضمان المزيد من الأمن للقوات الإسلامية الزاحفة باتجاه العاصمة تمكن الأسطول الإسلامي من افتتاح واحدة من أهم الجزر في بحر مرمرة وهي جزيرة (Cyzicus) او كما تسميها المصادر العربية باسم (ارواد) سنة 54هـ/673م على القائد جنادة بن أبي أمية الازدي[3]، وإنهاءً لأي أمل للروم في استعادتها اسكنها الخليفة معاوية الجند المسلمين متخذاً بذلك اياها قاعدة متقدمة لانطلاق الحملات الحربية باتجاه القسطنطينية، لا سيما وإنها تتحكم بخطوط المواصلات القادمة والذاهبة الى القسطنطينية.

وبهذا أمن العرب المسلمون ظهر قواتهم المرسلة لحصار القسطنطينية، لاسيما وان جزر قبرص ورودس- وكوس وخيوس وغيرها من القواعد البحرية الرومية في سواحل آسيا الصغرى الغربية- أصبحت تحت السيادة العربية التامة مما حرم الروم من هذه القواعد المهمة، وفي الوقت ذاته غدت القواعد الرومية في سواحل آسيا الصغرى التي تعرف بولاية كبير هايوت (Kibyrrhaeots)[4] تحت تأثير قوة الأساطيل الإسلامية الراسية في قبرص ورودس ورصدهم المستمر، واستكمل المسلمون الجانب البحري من خطتهم المتضمن إحكام السيطرة على كل الجزر المتحكمة بالممرات البحرية الموصلة الى القسطنطينية بافتتاحهم جزيرة كريت (اقريطيش) سنة54هـ/673م على يد القائد جنادة بن أبى أمية الازدي ايضاً[5]، تلك الجزيرة الحيوية التي تقع في قلب البحر المتوسط والتي تعد بمثابة موضع القفل المسيطر على بحر ايجة ومرمرة من جهة والبحر المتوسط من الجهة

---

(1) زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص133.

(2) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص149.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص233؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص351، ابن اعثم، الفتوح، ص ص145-146 Ostorogroskg , Opcit , P124.

(4) ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص113؛ بينز، الإمبراطورية البيزنطية، ص188.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص233؛ قدامة بن جعفر، الخراج، ص351.

الأخرى، وتعد جسر اتصال بين شبه جزيرة المورة (البولوبونيزو) وآسيا الصغرى وبين الشام ومصر وشمال أفريقيا وصقلية واليونان وإيطاليا ولقربها من هذه السواحل أصبحت قاعدة بحرية مهمة تهدد بخطرها السواحل الأخرى إن أصبحت بيد أحد الأطراف المتصارعة في البحر المتوسط وهي تمثل السور الذي يحمي الحدود البيزنطية في أي وقت[1].

وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لهذا الهجوم الإسلامي على قلب العالم البيزنطي العدو الأكثر خطراً على دار الإسلام، فان المصادر التاريخية العربية لم تقدم أية تفصيلات او إشارات عن الكيفية التي حصل فيها الاستنفار وتحشيد القدرات المادية والبشرية اللازمة لذلك، لا بل انها لم تشر الى الجانب البري من هذا الحصار وما هي الدروب والمسالك التي سلكها المقاتلة العرب في أثناء سيرهم براً نحو القسطنطينية؟ وكيف تم لهم تأمينها؟ وما هي المدن التي افتتحوها في أثناء زحفهم؟ وماهي الصعوبات المناخية والتضاريسية والدفاعية التي اعترضت مسيرهم؟ وهل ان صمت المصادر عن تقديم إجابات عن هذه التساؤلات وسواها ناجم عن عدم وجود روايات بهذا الخصوص ممن عاصروا الحرب؟ – وهو أمر غير معقول – أم إن العرب بحملاتهم التمهيدية آنفة الذكر قد احكموا سيطرتهم الفعلية على المدن والطرق المؤدية الى العاصمة البيزنطية الى الحد الذي جعل مسيرهم الى هناك ميسّراً وآمناً؟ كل هذه التساؤلات لم تقدم لها المصادر إجابات شافية او حتى إشارات موجزة تفيد في تكوين صورة تاريخية متكاملة عن عمل حربي عظيم كهذا، بل ان ما ركزت عليه المصادر هو إيراد أسماء قادة الصوائف والشواتي البرية والبحرية في المدة ما بين سنة 54-60هـ/673-679[2]، وعلى

---

[1] Pendelburg , J. D. S , The Archaeology of Crete , (Landon 1939) PP. 1-16

طه خضر عبيد، أمارة اقريطش العربية الإسلامية 211-350هـ، مجلة التربية والعلم، العدد 23 لسنة 1999م، ص68.

[2] ينظر مثلاً: خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص ص265، 267-272، الطبري، تاريخ، ج5، ص ص293، 299، 301، 308-309، 315، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص ص 107، 109، 123، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص ص495، 501، 514، 521، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص ص148-149.

الرغم من عدم تحديد وجهة هذه الحملات الصيفية والشتوية بالضبط والهدف الأساسي لكل واحدة منها من قبل المصادر التاريخية المعتمدة، الا انها عدت مؤشراً حقيقياً على النشاط الحربي المكثف ضد البيزنطيين طيلة هذه السنين، والذي تزامن مع الحصار البحري الذي ضربه الأسطول الإسلامي على القسطنطينية فارضاً الحصار عليها لمدة سبع سنين 54-60 هـ/673-679م بعد ان اتخذ من جزيرة سزيكوس (Cyzicus) (أرواد) في بحر مرمرة قاعدة متقدمة لإرسال الجند المحاصرين للقسطنطينية وامدادهم بما احتاجوا إليه من ميرة وسلاح ورجال ولقطع الطريق على السفن الرومية القاصدة فك الحصار عن عاصمتهم[1].

وقد تكون هذه السلسلة المتواصلة من الصوائف والشواتي البرية والبحرية هي الأسلوب التعبوي المنظم الذي تم بواسطته فرض الحصار – وان لم تشر الى ذلك المصادر صراحة – وهو ما يتواءم مع ما ذكرته المصادر من ان العرب المسلمين كانوا ينطلقون من قاعدتهم المتقدمة سزيكوس (Cyzicus) (ارواد) في فصل الصيف فيفرضوا الحصار ويناوشوا الروم القتال، ثم يقفلوا عائدين إليها في الخريف ومقدم الشتاء اتقاءً منهم للظروف المناخية القاسية السائدة في قلب بلاد الروم، ثم يعاودون الحصار مجدداً في مقدم الربيع ومطلع الصيف، وقد استمروا على هذا الحال لمدة سبع سنين دون الدخول في معركة برية او بحرية حاسمة تسفر عن تحقيق النصر الناجز لأي من الطرفين حتى اقفلهم الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة60هـ/679 م وعقد معاهدة صلح مع الروم أمدها ثلاثون عاماً[2].

وعلى الرغم من عدم تقديم المصادر لأية تفصيلات اخرى عن ما جرى في أثناء هذا الحصار الطويل،فان ابن عساكر (ت571هـ) أشار الى ان القائد عبد الله

---

[1] فيليب حتي، تاريخ العرب مطول، ج2، ص266، تاريخ سورية، ج2، ص48، .Ostorogroskey , Opcit , P.124 , Vasiliev , Opcit , P.214

[2] السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ،Ostorogrosky , Opcit , P. 124 , Vasiliev , P214.، ص150، احمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية، ص ص31-33.

ابن قيس الفزاري[1] (ت53هـ) هاجم القسطنطينية في إحدى المرات بسفن سماها (المحرقات) فلقى في مسيره إليها ((بمحرقاته محرقات الروم على الخليج فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت محرقات المسلمين محرقات الروم وجاءوا بالأسارى من الروم فضرب أعناقهم يزيد بن معاوية والروم تنظر إليهم...[2])).

ولا ريب في ان القائد يزيد بن معاوية قصد بفعله هذا إيقاع الرعب في قلوب الروم وبث الذعر والاضطراب في صفوفهم، مما يؤدي الى أضعاف روحهم المعنوية، وفقدانهم الثقة بقيادتهم وفي أسلحتهم، فأسلوب إثارة الرعب في نفس العدو يعد من الأساليب الهامة في مجال الحرب النفسية، وهذه الرواية فيها إشارة واضحة الى استخدام العرب لتقنية متقدمة في ميدان الحرب البحرية – في وقت مبكر كهذا من زمن المجابهة مع الروم – وهي استخدام نوع من أنواع السفن الحربية التي ترمي بالمقذوفات النارية على سفن الأعداء محدثة الحرائق والدمار فيها باثةً الفزع والاضطراب بين صفوفها في اقل تقدير، وقد جاء بمثل هذه الرواية الأمام الحافظ سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي المتوفى سنة277هـ/842م في كتابه المسمى السنن بروايتين مهمتين لم تردا فيما سواه من المصادر التي تسنى الاطلاع عليها، جاء في الأولى منها ((أن جنادة ابن أبى أمية الازدي وعبد الله بن قيس الفزاري وغيرهما من ولاة البحر من بعدهم كانوا يرمون العدو من الروم وغيرهم بالنار ويحرقونهم هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء)) وروى عن مشايخه ((عن عبد الله ابن قيس الفزاري انه كان يغزو على الناس في البحر على عهد معاوية وكان يرمي

---

[1] عبد الله بن قيس الفزاري: عبد الله بن قيس الحارثي حليف بن فزارة امير البحر في صدر الاسلام كان مقيماً بالشام توفي سنة53هـ. الزركلي، خير الدين الزركلي، الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت د.ت)، ج4، ص ص114-115.

[2] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج32، ص119. هناك نوع من السفن الحربية استخدمت في هذا العصر تدعى الحراقة وجمعها حراقات او حراريق هي عبارة عن سفن كبيرة تملأ بمواد قابلة للاشتعال تطفو فوق سطح الماء ولا يمكن إطفاؤها وتحمل هذه السفن المجانيق لقذف هذه المواد. ينظر محمود عباد محمد الجبوري، أسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1986م، ص102.

العدو بالنار ويرمونه ويحرّقهم ويحرّقونه وقال: لم يزل أمر المسلمين على ذلك[1])).

ومن هذا يبدو أن العرب المسلمين كانوا قد استخدموا من الوسائل والأساليب ما يكافئ وسائل وأساليب عدوهم، أثناء المجابهة، وفيه إشارة ضمنية الى مدى نضج العقلية العسكرية العربية الى الحد الذي مكن القوات البحرية الإسلامية من ابتداع سلاح ناري يكافئ ما يسمى بـ ((النار اليونانية Greek Fire))[2] إن لم يكتشفوا سرّ صناعتها وهو ما ليس بالإمكان الجزم به لعدم توفر الأدلة في اقل تقدير.

وان من بين الأسباب التي دفعت بالمسلمين الى رفع الحصار والانسحاب هو طول مدة الحصار التي استمرت قرابة سبع سنوات حسبما تواتر في المصادر بحرب سجال لم تنته بنتيجة حاسمة لأحد الطرفين، تحت وطأة الظروف المناخية القاسية لبلاد الروم، لاسيما في فصل الشتاء وربما تحت طائلة نقص التموين والسلاح والذخيرة في الشتاء ذلك الفصل الذي كانت تضطر فيه القوات العربية الإسلامية الى الجنوح صوب جزيرة (أرواد) سزيكوس لاعادة تنظيمها وانتظار انقضاء البرد ووصول الإمداد إليها عبر البحر، مما كان يمنح الفرصة المناسبة لتعزيز دفاعاتهم والتزود بما يقيتهم ويعزز صمودهم من الأقاليم والبنود الرومية الغنية الأخرى، فضلاً عن حصانة القسطنطينية طبيعياً[3] ومتانة أسوارها الى جانب طول خطوط الإمداد ما بين مقدمات الجيش العربي الإسلامي المحاصر و مقراته الخلفية في بلاد الشام او في الثغور على اقل تقدير تلك الخطوط التي تكون عرضة

---

[1] سعيد بن منصور، السنن، ج2، ص287.

[2] النار الإغريقية: هي مزيج معقد من تراكيب متعددة أهمها الجير الحي والنفط والكبريت وعندما تشتعل مكوناتها وتطلق بواسطة القذافات الانبوبية اليدوية (الزراقات) وتلامس الماء لا تنطفئ بل يشتد اشتعالها سائرة فوق الماء مع الرياح نحو سفن العدو فتحرقها. ينظر: محمود عباد محمد الجبوري، أسلحة الحصار عند العرب، ص ص79-80، 166-167.

[3] ينظر ص211-212 من هذا الكتاب.

لخطر هجمات مقاتلي الثيمات البيزنطية كان هذا عاملاً آخر جعل مهمة المسلمين في ديمومة الزخم الهجومي اكثر صعوبة وعناء، كما ان عدم إحكامهم الحصار على المدينة بصورة تامة ومطبقة – لأسباب لم توضحها المصادر – إذ بقيت على اتصال بالبحر الأسود والطرق البرية المؤدية إليها مفتوحة ((لذا فإنها كانت تحصل على كل ما تحتاج إليه من المؤن والإمداد[1]))، كان هذا عاملاً آخر يضاف الى ما سبق،علاوة على المقاومة العنيفة التي أبداها الروم في الدفاع عن رمز بقاء دولتهم القسطنطينية، وقد يكون لطول زمن الحصار وانعكاساته السلبية على نفسية الجند المسلمين، لاسيما أهل البحر منهم؛ بسبب مجريات الحرب وإفرازاتها في ظل الظروف المناخية المعروفة هناك، كان لها اثر في دفع الخليفة معاوية الى سحبهم ورفع الحصار عن القسطنطينية.

لم يزل فتح العاصمة البيزنطية هدف الخلافة الأموية الأسمى ومحور سياستها الحربية، فقد استثمرت الخلافة الأوضاع السياسية المتردية في الإمبراطورية البيزنطية في العقدين الأخيرين من عهد الأسرة الهرقلية منذ سنة695م وما بعدها، ولا سيما في المدة التي شهدت عودة جستيان الثاني الى الحكم وما صاحبها من اضطرابات كبيرة وعلى مختلف الأصعدة[2]، ففي هذا الوقت كانت الدولة العربية الإسلامية تشهد استقراراً ملحوظاً في الأوضاع السياسية وازدهاراً بيناً في الأحوال الاقتصادية رافقه نشاط كبير في الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (86–96هـ/ 694–705م[3]) الذي أثبتت له ولأسلافه سنوات المجابهة السابقة ان شن الحرب مباشرة على القسطنطينية هو الأسلوب الأكثر فاعلية والأجدى في صراع العرب المسلمين مع الروم، لاسيما وان

---

(1) ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص96.

(2) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ص167–178.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص227؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج3، ص327، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، تاريخ الخلفاء: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر 1952م)، ص223.

حملات الصوائف والشواتي البرية والبحرية التي لم تنقطع لم تضع حداً للخطر البيزنطي الذي ما زال يهدد كيان العرب المسلمين السياسي، لذا أخذت مسألة مواصلة الزخم الهجومي التعرضي الكثيف على الأراضي البيزنطية حيزاً من نشاط الخليفة الوليد بن عبد الملك الحربي، ممهداً بعدد من الصوائف والشواتي للهجوم الحاسم حالما تستكمل الخلافة متطلباته كافة، وقد أوكل مهمة قيادة هذه الحملات الى خيرة أولاده من ذوي القدرات الحربية وقادته ذوي الكفاءات القيادية، تلك الحملات التي كان الهدف منها استطلاع أهم الطرق المؤدية الى القسطنطينية أيسرها وتأمين تلك الطرق بفتح العديد من الحصون والمعاقل الرومية الواقعة عليها وتوجيه الضربات المركزة والقوية الى التجمعات الدفاعية الرومية في البنود البيزنطية[1].

فقد كان فتح مدينة الطوانة (Tyana) الحصينة سنة88هـ/709م اهم هذه الأعمال الحربية؛ ذلك لأنها تعد بوابة الطريق بين الشام والبسفور وهو الطريق الذي تسلكه الجيوش الإسلامية في زحفها نحو القسطنطينية[2]، وهي من أهم معاقل كبادوكيا تقع الى الجنوب من كيليكيا عند ممر طوروس[3]، إذ وجه الخليفة الوليد إليها أخاه مسلمة وابنه العباس على راس جيش كثيف أطبق الحصار عليها لمدة تسعة اشهر – حسب رواية ميخائيل السرياني[4]–، لاقوا خلالها فضلاً عن المقاومة الشديدة من قبل القوات الرومية المتحصنة بالمدينة صعوبات مناخية قاسية بسبب تساقط الثلوج بغزارة أدت الى تهتك الأبنية واصابة الجند بالأمراض وفقدانهم الكثير

---

[1] ينظر الصوائف في سنة 86-96هـ في: اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص204؛ خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص381، 387،409، الطبري، تاريخ، ج6، ص ص439،442،454، 468-469،483،392-393،395،522-523، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج17، ص155، ج26،ص ص441-442، 445-446، ج58، ص30-31.

[2] ينظر:خريطة رقم (12).

[3] السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص173؛ نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، جامعة دمشق، د.ت، ص133، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج2، ص81.

[4] زاكية محمد حسن، ميخائيل السرياني، ص139.

من دوابهم[1] بسبب المناخ القارس، الاّ انهم بعد طول صبر وشدّة حصار تمكنوا من فتحها ودحر الروم في سنة 88هـ/709م وتكبيدهم خسائر كبيرة[2].

تزامنت الاستعدادات العربية الإسلامية لشن الهجوم الشامل على القسطنطينية مع النشاط الحربي الواسع النطاق المذكور سابقاً، حتى طرقت أخباره مسامع الحكومة البيزنطية التي أوفدت سفارة برئاسة دانيال (Danial) حاكم مدينة سينوب الى دمشق، كان هدفها المعلن عقد هدنة بين الطرفين ومقصدها الخفي التجسس وتقصي أخبار الهجوم الإسلامي المرتقب وبيان طبيعة ومستوى تحضيراته، وقد عادت هذه البعثة بأخبار تؤكد ما عزم عليه المسلمون، لذا كان رد فعل الإمبراطور البيزنطي أن ابلغ أهل القسطنطينية بذلك، أمر كل فرد أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه ثلاث سنوات، وان يخرج من المدينة كل معوز وغير قادر على تدبير مئونته، وملأ المخازن الإمبراطورية بكميات هائلة من القمح والمواد الضرورية للمدافعين تحسباً لأسوء الاحتمالات واخذ بتجديد أسوار المدينة،لاسيما الجهات المطلة منها على المياه، ووضع على الأسوار البرية أسلحة دفاعية وعدة حربية لازمة لصد المهاجمين[3].

أما في الجانب العربي الإسلامي فان وفاة الخليفة الوليد سنة 96هـ/714م لم تكن لتوقف جهود المسلمين الرامية الى ضرب العاصمة البيزنطية التي تمثل مكمن الخطر الرومي على الدولة العربية الإسلامية وممتلكاتها، بل إن الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/714-718م) اخذ باتمام تلك التحضيرات

---

[1] ينظر وصف مسلمة بن عبد الملك لتلك الصعوبات: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص ص443-444. ووصف أحد جنده الحال بأبيات من الشعر: المصدر نفسه، ج49، ص347.

[2] الطبري، تاريخ، ج6، ص434؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج26، ص ص441-445، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص417، مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص3، زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص139.

[3] إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص184.

والاستعدادات مستنفراً المسلمين، حيث لبت نداءه القبائل العربية[1] في اغلب أرجاء الدولة جهاداً في سبيل الله تعالى، وبعد حشد المقاتلة اعد الحصار الحربي صيفاً وشتاءً آلته من أسلحة الحصار المعروفة كالمجانيق و(النفط)[2] وغير ذلك، ومن ثم استشار أهل الدراية والخبرة بأمور الحرب من المسلمين في الخطة التي بإمكان الجند اعتمادها في هجومهم وحصارهم المرتقب مع الروم، فأشار عليه موسى بن نصير بان يفتح ما دون القسطنطينية من المدن والرساتيق[3] والحصون حتى يبلغ المدينة، فلا يأتيها الاّ وقد هدمت حصونها ووهنت قواتها، وأضاف موسى بن نصير قائلاً: (فإذا فعلت ذلك لم يبق بينك وبينها مانع، فيعطوا بأيديهم ويسلموا لك البلد[4]))، وفي رواية ثانية أشار موسى على الخليفة بأن يوجه مسلمة ((بمن معه فلا يمر بحصن الاّ صيرّ عليه عشرة الاف رجل حتى يفرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقي من جيشه حتى يأتي القسطنطينية[5]))، وفي ذلك إشارة مهمة إلى ضرورة ضرب الخطوط الدفاعية الرومية بإسقاط الحصون والقلاع ذات المواقع التعبوية الحيوية ووضع الحاميات المناسبة عندها، ليكون الجند المحاصرون في مأمن من مغبة التفاف الروم عليهم وقطع طرق عودتهم وجعلهم في موقف دفاعي حرج، وحرمان أهل القسطنطينية من إمدادات أهل هذه المدن والرساتيق،لاسيما وإنها المعين الذي يرفد العاصمة بما تحتاج إليه، فضلاً عن ذلك تأمين خطوط المواصلات والإمداد ما بين المقاتلة المسلمين المحاصرين وقواعدهم في دمشق

---

(1) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج9، ص168، ج11، ص198، ج16، ص179، ج22، ص335، ج24، ص368، ج27، ص245-246، ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص1922-1923، ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص186.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص ص24-25.

(3) الرساتيق: جمع رستاق وهي كلمة فارسية وهو كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص40.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص182.

(5) الإمامة والسياسة (منسوب) ابن قتيبة الدينوري، ج2، ص249.

والثغور المتقدمة في أقل تقدير، لأجل ضمان ما يحتاجون إليه من توجيهات ومساعدات، إذا ما اضطروا الى ذلك.

وعلى الرغم من اعتراض القائد مسلمة على ما جاء في مشورة موسى بن نصير، وإيثاره ترك تلك القلاع والحصون وإصراره على فتح العاصمة عنوة على أمل أن تستسلم بعد ذلك ما دونها من الحصون[1]، فإنه رجع الى قول موسى فيما صنع بأرض الروم[2] وهو ما يوافق المنطق العسكري الصحيح، وفيه تفسير آخر لعلّية اصطحاب هذا العدد الكبير من الجند الذي بلغ زهاء (120) ألف مقاتل على ارجح الروايات[3] والذي بالغت بعض المصادر كثيراً فيه[4].

ولمساندة الحملة البرية أبحرت من السواحل الشامية حملة عربية مؤلفة من (1800) سفينة حربية من القواعد البحرية الإسلامية في الشام ومصر وأفريقية (تونس) بقيادة عمر بن هبيرة الفزاري قاصدة القسطنطينية لأتمام الحصار عليها براً وبحراً[5].

والجدير بالذكر أن المسلمين كانوا قد مهدوا لهذا الهجوم بعدد من الصوائف والشواتي البرية والبحرية التي اختبروا بها الدفاعات الرومية، ووجهوا إليها ضربات أحدثت – بلا شك – الإرباك والتخريب فيها، وفتحت عدداً من الحصون

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص182.

[2] الإمامة والسياسة (منسوب) ابن قتيبة الدينوري، ج2، ص249.

[3] الذهبي، الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد الذهبي، دول الإسلام،ط2، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن 1364هـ، ج1، ص ص45–46؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص196، ابن العديم،بغية الطلب، ج4،ص ص 1989–1990.

[4] الإمامة والسياسة (منسوب) ابن قتيبة الدينوري، ج2، 249،زاكيه محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص141.

[5] اليعقوبي، تاريخ، ج2، ص210؛ المسعودي، التنبيه والأشراف، ص135، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج50، ص337، ج66، ص159، إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ط1، بولاق 1314هـ، ج2، ص122، ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص ص103–104.

ذات المزايا التعبوية[1]، وهي رد على محاولة الروم الفاشلة لضرب الاستعدادات الحربية البحرية في الساحل الشامي سنة96هـ/715م حين اعد الإمبراطور انستاس (Anastasius) حملة في جزيرة رودس لمهاجمة الثغور البحرية الشامية، ولكن ثورة حدثت ضده هناك أدت الى عزله وتولية ثيودسيوس (Theodosius) – بعده وفشل تلك المحاولة[2]، بل إن حملات المسلمين تلك لم تنقطع إذ تزامنت مع حصار مسلمة بن عبد الملك للقسطنطينية سنة98هـ/717م، حيث بعث الخليفة سليمان من مقره في دابق ابنه داود وبصحبة أحد القادة على رأس جيش افتتح حصنين من حصون الروم[3].

انطلقت حملة مسلمة البرية من منطقة التحشد في مرج دابق سنة 98هـ/716-717م قاصدة قلب الروم وانضم إليه فيها جيش من المسلمين الذين كانوا هناك[4]، وسلك طريق مرعش[5] وافتتح مدينة (الصقالبة[6])) الواقعة ما بين دابق وعمورية في جبال طوروس وهجم الشتاء، فانحرف مسلمة بحملته الى مدينة تدعى افيق[7] وشتا بها، وقد استبعد محمود شيت خطاب ان تكون هذه المدينة هي ذاتها التي أشار إليها ياقوت الحموي (ت626هـ) في معجمه، إذ ليس من المعقول أن يقفل القائد مسلمة عائداً بجيشه الجرار ليقضي الشتاء في الشام ثم يستأنف مسيره مجدداً في داخل بلاد الروم، والراجح انها بلدة بسهول كيليكيا شمال جبال طوروس،

---

[1] ينظر أحداث سنة 86-98 هـ: خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص421؛ الطبري، تاريخ، ج6، ص ص522-523، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص26.

[2] عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي، ص245-246؛ بنية عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص104.

[3] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج17، ص155؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص236.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص181.

[5] ينظر: خريطة رقم (12).

[6] الصقالبة: جيل حمر الالوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزرج اعالي جبال الروم. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص197؛ ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص526.

[7] افيق: قرية من حوران في طريق الغور (الاردن). ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص233.

إذ تكون هذه السهول في الشتاء أدفأ من قمم الجبال التي تغطيها الثلوج وقتذاك[1] وبانقضاء الشتاء استأنف القائد مسلمة وجنده المسير نحو الشمال موغلا في اقليم نحـو القسطنطينيـة حتى بلـغ مدينـة عموريـة عاصمـة البنـد الأناضـولي (Anantolikon) فضرب الحصار عليها[2].

وفي عمورية تم الاتفاق بين القائد مسلمة وليو الايسوري[3] ((ليون بن قسطنطين المرعشي[4])) قائد البند الأناضولي – ذلك القائد الطموح الذي كان يترقب الأحداث السياسية المضطربة في العاصمة البيزنطية على أمل الانقضاض على العرش – إذ رفع مسلمة وجنده الحصار عن عمورية مقابل ان يساعدهم ليو في مسيرهم الى القسطنطينية وفي فتحها[5]، وبهذا الاتفاق يكون ليو قد أمّن ظهره من الخطر الإسلامي الزاحف وكسب حليفاً آخر يعينه في مسعاه للظفر بالعرش، يضاف الى حليفه الآخر ارتاباسدوس (Artabasdos) قائد البند الأرميني (Arminikon) الذي اتفق معه على الثورة على الإمبراطور ثيودسيوس الذي كان يسانده جند ثغر الاوبسكيون (Opsikion)، وبالفعل سار ليو الى بند الاوبسكيون والقى القبض على الإمبراطور البيزنطي وحاشيته في نيكوميديا (Nicomedia) وواصل سيره حتى بلغ كريزوبولس (Chrysopolis)، ثم جرت المفاوضات بين الطرفين وانتهت بتنازل الإمبراطور ثيودسيوس عن العرش مقابل ضمان سلامته وأسرته، وامضى ما تبقى من حياته راهباً في إفسوس[6] وتم في آذار 717م تتويج ليو امبراطوراً في كنيسة القديسة صوفيا[7].

---

(1) محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك بن مروان فاتح شطر الأناضول ومحاصر القسطنطينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 28، سنة 1977م، ق1، ص131.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص24-25.

(3) عن ما قيل في اصل ليو ينظر: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص186، نبيه عاقل، الإمبراطورية البيزنطية، ص141.

(4) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص141؛ مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص26.

(5) إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص ص186-188.

(6) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص187، Ostorogrosky , Opcit , PP 155-156.

(7) المصدر نفسه؛ Vasiliev , Opcit , P236.

والجدير بالذكر ان المسلمين كانوا قد فتحوا في زمن الإمبراطورين السابقين لليو كلا من ساردس (Sardis) وبرغاموم (Pergamum) الواقعتين بمحاذاة الشواطئ الايجية، وقد يسرّ اتفاقهم – آنف الذكر – مع ليو باتجاه القسطنطينية، إذ لم تشر المصادر الموثوقة الى أية مقاومة تذكر كانت قد اعترضت مسيرهم ما بين عمورية والقسطنطينية.

وقد اعتمدت القوات العربية الإسلامية سياسة السير بخطى متأنية في مسيرها لحصار القسطنطينية هذه المرة لكي تتجاوز – قدر الإمكان – الهفوات السابقة، مستغرقة قرابة خمسة اشهر – ما بين تولية ليو العرش في القسطنطينية وبين أطباقها الحصار عليها في آب سنة 98هـ/717م – في استكمال استعداداتها الحربية وتدعيم خطوط مواصلاتها وتأمين قواعدها الخلفية، وفي 98هـ/آب717م وصلت القوات البرية العربية الى ابيدوس[1] – ابدس في المصادر الإسلامية[2] – عند (الخليج) أي مضيق الدردنيل، إذ التقى هناك القائد مسلمة وجنده بالأسطول الإسلامي البالغ عدد سفنه (1800) سفينة مختلفة الأنواع[3]، والذي كان يسير بخطى منسقة تتزامن مع سير الحملة البرية، وهناك غدا المسلمون على مسافة قريبة من القسطنطينية قدرت بحدود ميل عربي (أي كيلومترين)[4] وتم نقل القوات البرية تلك بكامل تجهيزاتها الى الضفة الأوربية[5] تلك القوات التي زحفت على ضفاف بحر مرمرة وحاصرت القسطنطينية براً من جهة تراقيا في الشمال، في الوقت الذي تمكن فيه الأسطول العربي الإسلامي من سدّ المنافذ البحرية الجنوبية واحكام سيطرته عليها[6].

---

[1] فيليب حتي، تاريخ سورية، ج2، ص50؛ اومان،الإمبراطورية البيزنطية، ص145.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج3، 26.

[3]Vasiliev , Opcit , P236.

[4] محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص ص135–136.

[5] ابن اعثم، الفتوح، ج7، ص194؛ محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، مجلة الهلال، السنة 34، يناير 1926م، ج4، ص378.

[6] توفيق البرو، الدولة العربية الكبرى صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار القلم العربي، (حلب 1973م)، ص348.

وقبل تناول ما جرى من أحداث أثناء الحصار لابد من الإشارة الى أن القسطنطينية كانت قد تميزت بمزايا سوقية وتعبوية مهمة مكنتها من الدفاع والمطاولة قد منحها إياها الموقع الجغرافي الذي شيدت عليه، إذ بدت وكأنها مثلثة الشكل[1]، جانب منها ذي تخوم عالية يطل على بحر مرمرة والبسفور لا تستطيع الأساطيل إنزال قواتها فيها، وآخر يطل على خليج او ميناء القرن الذهبي، ويمتد على طول كل من الجانبين سور واحد، أما الجانب الثالث الذي يقع في الجهة الغربية (تراقيا) والذي يصلها بأوربا براً فكان قد تم تحصينه بزوج من الأسوار المنيعة طولهما أربعة أميال يمتدان من شاطئ بحر مرمرة إلى شاطئ القرن الذهبي مدعمتان بأبراج الحراسة العالية، ويقع أمام السور الخارجي سور ثالث أشبه ((بالمتراس)) وخندق واسع بمثابة الخط الدفاعي الأول عن المدينة وللسور الخارجي عدة أبواب[2]، أما ميناء القرن الذهبي فكان يغلق بواسطة السلاسل الحديدية الطويلة (المآصر)، والتي كانت تحول دون دخول السفن المعادية الى هذه المرفأ البحري المهم، وقد أشار صاحب ((التاريخ السعردي[3])) إلى أن هذا التدبير الدفاعي قد تم العمل به منذ أيام الإمبراطور قسطنطين الأكبر مؤسس المدينة، وبهذا فقد تهيأ للروم أسباب الدفاع المديد عن عاصمتهم سواء أكانت أسبابا طبيعية أم بما أضافوه من تدابير دفاعية كالأسوار وما شابه ذلك من وسائل التحصين.

أما خطة المسلمين فقد كانت قائمة على إطباق الحصار بشدة على المدينة والوقوف أمام أسوارها بثبات وعزم مهما تكن مناعة الدفاعات الرومية حتى يستسلم الروم بعد ان تقطع عنهم جميع سبل ووسائل إدامة صمودهم براً وبحراً، وهذا ما

---

(1) ينظر: خريطة رقم (13).

(2) عبد السلام عبد العزيز فهمي، فتح القسطنطينية، دار الكتاب العربي 1969م، ص ص48-49؛ توفيق البرو، الدولة العربية، ص348.

(3) القس ادي شير، التاريخ السعردي، Turnhout / Belgque 1981، ج1، ص281.عن جغرافية القسطنطينية ينظر: ابن خردانبه، المسالك والممالك، ص ص104-105؛ ابن رستة، الاعلاق النفيسة، ص ص119 وما بعدها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج7، ص ص49-50.

اعد له الخليفة سليمان بن عبد الملك الأعداد المناسب من الناحية الإدارية والتسليحية يوم ندب المقاتلة واخرج لهم ألا عطيات والأرزاق، وانفق في جهازهم الأموال الكثيرة وجمع لهم آلات الحرب للصيف والشتاء والمجانيق والنفط[1] وسوى ذلك مما لزمهم من أسلحة الحصار وعدده[2]، وقد أشار ميخائيل السرياني – في رواية وإن غلبت عليها صفة المبالغة – الى حجم هذه التجهيزات ومقدارها بقوله أن الخليفة سليمان قد ملأ خمسة آلاف سفينة بالجند والطعام وجمع اثني عشر الف عامل وستة الاف جمل وستة الاف حمار ليحملوا زاد الجمال وحمل على الجمال السلاح والمنجنيقيون ((وأعد لهم مؤونة لسنين كثيرة[3]))، فضلاً عن ذلك فقد اهتم القائد مسلمة بتموينهم تموينا كافياً يتناسب وتوقعات المهمة المنوطة بهم، وقد ورد في المصادر الإسلامية أن القائد مسلمة أمر كل فارس أن يحمل على ظهر دابته مُدّين[4] من طعام حتى يأتي به القسطنطينية، فأمر بالطعام فالقى في ناحية مثل الجبال[5] في تدبير احترازي من جانبه لحصار قد يطول حتى حلول الشتاء مصحوباً بقتال الروم ومساجلتهم، ووجه بضرورة الاقتصاد في إنفاق المقاتلة موادهم التموينية – بوصفها أحد أسباب قوتهم ومطاولتهم الرئيسة – وأوصى الجند بالاعتماد على موارد بلاد الروم الغذائية بقوله ((أغيروا في أرضهم وازدرعوا[6]))، واستكمالاً لمتطلبات الحرب وأشعارا للروم بعزم المسلمين هذه

---

[1] كان يرمى من قبل النفاطين او رماة النفط الذين اصبحوا من الصنوف الثابتة في الجيش العربي الإسلامي وكانوا يلبسون ثوباً خاصاً غير قابل للاحتراق يطلق عليه (لباس النفاطين). محمود عباد الجبوري، أسلحة الحصار عند العرب، ص167–168.

[2] مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص26؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص182.

[3] زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص141.

[4] المد: من المكاييل الإسلامية يختلف من بلد إسلامي الى آخر والمد السوري يساوي (2.84) كغم. هنتس، فالترهنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الأردنية، (عمان 1970م)، ص ص74–77.

[5] الطبري، تاريخ، ج6، ص530.

[6] الطبري، تاريخ، ج6، ص530؛ مسكويه، ابو علي مسكويه الرازي (ت421هـ)، تجارب الأمم، حققه وقدم له: د. ابو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، (طهران 1987م)، ج2، ص356؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص497، مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص27.

المرة على فتح القسطنطينية حتى وإن طال المقام عند أسوارها، أقام مسلمة لجنده معسكراً محصناً[1] أسمته بعض المصادر الإسلامية[2] ((مدينة القهر)) وبحلول الشتاء سنة98هـ كانون الأول 717م ورداً من المسلمين على تحديات المناخ القارس هناك عملوا بيوتاً من الخشب أمضوا شتاءهم فيها[3].

بدأت أولى صفحات معركة الحصار التي سماها الأستاذ محمود شيت خطاب ((صفحة المبادرة)) بشن هجوم مرتين من قبل المسلمين أملاً في مباغته الروم، إذ حشد مسلمة في الأولى أربعة الاف مقاتل وكان اتجاه هجومه منطقة ((باب الذهب)) وفي الثانية حشد ثلاثة الاف مقاتل ولكن لم ينجد في هذين الهجومين[4]، وذلك لمناعة الأسوار ومهارة المدافعين الروم ووفرة الآت الدفاع من قاذفات النار والأحجار وغيرها[5]، لذا عول القائد مسلمة وجنده على أخذها بالحصار الصارم المستمر، فأقام مسلمة على القسطنطينية قاهراً لأهلها[6] مانعاً إياهم من كل مرفق براً وبحراً قدر الإمكان.

أما عن دور البحرية الإسلامية في صفحات معركة الحصار فان خطة المسلمين كانت تقضي بتعاون الأسطول مع القوات البرية وتنسيق العمل فيما بينه وتقديم الإسناد البحري لها الى جانب المهمة الأساسية وهي غلق المنافذ والمسالك المائية التي يمكن أن تحصل منها العاصمة البيزنطية على الإمداد والمؤن وحصار أسوار المدينة أيضا، لذا سيطر الأسطول الإسلامي على مدخل مضيق البسفور الجنوبي بغية قطع الاتصال بين القسطنطينية من جهة وبين بحر مرمرة وبحر ايجة من جهة ثانية، ثم انتهز أمير البحر (لعله سليمان بن معاذ الانطاكي أحد قادة

---

(1) اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص146؛ محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص378.

(2) ابن اعثم، الفتوح، ج7، ص195.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص530؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص356، ابن الجوزي، المنتظم،ج4، ص497.

(4) محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص137-138.

(5) محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص378.

(6) الطبري، تاريخ، ج6، ص530؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص236، ابن الجوزي، المنتظم، ج4، ص497.

الحملة) فرصة هبوب رياح جنوبية وبعث شطراً من أسطوله للسيطرة على مدخل البسفور الشمالي لمنع وصول أية إمدادات تأتي القسطنطينية من البحر الأسود، لاسيما ان شواطئه الشمالية كانت غنية بحقول القمح التي تمون العاصمة بالغلال[1]، وسارت السفن الإسلامية سيراً وئيداً على الرغم من الريح المواتية بسبب التيار البحري الذي يتدفق من البحر الأسود عبر البسفور منحدراً الى بحر مرمرة، ثم غيرت الرياح اتجاهها فجأة شأن الأحوال الجوية في تلك المنطقة، فاختل سير السفن لسوء الأحوال الجوية ورداءة الملاحة في هذه المياه، إذ إن السفن الصاعدة ضد التيار لا تستطيع الاعتماد على تسخير الرياح في جانبها زمناً طويلاً، وهذا ما حصل للسفن الإسلامية إذ سارت ببطء شديد جرّاء التيارات المائية ثم لم تلبث الرياح ان غيرت اتجاهها فوقع الاضطراب بين السفن التي ارتطمت بعضها ببعض وفقدت توازنها، وفي ظل هذا الإرباك بعث الروم سفنهم التي أخفوها في خليج القرن الذهبي، فأتمت حلقة الاضطراب في الأسطول الإسلامي بتوجيه مقذوفاتها النارية الى سفن المسلمين حتى حالت دون تنفيذهم لهذا الشطر من خطتهم[2] بغلق المدخل الشمالي للبسفور وبذلك لم تحاصر القسطنطينية حصاراً محكماً من تلك الناحية، ثم اعتزم أمير البحر العربي ان ينتقم لتلك الهزيمة الجزئية بنصر كامل فحشد امنع سفنه وهيأ كلاً منا بمائه من خيرة جنده شجاعة وأهبة، وزحف على أسوار المدينة وبذل جهداً عنيفاً لاقتحامها، ولكن الإمبراطور ليو الثالث (Leo III) كان على حذر وأهبة فرد المسلمين المهاجمين بسيل من النار الحامية وسحب أمير البحر المسلم أسطوله المرابط في الشاطئ الأوربي الى خليج سوستيان[3].

---

(1) إبراهيم احمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، ص189.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص530، مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص356، مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص32.

(3) ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص ص267-268، محمد عبدالله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص378.

وفي مقابل هذا الزخم الهجومي البري – البحري الإسلامي كان الإمبراطور ليو الثالث (Leo III) الذي برزت مواهبه الحربية في الدفاع عن مدينته – قد اعدّ لامر الحصار عدته بأن كدس المواد الغذائية في مدينته وأمر كل أسرة أن تخزن من القمح كمية تكفي لمدة لا تقل عن سنتين وشحن أسوارها بالمقاتلة والأسلحة الدفاعية الذين بذلوا كل جهودهم لمنع المسلمين من اقتحام الأسوار، واغلق ليو ميناء القرن الذهبي بسلسلة حديد (مأصرة) حالت دون دخول سفن المهاجمين المسلمين وحمت السفن البيزنطية الراسية خلفها من خطر الأسطول العربي الإسلامي المهاجم[1].

وما لبث الشتاء أن حل (98هـ/717-718م) ببرده القارس وثلوجه المتساقطة بكميات كبيرة ولمدة طويلة، حتى غدا بمثابة خط دفاعي آخر عول عليه الروم في صمودهم إزاء الحصار العربي الإسلامي، هذا البرد الذي فرض على الطرفين تحديد حركتهم وفعالياتهم القتالية[2] مؤقتاً، واعتصم العرب بالصبر والمطاولة والصمود أمام أسوار القسطنطينية وقساوة المناخ، مؤكدين بذلك ان دافعهم الأول وراء هذه الحرب الضروس هو الجهاد في سبيل الله تعالى كبتاً لاعداء الإسلام الروم الذين لا سبيل للخلاص من خطرهم المتواصل ألا بفتح عاصمتهم ورمز بقاءهم كما فتحت المدائن عاصمة الإمبراطورية الساسانية من قبل أيام الخلفاء الراشدين سنة 14هـ/ 635م، ولو لم يكن ألا الجهاد لاكتفوا بما فتحوا من المدن الرومية وبما نالوا من غنائم وعادوا أدراجهم قبل أن يحل بهم ما حل، لذا فقد جابهوا برد الشتاء بإقامة معسكر لهم من الخشب والخنادق الشقية التي اتقوا بها الجليد المتساقط[3]، ويبدو أن بقاء المسلمين على هذه الحال حتى انقضاء الشتاء وهم

---

(1) ارشيبالد لويس، القوى البحرية، ص104؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص188، محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص441، Vasiliev , Opcit , P236

(2) اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص146.

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص530؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص356، مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص32.

بأعداد كبيرة، أدى الى نفاذ مئونتهم[1] إذ ليس لهم من مأكل ولا لدوابهم من مرتع تحت وطأة البرد الشديد في ذلك الشتاء، الا ما ادخروه، أما ما ذهبت إليه روايات الإخباريين والقصاص من أن الإمبراطور البيزنطي ليو (Leo) قد خدع القائد مسلمة وكاد به وجعله يحرق ما جمع من مواد غذائية وعلف لجنده ولركائبهم او جعله يسلمه الى ليو في رواية أخرى[2]، فهي محض أساطير ليس ألا، أو روايات مدسوسة القصد منها التقليل من شأن هذا الجهد العسكري الكبير الذي تكرر اكثر من مرة في العصر الأموي، وهي محاولة للانتقاص والحط من السفر الجهادي الخالد لواحد من ابرز رجالات البيت الأموي وهو الأمير المقاتل مسلمة بن عبد الملك، وإظهاره بمظهر البليد الذي يقع فريسة سهلة لحيلة ساذجة يطليها عليه الإمبراطور ليو، وهذا ما يجانب الحقائق التاريخية، إذ ليس من المعقول أن يسلم قائد مثل مسلمة مواد جيشه التموينية والتي تعد أهم عوامل صموده لعدوه او يحرقها بهذه السهولة وليس هناك قائد يتخلى عن الحصار وبيده زمام المبادأة فيذهب بعيداً تاركاً مؤن جيشه نهباً للعدو، كما إن الحجج التي قدمها ليو لمسلمة – التي تناقلها الاخباريون – لاتقنع حصيفاً، إذ كيف يستسلم العدو لجيش إذا أحرقت المواد التموينية – أحد أهم مصادر قوته – لذلك الجيش، ولكن الذي هو اقرب الى المعقول أن يستسلم العدو إذا وجد خصمه قد كدس الأرزاق الكافية لإدامة حصار طويل، وكل محاصر يستسلم غالباً من الجوع، ولا يمكن اعتبار إجماع المؤرخين وتناقلهم هذه الرواية حجة قاطعة على صحتها، فالخلف ينقل عن السلف، فلا يستبعد ان يفتري أحد الإخباريين فرية على الأمويين يسمعها مؤرخ فيرويها فيأتي من بعده فينقل تلك الرواية المفتراة[3]، فلم يكن القائد مسلمة بن عبد الملك ليضع جهداً عظيماً مهد له المسلمون بسيل من الصوائف والشواتي وحشدت له الخلافة مواردها

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص ص267–268.

(2) مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص ص28–29؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج4، ص 1989–1990، ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص ص181–182.

(3) محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص ص138–139.

وقدراتها المادية والبشرية أفنى عدة خلفاء حياتهم الجهادية في سبيل إنجازه لم يكن ليضع كل هذا بقرار منفرد وهو المقاتل الذي عجمت عوده الحروب ومنحته سنوات المجابهة الخبرة الغنية عن الروم ومكايدهم وأساليبهم القتالية.

وعلى العموم فقد الحق برد الشتاء ونقص الميرة الضرر بالمسلمين الصامدين أمام أسوار القسطنطينية المنيعة حتى ((أكلوا الدواب أصول الشجر والعروق والورق[1])) في إشارة من المصادر الى مقدار ما مسّهم من قرح وضُر[2]، وأنزلت بهم أمراض الشتاء الفتك فمات منهم خلق كثير[3]، وقد حال الشتاء وسوء الأحوال المناخية بينهم وبين ان يمدهم الخليفة سليمان بن عبد الملك بما احتاجوا إليه من مدد وميرة[4]، أما الروم فكانوا في حال افضل من حال المسلمين تظلهم سقوف بيوتهم وتجنهم أسوار مدينتهم العصية[5]، وقد منحهم محدودية الفعاليات الحربية في هذه الأثناء فرصة التفاوض مع البلغاريين

(البرجان) الذين قطنوا مناطق غرب القسطنطينية والبلقان على أمل كسبهم حليفاً يسهم في ضرب القوات الإسلامية المحاصرة من الجبهة الغربية ويخلخل الصفوف التي تعبأت بها، أملاً في تخفيف وطأة الحصار[6].

وقد ذكر ابن عساكر[7] وابن كثير[8] ان ليو كاتب ملكهم يستنصره على المسلمين فعمد ملك البلغار الى المكيدة بالمسلمين مستفيداً من عوزهم الى الميرة

---

(1) الطبري، تاريخ، ج6، ص531؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص357.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج66، ص ص267-268.

(3) اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ص146-147؛ Ostorogrosky , Opcit , P157.

(4) الطبري، تاريخ، ج6، ص531؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص357، مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص32.

(5) اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص146.

(6) زاكية محمد رشدي، ميخائيل السرياني، ص142؛ Ostorogrosky , Opcit , P157

(7) تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص154-155.

(8) البداية والنهاية، ج9، ص191.

والمواد التموينية بأن أرسل إليهم التجار من حملة الميرة واردفهم بالعساكر – بقصد الخديعة وشن الهجوم عليهم – ((بعدة الحرب من الرجال والسلاح والعجل فيها الرجال تجر تلك العجل البراذين[1]))، فتولى مهمة التصدي لهم أحد قادة مسلمة بن عبد الملك ويدعى عبيدة بن قيس العقيلي وابنه شراحيل، فاستحر القتل بين الطرفين حتى كتب النصر في النهاية للمسلمين بعد ان قدموا أعداداً كبيرة من الشهداء[2].

ومما ساعد على إلحاق المزيد من الأذى بجيش المسلمين ان الروم – بحلول الربيع سنة98هـ/718م – استخدموا النار الإغريقية (Greek Fire) استخداماً ماهراً ضد سفن المسلمين وقواتهم البرية بعد ان كانوا بموقف المهاجم في بداية معركة الحصار، فقد قدم الى مسلمة أسطول يحمل الأقوات من ثغر الإسكندرية يتألف من أربعمائة سفينة تحرسها سفن حربية فدخل البسفور وعسكر في ((كالوس ارجوس)) ثم جاء على أثره أسطول آخر من أفريقية يضارعه في الحجم ورسا في شاطئ ((بتنيا))[3]، وقد حاول مسلمة بن عبد الملك ان يستثمر تفوق المسلمين البحري ويشن هجوماً على الروم يعيد الأمور الى نصابها باستعادة المبادرة مرة ثانية، ولما اقترب الأسطول الإسلامي من المرفأ الرومي كانت سفن ليو بانتظاره فغمرتهم بمقذوفاتها النارية – الى جانب ما كانت تلقيه الأسلحة الدفاعية من على أسوار القسطنطينية – بالشكل الذي الحق الدمار والإرباك بين سفن المسلمين بفعل المقاومة الرومية البرية – البحرية العنيفة وتيارات البسفور القوية لذا انسحبت ناجياً القليل منها[4]، وكانت هذه المحاولة الهجومية آخر سهم في جعبة مسلمة استعمله لاستعادة المبادرة من الروم ولكن لم يكتب لمحاولته النجاح[5].

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص154–155، ج22، ص ص442–443.

(2) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج38، ص ص154–155؛ ج2، ص442–443، ابن العديم، بغية الطلب، ج10، ص ص4602، 4619، ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص191.

(3) محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص379.

(4) محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص379؛ محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص145–146.

(5) محمود شيت خطاب، مسلمة بن عبد الملك، ص146.

وفي ضوء هذا الحال قدّر مسلمة بن عبد الملك انه فقد ركناً أساسيا من قوته بضعف قواته البحرية وعجزها عن أداء واجبها المنوط بها في إطباق الحصار على القسطنطينية بحراً وشن الهجوم على المدينة كلما واتت الفرصة وفي توفير الدعم والإسناد للقوات البرية العربية المرابطة براً عند أسوار العاصمة البيزنطية، لذلك عول على تشديد الحصار البري ولم يعتزم الانسحاب حتى أخذت تتمزق سراياه التي كان يجردها طلباً للأقوات ولضرب العدو في أسباب قوته واستنفذ ما لديه من مؤن ودواب[1].

إزاء كل تلك الظروف القاهرة ومنها صمود الروم ونجاحهم في الدفاع عن مدينتهم الحصينة لم يكن أمام مسلمة من خيار الا الانسحاب، على الرغم من مكابرته وإصراره على عدم التخلي عن هدفه الأسمى، لاسيما بعد وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك في صفرسنة 99هـ/718م، الذي اقسم ان يبقى مرابطاً في دابق حتى يفتح جنده القسطنطينية[2] وتولي عمر بن عبد العزيز الخلافة من بعده فكان له حرصه الشديد على سلامة الجند على مختلف الجبهات ولأنه كان متابعاً لما يحدث للمقاتلة على جبهة القسطنطينية[3]، لذا وجه إليهم بالطعام والأكسية والخيل العتاق مع قوة قدرها أربعة آلاف مقاتل بقيادة عمرو بن قيس الكندي كانت مهمتها على ما يبدو الى جانب حماية وإيصال هذه المساعدات ستر وتأمين انسحاب المسلمين من حول القسطنطينية، وحث من له قريب هناك ان يبعث إليه بما يحتاج وكتب إليهم يأمرهم بترتيب أوضاعهم والانسحاب صوب قواعدهم في الشام[4]، ولم

---

(1) محمد عبد الله عنان، حصار العرب للقسطنطينية، ص379.

(2) الطبري، تاريخ، ج6، ص546؛ مجهول، العيون والحدائق، ج3، ص33.

(3) ابن عبد الحكم، أبي عبد الله بن عبد الحكم (ت214هـ)، سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها وصححها، احمد عبيد، ط2، مكتبة وهبة 1954م، ص ص121، 132.

(4) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص132؛ خليفة بن خياط، تاريخ، ج1، ص432، الطبري، تاريخ، ج6، ص553، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج46، ص319-320، عماد الدين خليل، ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ط2، الدار القومية للطباعة، (بيروت 1971م)، ص ص87-90.

يكن هذا الموقف من الخليفة عمر بن عبد العزيز ناجما" عن عدم رغبته في مواصلة الفتوح ومجاهدة الروم[1]، بل هو قرار صائب وحصيف مبنى على استقراء متأن لما بلغه وضع المسلمين العسكري جرّاء الحصار وسوء الأحوال.

والجدير بالذكر ان المصادر التاريخية الإسلامية لم تشر الى مصير الأسطول الإسلامي الذي كان له دور مشهود في معركة الحصار، لا من قريب ولا من بعيد، بل إن بعض الدراسات التاريخية الحديثة إشارات الى ان هذا الأسطول قد دمر بصورة شبه نهائية في آخر معركة له عند أسوار القسطنطينية وبفعل النار اليونانية والتيارات البحرية لم يعد منه الا خمس سفن الى القواعد البحرية الإسلامية في الشام اعتماداً على رواية المؤرخ البيزنطي ثيوفانتس[2]، ولا ترقى هذه الرواية الى أي مستوى من الصحة، إنما هي رواية استهدفت تعظيم وتمجيد الانتصار البيزنطي غير المتوقع على المسلمين وإظهار ليو الايسوري بمظهر القائد المنقذ للعالم البيزنطي والمسيحي عموماً من سيادة العرب المسلمين، فلا يعقل ان يكون أسطول كبير العدد قوي التسليح كالأسطول الإسلامي ومهما كانت قوة السفن البيزنطية والظروف المناخية القاسية ان ينجو منه خمس سفن لا غير وهو الذي قهر البحرية البيزنطية وافقدها هيمنتها في البحر المتوسط.

ولم تشر المصادر البيزنطية ولا الإسلامية الى قيام الروم بتعقب القوات العربية الإسلامية المنسحبة من حصار القسطنطينية، وفي هذا إشارة صريحة الى حالة الإعياء والإنهاك التي وصلت إليها القوات الرومية الى الحد الذي جعلها تكتفي بانسحاب المسلمين وابتعاد خطرهم المطبق على العاصمة البيزنطية.

---

(1) ولهاوزن، يوليوس ولهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، (دمشق 1376هـ/1956م)، ص218.

(2) فيليب حتي، تاريخ سوريه، ج2، ص51؛ اومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص147، فتحي عثمان، الحدود الإسلامية، ج2، ص92، أسد رستم، الروم في سياستهم، ج1، ص274.

على الرغم من ان العرب المسلمين لم ينجحوا في فتح القسطنطينية كنتيجة آنية لاتباع هذا الأسلوب من أساليب المجابهة الحربية، فأنهم قد حققوا عدداً من النتائج على المدى البعيد، ذلك أنهم اصبحوا هم أصحاب المبادأة وانتقلوا انتقالاً كبيراً من حالتي الدفاع والاستتار بالتحصينات الدفاعية والتصدي للهجمات البيزنطية الى مرحلة الدفاع السيّار والفعّال أي الى مرحلة الحرب التعرضية، وابلغوا الروم بذلك ان عاصمتهم التي كانت قوية وعصيّة بدفاعاتها البرية والبحرية الطبيعية والمستحدثة لم تعد بعيدة المنال عن العرب المسلمين وان لهم القدرة على معاودة مهاجمتها كلما اقتضت ضرورات المجابهة الحربية وتهيأت الأسباب، وبهذا الأسلوب نقل العرب المسلمون ميدان الحرب الفعلية الى قلب بلاد الروم حتى جعلوهم في موقف دفاعي حرج بعد ان كانوا من قبل هم أصحاب القرار في ذلك والمسلمين محض مدافعين، أنهى العرب المسلمون بذلك أية بارقة أمل للروم في معاودة احتلال ما حرره من ارض غنية خضعت لاحتلالهم ردحاً من الزمن، وابلغوا الروم وسواهم من الأعداء بأنهم أمة محاربة لا يثنيها عن أهدافها طول المسافات ولا صعوبات الأرض والمناخ، باعثهم الأساسي في ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى والعزم على القضاء على مكامن الخطر الذي يحيق بدولتهم ومنه الخطر البيزنطي المتجسد بالقسطنطينية رمز صمود دولة الروم.

أن اندفاع المقاتلة المسلمين بأعداد وعدة كبيرة، وفي بيئات وتضاريس متنوعة لمسافات بعيدة في بلاد الروم يحمل مؤشرات على تطور قدرات المسلمين العسكرية في العصر الأموي الى الحد الذي مكنهم من جعل الإمبراطورية البيزنطية وهي اعتى وأقوى الكيانات السياسية في العالم آنذاك بموقف المدافع الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة أمام ضرباتهم الموفقة.

الفصل السابع

أساليب المجابهة السياسية والفكرية والاقتصادية

أساليب المجابهة السياسية:

لم تقتصر المجابهة مع الروم البيزنطيين على القتال ومباشرة الفعاليات العسكرية، بل تنوعت وتعددت الأساليب والوسائل من حين لآخر، تبعا لظروف ومستجدات الحرب معهم، كشأن أية حرب طويلة الأجل بين خصمين قويين، فإذا ما نبا الحسام أو كبا الجواد لعارض ما يوما من الأيام، كان أهل الحل والعقد من الخلفاء ومن يشاطرهم الرأي والمشورة في الدولة العربية الإسلامية يعمدون الى اتباع ما أمكن اتباعه من الأساليب المكافئة لأساليب عدوهم التي من شأنها ان تعكس قوة المسلمين ومقدار توثبهم، وإضفاء الهيبة على الدولة العربية الإسلامية في أعين أعدائها، لاسيما الروم البيزنطيين كنوع من المجابهة السياسية المتجسدة بالاستخدام الذكي للحرب النفسية الموجهة والمقصودة، كما يُفهم هذا من شتات الإشارات التاريخية المبثوثة في ثنايا المصادر، التي تعكس ذلك بوضوح.

ففي هذا الشأن – على سبيل المثال – أجمعت المصادر التاريخية على نقل رواية مهمة من تلك الروايات يمكن تحليل محتواها على انه ضرب من ((دعاية الميدان[1])) التي تعد اهم أشكال ((الحرب النفسية التكتيكية[2])) المعروفة في العصر الحديث، الي لجأ المسلمون الى اتباعها في حربهم مع الروم، لأن من شأنها إضفاء القوة والمنعة عليهم في نفوس أعدائهـم الروم، فقد روي ان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لما دخل الشام سنة 17هـ/ 638 م رأى الوالي معاوية ابن ابي سفيان يروح ويغدو في موكب بهي على غير عادة المسلمين آنذاك، فلما عتب عليه الخليفة واستنكر فعله هذا، أجاب معاوية ((يا أمير المؤمنين انا بأرضٍ عدونا قريبٌ منها وله علينا عيون ذاكية فأردت أن يروا للإسلام عزاً[3])) وفي رواية ثانية ((لأنا

---

(1) عن هذه المفاهيم ينظر: أ. د حميدة سميسم، الحرب النفسية، (بغداد 2000 م)، ص ص 70 – 73

(2) المرجع نفسه، ص ص70 – 73.

(3) البلاذري، انساب، ج4 ق1، ص125؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص 331، مسكويه، تجارب الامم، ج2، ص ص32 – 33.

في بلاد لا يمتنع فيها من جواسيس العدو فلا بد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان[1]))، مما كان لذلك أثره البين في نفس الخليفة عمر ﷺ الذي رد على واليه معاوية بالقول: ((ان هذا لكيد لبيب أو خدعة أريب[2])).

ولما كانت الرسل تختلف بين الطرفين لأغراض شتى في العصرين الراشدي والأموي على حدٍ سواء[3]، فإن حبس الرسل وتأخير قفولهم الى ديارهم من قبل القادة المسلمين لعدة أيام عن قصد، لكيما يُروا مقدار قوة المسلمين المادية والمعنوية وطبيعة تعاملهم فيما بينهم ومع قياداتهم، ولأجل أن ينقل هؤلاء الرسل إلى قيادتهم صورة حية عن ذلك من شأنها أن تحدث نتائج عكسية على قرارات العدو السياسية والعسكرية وعلى مجريات الحرب عموماً لصالح المسلمين، كان هذا هو الآخر من أساليب الحرب النفسية ((دعاية الميدان)) التي اتبعها العرب المسلمون مع الروم، كما حصل ذلك مع القائد عمرو بن العاص أثناء جهاده لتحرير مصر من هيمنتهم، إذ حبس بقصد الحيلة رسل المقوقس – حاكم مصر – لعدة أيام حتى أثار مخاوف الأخير عليهم، فلما عادوا اليه استفسر منهم عن حال المسلمين ومقدار قوتهم، فأجابوه إجابة شافية ووافية – حققت مقصد القائد عمرو بن العاص – كان لها ابعد الأثر في قبوله الاستسلام وعقد الصلح مع المسلمين[4].

وفي العصر الأموي كما هو نهجهم من قبل لم يدع العرب المسلمون حيلة او مكيدة سياسية ذات انعكاسات سلبية على نفسية العدو وروحه المعنوية وقدرته على المطاولة، الا واستخدموها في الحرب مع الروم البيزنطيين، حتى في مجال البناء والعمارة التي قد تبدو للقارئ غير المتمعن بعيدة كل البعد عن مجريات الحرب،

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص365.

(2) البلاذري، انساب، ج4 ق1، ص125؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص 331؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص ص32 – 33؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص365.

(3) ينظر: سعيد بن منصور، السنن، ج2، ص ص222 – 223؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص ص70 – 71؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج5، ص2418؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص62.

(4) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص97.

لكنها في الواقع تجسيد فعلي لمقدار التقدم الاقتصادي والاستقرار السياسي الذي بلغته الدولة العربية الإسلامية في ظل الخلافة الأموية، فقد روي ان الخليفة عمر ابن عبد العزيز لما ولي الخلافة (99 – 101 هـ/717 – 719م) ولما عُرف عنه من زهد وتقشف رأى أن ينزع ما وضعه أسلافه الخلفاء من زينة وفسيفساء ورخام وسلاسل مذهبه في المسجد الجامع بدمشق ويضع أثمانها في بيت مال المسلمين لينتفعوا بها في شؤون حياتهم الأخرى، وبينما هو في جدل محتدم مع الشاميين الذين اعترضوا على هذا الامر، نما إليه ان وفداً من الروم اقبلوا لزيارة الشام وقد طلبوا الأذن بزيارة المسجد الجامع في دمشق، فأُذن لهم، فمروا وتجولوا في أروقة المسجد واطلعوا على عظمة البناء الإسلامي، حتى قيل أن رئيس الوفد خر مغشياً عليه منبهراً بما رأى وبما بلغه العرب من عزة وقوة ومنعة، فلما أفاق سأله أصحابه عما أصابه ما غشيه فقال:

((.. إنا معشر أهل رومية كنا نتحدث ان بقاء العرب قليل، فلما رأيت ما بنوا علمت ان لهم مدة سيبلغونها فلذلك أصابني ما أصابني[1]))، وفي الحال أُبلغ الخليفة عمر بهذه الحادثة، فعدل عما عزم عليه وقال: ((أرى مسجدكم هذا غيظاً على الكفار، فترك ما هم به[2])). بعد ان أدرك الأبعاد السياسية والإعلامية لأقامة مثل هذه العمائر على نفسية العدو وموقفه من العرب المسلمين، والتي كانت بحد ذاتها إخباراً له بمقدار ما بلغوه من شان وعلى مختلف الأصعدة الى الحد الذي جعل لهم القدرة على مقارعتهم بكل الوسائل والأساليب المتيسرة لديهم[3].

---

[1] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، (ليدن 1302 هـ)، ص 108؛ ابن العديم، بغيــة الطلب، ج7، ص ص3069 – 3070، عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص ص210 – 211.

[2] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 108؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج7، ص ص3069 – 3070، عبد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج1، ص ص210 – 211.

[3] يبدو ان هذه السياسة قد عمل بها الخليفة معاوية من قبل كما يفهم من رواية بهذا الشأن اوردها البلاذري. ينظر: البلاذري، انساب، ج4 ق1، ص125.

وعوداً على خلافة معاوية بن ابي سفيان (41-60هـ/661-680م) المعروف بدهائه، فلابد من الإشارة الى انه قد أشجى عدوه في هذا الضرب من ضروب المجابهة السياسية والحرب النفسية الى الحد الذي اقض مضاجعه وانشب الذعر بين صفوفه، فمن بين الروايات التاريخية التي تنقل عنه في هذا السياق وتشهد له بذلك، رواية تؤكد انه برع في اتباع اسلوب آخر من اساليب ((الحرب النفسية التكتيكية)) المتبعة في الوقت الحاضر، الا وهو ((إرهاب العدو)) عملاً بقول الله تعالى: ((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوفَّ إليكم وانتم لاتظلمون[1]))، وذلك بتوجيه الحرب ليس فقط ضد الجند الرومي ومن يمدهم بالعون من سكان المدن الرومية في ميدان القتال، بل نحو قيادات البيزنطيين ورؤسهم المدبرة من الأمراء والبطارقة في قلب إمبراطوريتهم، لاسيما من كانوا يؤذون المسلمين النافذين الى قلب بلاد الروم مثل التجار او الرسل او الأسرى، وذلك بتصفيتهم جسدياً او من خلال التأثير في مدركاتهم السياسية والعسكرية ودفعهم الى اتخاذ قرارات خاطئة من شأنها ان تسبب لهم الهلاك وتحد من اخطارهم الموجهة باستمرار ضد المسلمين، فقد روي أن الخليفة معاوية كان إذا نمي إليه ان بطريقاً من بطارقة الروم كاد للإسلام كيداً، احتال له فأهدى إليه الهدايا وكاتبه الى الحد الذي يغري به ملك الروم فيقتله بتهمة الخيانة ((فكانت رسله (أي معاوية) تأتيه فتخبره بأن هناك بطريقاً يؤذي الرسل ويطعن عليهم ويسيء عشرتهم فقال معاوية: أي ما في عمل الإسلام احب إليه؟ فقيل له: الخفاف الحمر ودهن اللبان، فألطفه بهما حتى عرفت رسله باعتياده ثم كتب كتاباً إليه كأنه جواب كتابه منه يعلمه فيه انه وثق بما وعده به من نصره وخذلان ملك الروم، وأمر الرسول بأن يتعرض لأن يُظهَرَ على الكتاب. فلما ذهبت رسله في أوقاتها ثم رجعت إليه

---

[1] سورة الانفال آية 60.

قال: ما حدث هناك؟ قالوا: فلان البطريق رأيناه مقتولاً مصلوباً. فقال (أي معاوية): وأنا أبو عبد الرحمن[1])).

فضلا عن نجاح الخليفة معاوية في تصفية بعض القيادات الرومية من خلال بث الفرقة وعدم الثقة فيما بينهم وجعلها تقتل نفسها بنفسها – إن صح التعبير –، فقد نجح مرة أخرى في بث الذعر والهلع بين ظهرانيهم، وذلك بإبلاغهم بالفعل قبل القول أن أي شبر من أرضهم أو أي علج منهم ليس ببعيد المنال ولا بمنأى أو منجى من كيد المسلمين، تؤكد ذلك رواية تاريخية نقلتها المصادر مفادها أن رجلا من قريش أسر فحمل الى القسطنطينية، فكلمه ملك الروم، فأجابه القرشي أجابة لم ترق له، فقام إليه بطريق من البطارقة فوكزه، فاستغاث القرشي الخليفة معاوية الذي بلغته غاثته إياه عن طريق عيونه وجواسيسه، فأحتال في فداء هذا الرجل[2]، فلما وصل إليه استفسر منه الخليفة عما حصل وعن صفة ذلك البطريق، فأستنفر الخليفة أحد قادة البحر في الشام، الذي احتال بدوره بهيئة تاجر يتردد سراً الى بلد الروم، حتى تمكن من إلقاء القبض على ذلك البطريق و أحضره بين يدي الخليفة معاوية الذي استدعى ذلك القرشي فأقتص لنفسه منه، و أمر الخليفة معاوية بإعادة ذلك البطريق ((فلما وصل الى ملكه ووصف لهما صنع به معاوية قال: هذا ملك كبير الحيلة، فعظم معاوية في أعينهم وفي نفوسهم فوق ما كان[3])).

---

(1) المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1999 م)، ج2، ص ص138 – 139.

(2) لمزيد من الشواهد التاريخية على اهتمام الخلفاء الأمويين بشؤون الأسرى المسلمين في القسطنطينية، ينظر: مثلا مراسلات الخليفة عمر بن عبد العزيز إليهم في: ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص ص143 – 144، سعيد بن منصور، السنن، ج2، ص ص241 – 242، البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ)، شعب الأيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1410هـ/ 1989 م)، ج4، ص37.

(3) ينظر: النويري، نهاية الأرب، ج6، ص ص185 – 187؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصدره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا، (ألمانيا الاتحادية 1989م)، ج24، ص ص225 – 227.

وكما هو معلوم فقد دأب الروم البيزنطيون على الإفادة من حالات الصراع والأزمات السياسية التي تتعرض لها الدولة العربية الإسلامية أحيانا، لأجل الانقضاض عليها وتوجيه الضربات القوية إليها، تعبيراً عن تحديهم المتواصل للمسلمين ومناصبتهم إياهم العداء، فما كان من قادة السياسة والحرب المسلمين إلا أن عمدوا إلى اتباع الأساليب السلمية السياسية لدفع غوائلهم بالإقناع والمهادنة مقايضة بالمال والهدايا، في الوقت الذي يتعذر فيه تجريد السلاح لردعهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية انه خلال ظروف الخلاف ما بين معاوية بن أبي سفيان والخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) تحرك ملك الروم ((في جموع كثيرة وخلق عظيم[1])) لمهاجمة دار الإسلام بعد أن ألب المردة والجراجمة[2] في جبال لبنان وهيجهم ضد المسلمين – حسب رواية المؤرخ البيزنطي ثيوفانتس[3] – مستغلاً ما صار إليه حال المسلمين من فرقة حينذاك، حتى أقلق بفعله هذا الوالي معاوية الذي استشار عمرو بن العاص في كيفية مواجهة مثل هذا الخطب، فأشار عليه الأخير باسترضاء ملك الروم ومهادنته بالمال والهدايا[4] حتى تستتب الأمور ويستأنف بعد ذلك الجهاد ضدهم مرة أخرى، وبالفعل وجه إليه الوالي معاوية فصالحه على مبلغ من المال قدّره اليعقوبي[5] في رواية غلب عليها طابع المبالغة بمائة ألف دينار في حين جعله ثيوفانتس[6] ثلاثة آلاف دينار وثمانمائة

---

(1) اليعقوبي، تاريخ، ةج2، ص217

(2) الجراجمة في الأصل قوم أعاجم من جوار مرعش المعروفة قديماً بـ(جرمانيقية) ثم انتقلوا إلى شمالي الشام واتخذوا مدينة الجرجومة عاصمة لهم، ولذلك عرفوا بالجرامقة نسبة إلى جرمانيقية، وبالجراجمة نسبة الى الجرجومة. ينظر: عمر بن عبد السلام تدمري، الجراجمة والأنباط والمردة في عصر الأمويين، مجلة الفكر الإسلامي، العدد 10، السنة السادسة، أيلول 1977م، ص45؛ انستاس الكرملي، المردة او الجراجمة، مجلة المشرق، السنة السادسة 1903م، ص ص301–303 .

(3) ينظر: إحسان عباس، العرب والمردة في تاريخ قسطنطين المولود في الأرجوان، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، العدد الثالث، كنون الثاني 1979م، ص ص6 وما بعدها .

(4) البلاذري، انساب، ج1 ق4، ص47؛ الطبري، تاريخ، ج5، ص ص333–334 .

(5) تاريخ اليعقوبي، ج2، ص217 .

(6) ينظر: إحسان عباس، العرب والمردة، ص6 .

من الأسرى وخمسون فرسا عتيقا، وهو ما احسبه اقرب إلى الصواب، وكان الوالي والخليفة – فيما بعد – معاوية بفعله هذا قد غلّب العقل والحكمة والتروي على منطق القوة والحرب والعجلة، فافتدى سلامة المسلمين بالمال والألطاف، لما رأى أن لاسبيل له ولجنده لخوض غمار حرب قد تكون غير مأمونة العواقب على المسلمين، لاسيما وانه كان عليه مجابهة اكثر من خصم منتقض داخل الدولة العربية الإسلامية، فضلا عن أعداء الإسلام الخارجين وقد أشار البلاذري[1] من جانبه إلى أن الخليفة معاوية لزم الحلم والصبر حيال موقف البيزنطيين الذين غدروا برهائن المسلمين الذين ارتهنوهم وقال ((وفاء بغدر خير من غدر بغدر[2])) رافضا قتل رهائنهم الذين عنده ومستفتحا عليهم بهذا الفعل، حتى امتلك أسباب القوة الكافية وتوفرت الظروف الملائمة له لاستئناف الجهاد ضد الروم ((فلما استقام الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشام على الصوائف فسبوا في بلاد الشام سنة بعد سنة... وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه[3])).

وهكذا كان الخليفة معاوية قدوة وأسوة للخليفة عبد الملك بن مروان الذي اعمل هو الآخر الحكمة والسياسة مكان العجلة والمجازفة بالمسلمين، لما لم يتسنَّ له مقارعة الروم البيزنطيين بالسلاح، حين استغلوا مجدداً الصراع السياسي الذي شهدته السنوات من خلافته (65-86هـ/685-705م)، فقد حدث أن توفي الإمبراطور البيزنطي قسطنطين وتولي العرش ابنه جستيان الثاني سنة 65هـ/685م الذي كان صغير السن فدفعه طيشه في سنة 69هـ/689م أن يستجيش قواته لقتال العرب المسلمين، واتصل بالجراجمة والمردة مجدداً فاخذ يستثيرهم ويحرضهم على حرب العرب المسلمين والإفادة مما يعصف بهم من ظروف سياسية غير مستقرة، ثم أرسل الكتب إلى الخليفة عبد الملك مهدداً إياه، فلما

---

(1) فتوح البلدان، ص ص159-160. ينظر أيضا: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج62، ص ص220-221 .

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص159-160 .

(3) ذكر اليعقوبي أن عقد الصلح تم سنة 42هـ. ينظر: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص217.

جاءه جواب الخليفة عبد الملك بما لا تهوى نفسه عمد إلى إخراج الخيل إلى جبل اللكام بقيادة (لاوي بن فلنط) – كما يسميه المسعودي[1]– حتى وصلت لبنان، وانضوى إليها جماعة من الجراجمة والأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين[2]، ومن جهة أخرى حرك ملك الروم أسطولا بحرياً بقيادة بطريق آخر يدعى (فلقط) قاصداً ساحل الشام، فأرسى عند وجه الحجر[3] جنوبي طرابلس، ونزل الجيش إلى الساحل ثم علا جبل لبنان، وانبث قادته إلى أقصى الجبل حتى اتصلوا بخيل الروم عند إنطاكية وغيرها من الجبل الأسود، فاعظم المسلمون ذلك حتى انهم اصبحوا لا يستطيعون التجول في الجبال وغيرها من تلك النواحي إلا بالسلاح، ثم استفحل أمرهم فغلبوا على جبال لبنان وسنير[4] وجبل الثلج وجبال جولان، وأقاموا المسالح وقطعوا السبل، ووصل الأمر بهم انهم كانوا ينادون الخليفة عبد الملك من جبل ((دير مرّان)) في الليل[5]، وفي هذه الأثناء وصلت بعض السفن البيزنطية إلى قيسارية فلسطين فشعثوها وهدموا مسجدها وخربوا مدينة عسقلان واخرجوا أهلها منها[6].

ويبدو أن الأحداث قد تشابكت والمصائب قد أنثالت على الخليفة عبد الملك في هذه الأثناء، إذ صادف انه كان خارج العاصمة دمشق، وقد ترك عليها عبد الرحمن ابن أم الحكم، فبعث إليه يخبره بخروج الروم ووصولهم إلى المصيصة يريدون الشام، واتاه مسير مصعب بن الزبير من المدينة إلى فلسطين – وقد كان آل الزبير ينازعونه على الخلافة – ثم جاءه أن من في السجن بدمشق فتحوا السجن

---

(1) مروج الذهب، ج3، ص ص105–106 .

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص160 .

(3) وجه الحجر: عقبة قرب جبيل على ساحل بحر الشام. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج8، ص447 .

(4) سنير: جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص83

(5) بضم الميم وتشديد الراء بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران. المصدر نفسه، ج4، ص361 .

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج20، ص144–145، ج34، ص ص402–404؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص ص232–233، ج9، ص ص4187–4190 .

وخرجوا منه، وان خيل الأعراب أغارت على حمص وبعلبك وغير ذلك من الأخبار الخطيرة التي بلغته في تلك الليلة، إلاّ انه إزاء ذلك كله اظهر من الصبر والتجلد والكياسة ما ينم عما تمتع به هذا الخليفة من حصافة وحنكة سياسية أثارت إعجاب بعض المؤرخين كالمسعودى الذي قال إن الخليفة عبد المـلك لم ير ((في ليلة قبلها اشد ضحكاً ولا احسن وجهاً ولا ابسط لساناً ولا اثبت جناناً منه تلك الليلة تجلداً وسياسة للملوك وترك إظهار الفشل[1]))، وكانت السنوات الأولى من خلافته قد شهدت بعض الاضطرابات والفتن ومن ذلك استيلاء مصعب بن الزبير على العراق وسيطرة أخيه عبد الله على الحجاز، وتمرد عمرو بن سعيد بن العاص بدمشق[2]، فاقبـل الخليفـة عبد الملك مغذاً في سيره حتى دخل دمشق ورأى أن يسالم البيزنطيين في ذلك الوقت، حتى يتفرغ للقضاء على خصومه الأقوياء في الداخل على أن يعود لمجابهة البيزنطيين في الوقت المناسب.

وأمام هذا الواقع الخطير، اظهر الخليفة عبد الملك حنكة ودهاء قل نظيرهما حيث تعامل مع الإمبراطور البيزنطي بروية وحكمة متأسيا بسلفه الخليفة معاوية في ذلك، فكتب إليه كتاباً فاتحه بإبرام الصلح ووجه إليه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وكريب بن ابرهة بن الصباح الحميري بكتاب الصلح ومعهما الهدايا والألطاف كما فعل سلفه معاوية من قبل[3]، فكان جوابه بالإيجاب على أن تكون مدة الصلح عشر سنين حسب رواية المنبجي[4]، وتحقق بذلك ظن الخليفة عبد الملك بضعف بصيرة عدوه، ففاتحه بخذل الروم الذين في جبل لبنان ومن معهم ليقوم بسحبهم، على أن يتقاسم الاثنان خراج قبرص وأرمينية فيما بينهما بالتساوي ويدفع

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص ص105-106 .

(2) عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية 65-86 هـ/684-705م دراسة سياسية، ط1، دار النهضة العربية، (بيروت 1973م)، ص ص33-34، 1999- 217 .

(3) البلاذري، انساب، ج5، ص299 .

(4) المنتخب، ص78 .

لملك الروم كل يوم ألف دينار وفرساً عتيقاً حسب رواية ثيوفانتس[1] وضماناً لذلك، قدم ملك الروم رهائن من أبناء الروم، فأخذهم الخليفة عبد الملك وصيرهم في بعلبك، كما فعل مثل ذلك الخليفة معاوية من قبل[2]، ومن جهة أخرى واستكمالاً لخطته السياسية الذكية هذه وادع أيضا قائد الروم والجراجمة الذين في جبل لبنان ((لاوي بن فلنط)) إذ بذل له في كل جمعة ألف دينار على أن لا يفسد أصحابه في البلاد ويكفوا عن المسلمين بأسهم[3]، وقد رجحت بعض الدراسات الحديثة أن يكون هذا الصلح قد جرى في المـــدة 65-66هـ/ 684-685 م لما رافقها من اضطراب سياسي وعدم الاستقرار[4].

وفي الوقت نفسه فقد أوصى الخليفة عبد الملك عامله على طرابلس سحيم بن المهاجر أن يدبر مكيدة لقائد الروم والجراجمة ((لاوي بن فلنط)) يمنعه بها من الإفساد، وابلغه أيضا بتدبر أمر القائد (فلقط)، فلبث سحيم هذا يتحين الفرصة للانقضاض على قائد الروم، وراح يتسقط أخباره، وبث عيونه بين الروم من أصحابه في إحدى النواحي، فاعمل سحيم الحيلة وتهيأ بهيئة الروم، وتزيا بزيهم وحمل سلاحهم وجعل شعره كشعرهم وتقلد بالصليب، وتشبه ببطريق من بطارقتهم، ثم قام ببث إشاعة في أماكن تواجد الروم ومن معهم بواسطة أعوانه فحواها انه قادم من قبل الإمبراطور إلى جبل اللكام فغلب على ما هنالك في جماعته، وانتخب سحيم عشرين رجلاً من ثقاة جنده وكماتهم لمرافقته، وجهز جيشاً من موالي عبد الملك وبني أمية، وخرج معهم من طرابلس ليلاً، فأمر الجيش أن يمسك السبل على الروم، وتوجه بجنوده حتى أمسى على مقربة من القرية التي فيها بطريق الروم

---

(1) ينظر: عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية، ص ص200-201؛ كذلك المنبجي، ص87، إحسان عباس، العرب والمردة، ص6 وما بعدها .

(2) البلاذري، انساب، ج5، ص299؛ فتوح البلدان، ص ص159-160 .

(3) الطبري، تاريخ، ج6، ص150؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص304، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص185 .

(4) عبد الأمير عبد حسين دكسن، الخلافة الأموية، ص201 .

((فلقط)) فأكمن العشرين جنديا عندها في مكان خفي، وسار بمفرده فدخل على البطريق وأصحابه وهم في كنيسة وقد جلسوا إلى الطعام، وقبل أن يجلس إليهم قصد مذبح الكنيسة، فصنع ما يصنعه النصارى من التثليث، ثم جلس إلى البطريق الذي راح يسأله عن مهمته وسبب قدومه، فاخبره انه أحد بطارقة الضواحي، وذكر بطريقاً يشبهه واظهر ممالأته، وتقرب إليهم بذم عبد الملك وشتمه[1] ووعده أن يساعده عليه وان يبذل له ما هو خير من الصلح الذي بينه وبين عبد الملك وراح يخوفه من غارة قد يشنها عليه ((سحيم)) في وقت قريب وقال: ((أنى إنما جئت لما بلغني من جهاز سحيم وما اجتمع به من الخروج إليك لاخبرك به وأكفيك أمره إن أتاك[2])) فوثق به البطريق وانس إليه وقدم له الطعام، ولكن سحيماً مضى في خطته فلفت نظره واصحابه إلى انهم لم يأتوا إلى هنا من اجل الطعام والشراب وانما لقتال العرب، ثم طلب من البطريق أن ينتدب عشرة من أصحابه الأشداء ليقوم معهم بحراسته ليلا خوفا من غارة مفاجئة يقوم بها عامل طرابلس في ليلته هذه، فانتدب له ما أراد وخرج بهم سحيم إلى أقصى القرية و أقامهم على طريق اظهر لهم انه يتخوف منها، وجعل الحراسة بالتناوب فيما بينهم، فلما جاء دوره وتأكد من نومهم جميعا استل سيفه وقتلهم، ثم دخل الكنيسة فقتل البطريق ((فلقط)) وقضى على من معه، وخرج بعد ذلك إلى أصحابه فأتى بهم فوضعوا سيوفهم في من بقي من الروم والجراجمة وغيرهم، وامر فنودي أن من أتاه من العبيد الذين انحازوا إلى الروم فهو حر، ويثبت في الديوان، فانفض إليه خلق كثير منهم فكانوا ممن قاتل معه، ونزل البلاء بالروم وقتل منهم يومئذ بشر كثير، وفر قسم منهم عبر الجبال حتى أتوا سفنهم عند وجه الحجر فركبوها وأبحروا هاربين الى بلادهم وامر أن ينادى بالأمان فيما بقي من الجراجمة والأنباط والمردة، فتفرقوا في قرى حمص

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص304. أحداث سنة 69هـ.

[2] ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص ص44-145؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج9، ص ص4187-4189. ينظر أيضا: البلاذري، انساب، ج5، ص ص299-300، فتوح البلدان، ص160-161، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص304، عمر عبد السلام تدمري، الجراجمة، ص46-49.

ودمشق ورجع أكثرهم إلى مدينتهم الجرجومة، واتى الأنباط إلى قراهم، ووفى بوعده للعبيد ومن ضوى إليه فحررهم وثبتهم في الديوان، ولم يخرج بعد ذلك في البحر إلى ساحل الشام في عهد عبد الملك ابن مروان[1].

وفي تعليق للمؤرخ البيزنطي ثيوفانتس[2] على الاتفاق الذي حصل بين الخليفة عبد الملك بن مروان وملك الروم بشان إبعاد الجراجمة والمردة الذين قدر عددهم باثني عشر ألفا ومن معهم من الروم، ألقى باللائمة على ملك الروم ورأى انه قد شل قوة الروم، وان باستردادهم أصاب بلاد الروم وما يزال – إلى وقته – يصيبها أضرار بالغة على يد العرب المسلمين وذكر أن ملك الروم ذهب في السنة نفسها إلى أرمينية واسكن فيها مردة لبنان وبذلك حطم سوره النحاسي الذي يحمي حدود مملكته.

أساليب المجابهة الفكرية:

من القراءة المتأنية للشذرات التاريخية المتفرقة في طيات المصادر يبدو ان المجابهة بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين قد تعددت أساليبها ووسائلها، لاسيما وان الحرب كانت سجالاً وطويلةً بين الطرفين، إذ لم تقتصر على الأساليب آنفة الذكر، بل تحدى الروم المسلمين حتى في معتقداتهم ومدركاتهم الفكرية بإرسال البعثات والسفارات الى دار الإسلام التي تحمل خطابات ورسائل متعددة المقاصد والغايات، قد تبدو لأول وهلة وكأنها مؤشرات على وجود علاقات سلمية طيبة وصلات ثقافية حسنة بين الخصمين بين الحين والآخر، إلا ان القراءة المتمعنة لمتون تلك الرسائل – وكما أوردتها المصادر التاريخية المتيسرة – والتبصر في أسلوب صياغتها ولغتها الاستفزازية، تكشف مقدار تحديات التي أضمرها او أظهرها الروم للعرب المسلمين على الصعيد الفكري والعقائدي، التي أوجبت عليهم الرد عليها بالمثل رداً حازماً وشافياً انتصاراً لعقيدتهم الإسلامية وكبتاً لعدوهم.

---

[1] ينظر: فليب حتي، تاريخ سورية، ج2، ص ص52-53؛ تاريخ العرب مطول، ج2، ص268؛ إحسان عباس، العرب والمردة، ص6 وما بعدها .

[2] المصدر نفسه.

لقد تحدى الروم المسلمين فكرياً منذ العصر الراشدي وفي اكثر من مناسبة او خطاب متبادل بين الطرفين [1]، وتكرر هذا الامر لأكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة في العصر الأموي، إذ أوردت المصادر التاريخية والأدبية إشارات من هذا القبيل دالة على ذلك فقد ذكر أن ملك الروم واظنه قسطنطين الرابع كتب الى الخليفة معاوية نبن أبى سفيان يستفسر عن بعض المسائل العقائدية بأسلوب استفزازي ينم عن تحد واضح للعقل الإسلامي بقصد إظهاره بمظهر العاجز أمام تساؤلاتهم التي تعكس في الوقت ذاته قناعة وأدراك تام من قبلهم بصحة الرسالة الإسلامية بوصفها خاتمة الرسالات السماوية وان مسألة ذكرها في الإنجيل حقيقة لا تخفى مهما حاولوا إنكار ذلك، فقد سأل ملك الروم متحدياً الخليفة معاوية بقوله: ((اخبرني عما لا قبلة له، وعمن لا عشيرة له، وعمن سار به قبره وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم وعن شيء ونصف شيء ولاشيء، وابعث ألي في هذه القارورة ببزر كل شيء[2]))، فلما قرأ الخليفة معاوية هذا الكتاب انتدب عبد الله بن العباس ﷺ ليحتال في أجابته فقال عبد الله: ((أما ما لا قبلة له فالكعبة واما من لا أب له فعيسى واما من لا عشيرة له فآدم وأم من سار به قبره فيونس (نبي الله عليه السلام) واما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم: فكبش إبراهيم وناقة ثمود وحية موسى واما شيء فالرجل له عقل يعمل بعقله واما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل بعقل ذوي العقول واما لا شيء فالذي ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره، وملأ قارورة ماء وقال: هذا بزر كل شيء[3])) فنعث بهذه الإجابة الى الخليفة معاوية الذي أرسلها بدوره الى ملك، فلما وردت إليه إجابة الخليفة معاوية وهي تحمل ردا" حازما" وقول" فصلا" فيما سأل وتحدى به المسلمون، أبدى إعجابه وتعززت هيبة الإسلام وقيادته في نفسه.

---

[1] ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج4، ص ص 154 – 158، ج47، ص ص352 – 353.

[2] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص199؛ المبرد، الكامل في اللغة، ج2، ص140، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص ص 201 – 202.

[3] المصدر نفسه.

وتكرر هذا النمط من أنماط التحدي البيزنطي الذي أستدعى الرد عليه بما يناسبه في خلافة الوليد بن عبدالملك (86-96هـ/705-714م) وتحديداً في سنة 88هـ/806م، فقد ذكرت المصادر أنه لما هدم الخليفة الوليد كنيسة دمشق لحاجته الى توسيع المسجد الجامع في دمشق كتب إليه ملك الروم متحديا" إياه وآملا"أن يعدل الوليد عما هم به ((انك قد هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها فان كان حقا" فقد أخطأ أبوك وان كان باطلا" فقد خالفته [1])) وفي رواية ثانية ((....وان كان أبوك مصيبا" فقد أخطأت أنت [2]))، فاحتار الخليفة الوليد في أيجاد إجابة شافية يرد بها على هذا الكتاب، فكتب الى الأمصار مستنجداً بأهل العقل والدهاء من المسلمين، أملاً في أن يحضى بإجابة تغنيه، فأنبرى لهذا الامر الفرزدق همام بن غالب (ت 110هـ) الشاعر المعروف فقال: ((أنا أبو فراس اصلح الله الأمير قد رأيت رأياً فأن يك حقاً فخذه وان يك خطأ فدعه وهو قول الله عز وجل ((وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهما شاهدين. ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلما[3])).

قال: فكتب به الخليفة الوليد إلى ملك الروم فلم يجبه على ما كتب فأنشأ الفرزدق يقول:

فرقت بين النصارى في كنائسهم	والعابدين مع الأسحار والعتم
وهم معاً في مصلاهم واوجههم	شتى اذا سجدوا لله والصنمِ
وكيف يجتمع الناقوس يضربه	أهل الصليب مع القراء لم تنمِ
فهمت تحويلها عنهم كما فهما	إذ يحكمان لهم في الحرث والغنمِ
داود والملك المهدي إذ حكما	أولادها واجتزاز الصوف بالجلمِ

---

[1] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص199؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج1، ص202.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص308. طبعة دار لحياء التراث العربي، (بيروت 1965-1966م).

[3] سورة الأنبياء آية 78.

فهمـــك الله تحويـــلاً لبيعتـــهم عـــن مسجدٍ فيــه يتلــى طيــب الكلــمِ

والله مـــا مـــن أب في النـــاس نعلمـــه خـــير بـــنين ولا خـــير مـــن الحكـــمِ[1]

فكانت هذه الاجابة صفعةً قويةً لملك الروم الذي لم تشر المصادر الى اية ردة فعل كانت قد صدرت عنه أزاء ذلك.

أساليب المجابهة الاقتصادية:

أتسمت علاقات العرب المسلمين مع الروم البيزنطيين بسمة العداء المستحكم والمتواصل في العصرين الراشدي والأموي على حدٍ سواء، ولكن مع هذا فقد وردت في المصادر التاريخية العديد من الإشارات الدالة في مضمونها على وجود نوع من الصلات الاقتصادية (التجارية) بين الطرفين، هذه الصلات التي قد نشطت بين الحين والآخر عند عقد الهدنة بينهما أو حين تفتر المناوشات الحربية، وقد أكد ذلك هاملتون كب Gibb إذ رأى أن حالة الحرب الرسمية لم تكن تستدعي بالضرورة توقف جميع العلاقات التجارية والمجاملات السياسية، إذ إن العلاقات التجارية جعلت تبادل المجاملات ببين الدولتين أمراً ممكناً، حتى حين كانت الدولتان في حالة حرب[2]، فمنذ العصر الراشدي كان هناك نوع من العلاقات التجارية ليس على الصعيد الرسمي، بل على مستوى الأفراد، كما افادتنا بذلك المعطيات التاريخية[3]، فقـــد روي عن سعيـــد بن المسيب (ت 92هـــ) أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتجرون في بحر الشام الى بلاد الروم ومنهم طلحة بن عبيدالله وسعيد ابن زيد ﵃[4] وفي الوقـــت نفسه كان تجار الروم يفـــدون إلى دار الإسلام وهذا

---

[1] الفرزدق، همام بن غالـــب (ت 110هـــ)، ديـــوان الفرزدق، دار صـــادر دار بيـــروت، (بيروت 1960م). ص ص210 – 211؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص ص259 – 260.

[2] هاملتون كب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: د. إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، (بيروت 1964م)، ص74.

[3] أبو يوسف، الخراج، ص؛ يحيى بن آدم القرشي (ت 203هـــ)، الخراج، دار الحداثة، (بيروت 1990م)، ص402 – 403، 431.

[4] ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج 25، ص57.

ما أكدته رواية أخرى نقلها أبو يوسف (ت 182هـ) مفادها ((ان أهل منبج – قوم من أهل الحرب – وراء البحر كتبوا الى عمر بن الخطاب ﷺ: ((دعنا ندخل أرضك تجاراً وتعشرنا)) (أي تأخذ منا العشر) قال: فشاور عمر أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه به، فكانوا أول من عشر من أهل الحرب[1]، ومن هذه الرواية يظهر ان الدولة العربية الإسلامية ومنذ وقت مبكر أدركت القيمة الاقتصادية للتجارة كمورد حيوي مهم.

ويبدو أن الأمر قد استمر على ماهو عليه في العصر الأموي، ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان كان التجار المسلمون يترددون بتجارتهم الى بلاد الروم ويقصدون القسطنطينية نفسها وقد لاقت بضائعهم رواجا وإقبالا لدى الرسميين في الدولة البيزنطية[2]، وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك زعم الرواة والاخباريون ان الخليفة الوليد أرسل الى ملك الروم جستنيان الثاني حين أراد بناء وتوسيع مسجد المدينة المنورة سنة 88 هـ/706م يعلمه بما عزم عليه ويطلب منه أن يعينه في أمر البناء، فبعث إليه بكميات من الذهب والفسيفساء لهذا الغرض، وعلى الرغم من نفي هذه الرواية وسواها من قبل الدكتور صلاح الدين المنجد[3] ببحثٍ تاريخي علمي رصين قائم على جمع الروايات المتعلقة بهذه الحادثة من مختلف المصادر

---

(1) أبو يوسف، الخراج، ص. العشر مبلغ من المال كان يفرض على تجارة أهل دار الحرب إذا بلغت قيمتها نصاباً محددا وبقوا في دار الإسلام في وقت محدد أيضا وهي أشبه بالتعريفة الكمركية في الوقت الحاضر كنوع من سياسة التعامل بالمثل إزاء تجار دار الحرب: طه خضر عبيد، ضرائب التجارة في الدولة العربيـة الإسلاميـة 2 – 4 هـ/ 8 – 10م، مجلة التربية والعلم، العدد 27، لسنة 2000 م، ص ص140 – 142.

(2) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة، ج2، ص ص 138 – 139؛ النويري، نهاية الأرب، ج6، ص ص185 – 187، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص ص225 – 227.

(3) د. صلاح الدين المنجد، بين الوليد بن عبد الملك وجوستنيان الثاني، مجلة العلوم، السنة الثانية العدد الخامس، أيار 1957م، ص ص25 – 26. الجدير بالذكر ان هذه الرواية اعتمدت خطأ من قبل بعض الباحثين المحدثين على أساس انها حقيقة تاريخية مسلم بها دون الرجوع الى هذا البحث او الإفادة من أسلوب كتابته في مقارنة الروايات ودراستها من حيث المتن والسند في اقل تقدير. ينظر: شيماء سالم عبد الصاحب، التجارة الخارجية في العصر الأموي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد 2001م، ص ص67 – 68.

ومقارنتها من حيث السند والمتن مع بعضها واستقرائها حتى خلص الى انها محض زوايات مفتعلة ليس الا، على الرغم من هذا كله فأنها بأقل تقدير تحمل دلالات أخرى على ممارسة العرب المسلمين لهذا النوع من الصلات الاقتصادية مع الروم البيزنطيين، تدفع الطرفين الى ذلك – على الرغم من حالة العداء المستحكم والمتواصل بينهما – الحاجة الى بضائع وصادرات خصمه، ولا غرابة في ذلك إذا ما علمنا ان مصر – على سبيل المثال – كانت قبل تحريرها من سيطرة الروم إهراء الإمبراطورية البيزنطية الذي يزودها بالحبوب والغلال[1]، وتزودها فضلاً عن ذلك بما تنتجه من (القراطيس) لاستعماله في الأمور الكتابية، والتي استمرت معتمدة عليها فيما تحتاج اليه من القراطيس حتى ايام الخليفة عبد الملك بن مروان، ولا أدل على صحة ذلك من الحادثة التاريخية الشهيرة التي كانت السبب المباشر في تعريب السكة وما اردفها من تعريب الدواوين.

وإذا ما علمنا ان الحرب بين ندين قويين قد تتعدى أحيانا الى أسلوب آخر وهو فرض المقاطعات الاقتصادية أي توجيه الضربات المركزة والفعالة الى ركائز قوة الخصم المادية والمعنوية ومنها القدرة الاقتصادية لأجل أضعافه وتحديد قدرته على المطاولة اكثر والتأثير المباشر على كيفية صنع القرار السياسي والحربي لديه وماهية هذا القرار، أدركنا من كل هذا الأبعاد السياسية والعقائدية وراء عملية تعريب السكة في العصر الأموي من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان التي تلازمت مع موقف التحدي السياسي والعقائدي البيزنطي الصريح والمتواصل الموجه ضد المسلمين.

فإذا ما تجاوزنا الأسباب الاقتصادية والمالية والعمرانية، لندخل فيما له من علاقة مباشرة بالمجابهة مع البيزنطيين وهو حادثة القراطيس تلك الحادثة التي

---

[1] علي إبراهيم حسن، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة 1954م)، ص28؛ إبراهيم احمد العدوي، مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1976م)، ص5.

نبهت الخليفة عبدالملك بن مروان على ضرورة تفويت الفرصة المحتملة على البيزنطيين والقائمة على احتمالية فرض مقاطعة اقتصادية على المسلمين بمنع ورود (الدنانير البيزنطية) وما قد يشكله هذا الامر من خطر كبير على مستقبل الصراع الحربي والسياسي معهم، وذلك لبقاء المسلمين الى سنة 74 هـ/693م يعتمدون الدنانير الرومية الذهبية في معاملاتهم الاقتصادية اليومية، وعليه فإن احتمالية تنفيذ مثل هذه المقاطعة من قبل الروم لأجل ضرب المسلمين في واحدة من اهم أسباب قوتهم، وهو امر وارد هو الذي نبه الخليفة عبد الملك الى استكمال الاستقلال الاقتصادي الناجز الذي يعزز الاستقلال السياسي عن الإمبراطورية البيزنطية، وبالتالي يفوت فرصة توجيه ضربة الى الاقتصاد الإسلامي من قبلهم، فقد ذكر البلاذري[1] إن القراطيس كانت تصدر إلى بلاد الروم من مصر ويأتي العرب من قبل الروم الدنانير الذهبية وكانت الأقباط من أهل مصر تذكر السيد المسيح عليه السلام في رؤوس الطوامير وتنسبه الى الربوبية وتجعل الصليب في أعلاها، فعمد الخليفة عبد الملك بن مروان الى حذف مثل هذه الشارات واستبدلها بآية التوحيد ((قل هو الله أحد[2]))، وعبارة البسملة بدلاً عن شارة الصليب، وربما يكون الخليفة عبد الملك قد أدرك أهمية القراطيس بوصفها وسيلة إعلامية واسعة الانتشار يمكن الإفادة منها في حمل رسالة التوحيد الإسلامية بأوجز عبارات الى ابعد ما يمكن ونشرها أوسع انتشار في قلب الدولة البيزنطية (دارالحرب) بوصفها نوع من المجابهة الفكرية – في الوقت نفسه – والدعاية الموجهة غيضاً للعدو في عقر داره.يؤكد هذا رواية نقلها ابن العديم[3] أشارت الى ان الخليفة عبد الملك كان يكتب على رؤوس الطوامير ((لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون[4]))، فلما أبلغ ملك الروم بمضمون هذه الآية ودلالاتها التوحيدية ثار غيضاً، لمساسها بجوهر عقائدهم القائمة على تأليه السيد المسيح عليه السلام، ولاشك في

---

[1] فتوح البلدان، ص ص 237 – 238.

[2] سورة الإخلاص آية 1.

[3] بغية الطلب، ج7، ص 3194.

[4] سورة النساء آية 172.

ان هذا الأسلوب من الصراع الفكري قد اقض مضجعه؛ لذا كتب الى الخليفة عبد الملك: ((إنكم أحدثتم في قراطيسكم كتاباً نكرهه فأن تركتموه وألا أتاكم في الدنانير من ذكر نبيكم ما تكرهون، فكبر ذلك في صدر عبد الملك وكره ان يدع سنة حسنة سنها[1])).

وفي الوقت ذاته أدرك حجم الخطر الذي يشكله بقاء الارتباط المصيري بالاقتصاد البيزنطي، ذلك الارتباط الذي لاشك في أنه يتأثر سلبا" أو إيجابا" بالقرار السياسي للملك البيزنطي، فما بالك إذا كانت الحرب لم تزل مستمرة على اشدها بين الطرفين وبصورة شتى، على الرغم من عقد الهدن بين الحين والآخر، فأذا كان ملك الروم قد هدد هذه المرة بالإساءة الى نبي المسلمين ﷺ فأنه قد لا يتوانى عن قطع ورود الدنانير الذهبية إليهم في وقت قد يكونوا هم بأمس الحاجة إليها لإدامة الجهاد في سبيل الله تعالى.

إزاء هذا وبمشورة أهل الحلم والرأي قرر التخلص من ربقة السيطرة الاقتصادية البيزنطية واتمام الاستقلال السياسي للدولة العربية الاسلامية بالأستقلال الأقتصادي ولاشك بعد أن أمتلكت الدولة العربية الاسلامية ما يكفيها من الذهب، لذا عمد الخليفة عبد الملك الى سك دنانير عربية إسلامية خالصة بنقوش وشارات واوزان خاصة بهم بعد ان اشارعليه بذلك خالد بن يزيد بن معاوية[2] (ت 85هـ)، وقيل[3] محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الباقر[4]، وأصر على المضي في

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص237؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص ص198 – 199، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج17، ص195.

[2] خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ابو هاشم الأموي كان يوصف بالعلم وقول الشعر وكان من تابعي أهل الشام وكان يعنى بكتب العرب والعجم وعلومهم. ينظر: بد القادر بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ج5، ص119.

[3] البيهقي، ابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، وقف على طبعه فردرك شوالي، مطبعة غليوم درو غولين، (ليبسك 1318هـ)، ص ص 498 – 502.

[4] محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (رضي الله عنهم اجمعين) كان عالماً سيداً كبيرا وانما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسع، توفي في شهر ربيع الاخر سنة 113هـ بالحميمة ونقل الى المدينة ودفن بالبقيع. ينظر: ابن خلكان، ابي العباس احمد بن محمد بن إبراهيم بن ابي بكر بن خلكان (ت 681 هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1998م)، ج4، ص30.

كتابة العبارات آنفة الذكر ذات التاثير المعنوي والنفسي على العدو بقوله: ((أفرغ روعك يا أمير المؤمنين حرم دنانيرهم فلا يتعامل بها واضرب للناس سككاً، ولا تعف هؤلاء الكفرة مما يكرهون في الطوامير[1])) وفي رواية ابن العديم ((....أجعل عندك داراً للضرب واضرب فيها وامنعه القراطيس فإنه سيحتاج اليها فيأخذها على ما تشاء[2]))، فنالت هذه المشورة قبول واستحسان الخليفة عبد الملك الذي قام بهذا الانجاز التاريخي الكبير. وهكذا بدأ الخليفة عبد الملك تعريب الدنانير الرومية سنة 74 هـ / 693 م وأتم تعريب الدراهم الساسانية سنة 75 هـ/694م.

وسيراً على السياسة ذاتها وبهدف تحرير كافة مؤسسات الدولة العربية الإسلامية من أي شكل من أشكال التبعية والخضوع للقرار السياسي البيزنطي وتفويتا لأية فرصة من شأن الروم الإفادة منها في توجيه ضربات مباشرة ومؤثرة ضد العرب المسلمين، خطا الخليفة عبد الملك خطوة تاريخية اخرى، وذلك بتعريب المؤسسات الإدارية (الدواوين) بعد ان كانت تكتب باللغات المحلية للأمصار الإسلامية، إذ كانت تكتب بالرومية (اليونانية) في الشام وبالقبطية بمصر وبالفارسية (الفهلوية) في العراق[3]، فأسند هذا الأمر إلى خيرة رجال الإدارة من العرب ذوي الكفاءة العالية وسخر لهم الأموال اللازمة لإنجاز هذا العمل التاريخي الكبير كما حصل ذلك في بلاد الشام حيث أوكل الخليفة عبد الملك مهمة تعريب دواوينها إلى سليمان بن سعد الخشني بعد ان يتولاها واحد من أهل الذمة يدعى سرجون ابن منصور، وخصص له خراج الأردن لمدة سنة البالغ (180) ألف دينار معونة لسليمان في عمله فلم تنقض سنة 81 هـ/700م حتى اتم تعريب دواوين

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان، ص ص 237 – 238.

[2] بغية الطلب، ج7، ص 3194.

[3] الجهشياري، محمد بن عبدوس الجهشياري (ت 331هـ)، الوزراء والكتاب، ط1، مطبعة عبد الحميد حنفي، (القاهرة 1938م)، ص 23؛ الماوردي، ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت 450 هـ)، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفكر، (بيروت د. ت)، الصولي، ابو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت336هـ)، ادب الكتاب، تعليق محمد بهجة الاثري، دار الباز للطباعة والنشر، (القاهرة 1341هـ)، ص192.

الشام بعد ان صرف سرجون بن منصور عن الديوان[1]. واستكمالاً لهذا الفعل التاريخي الجريء فقد تم تعريب دواوين العراق أيضا من قبل واليه الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر من الخليفة عبدالملك بن مروان[2]، ولأن هذا الفعل عملاً صعباً لابد انه يستغرق وقتاً طويلاً ولأنه ضرورة لاغنى عنها، لذا تم استكماله في خلافة الوليد بن عبد الملك 87هـ/806م، إذ أمر عامله على مصر عبد الله بن عبد الملك بتعريب دواوينها التي كانت تكتب بالقبطية فنسخت الى العربية وصرف عبد الله اشناس عن الديوان وجعل عليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص[3].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص ص192 – 193؛ الماوردي، الاحكام السلطانية، ص202.

(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص294؛ الصولي، ادب الكتاب، ص192.

(3) الكندي، كتاب الولاة، ص 59؛ المقريزي، الخطط، ج1، ص98، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج1، ص210.

الخاتمة

بعد ان انتهيت من كتابة صفحات هذه الأطروحة لابد من استخلاص أهم النتائج التي توصلت إليها في ضوء ما قدمته المصادر التاريخية من روايات تم بحثها وتحليلها ودراستها ومقارنتها مع بعضها بعض والتي يمكن أجمالها على النحو الآتي:

1- أوجبت رسالة الإسلام السماوية الخالدة على العرب الانطلاق بها الى من حولهم من الأمم والشعوب تنفيذاً لأمر الله تعالى بذلك، مما جعلهم وجهاً لوجه أمام اعتى كيانين سياسيين قائمين آنذاك هما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية، وبما ان الأولى كانت قد هيمنت على مساحات واسعة من ارض العرب في الشام والجزيرة الفراتية ومصر وشمال أفريقيا؛ لذا وجب ومنذ العصر الراشدي نشر الإسلام في تلك الربوع وتحريرها من السيطرة البيزنطية واستكمال وحدة العرب تحت راية الإسلام، وبالتالي تحتم عليهم مجابهة الروم في ميدان حربي بري - بحري واسع النطاق امتد في العصر الأموي من الحدود الشمالية الشرقية لإقليم أرمينية الى السواحل المغربية المطلة على المحيط الأطلسي غرباً وتنوعت تبعاً لتلك التضاريس الجغرافية والأنماط المناخية فيه تنوعاً ملحوظاً، وسار المقاتلة العرب أبناء البوادي لقتال الروم وحلفاؤهم في ارضٍ مختلفة التضاريس وتحت ظروف مناخية لم يسبق للقسم الأكبر منهم أن ألفوها، مما أوجب عليهم إزاء ذلك التكيف مع تلك الظروف من النواحي العسكرية (التعبوية) والمعاشية واعتماد انجح الأساليب والوسائل وأكثرها فعالية في حربهم هذه؛ لأجل ضمان الغلبة والتفوق على الروم.

2- حدت بالعرب المسلمين عدة دوافع و اسباب لخوض الحرب ولأكثر من قرن من الزمان ضد الروم كان الجهاد في سبيل الله تعالى لنشر الإسلام ولحماية دعوته في مقدمتها، فضلاً عن ما قابلهم به الروم وحلفائهم من عداء وتحدي

واضحين أوجب امتشاق الحسام وتسيير الجيوش في البر والبحر وبأكثر من اتجاه للرد على تحدياتهم تلك وردعها، التي لم تزل تتكرر وتتعاظم بصور شتى؛ فضلا عن ذلك لم يكن أمام العرب المسلمين من سبيل وهم يسعون لنشر الإسلام الا ان يتموا تحرير ما احتله الروم من أراضيهم ويستكملوا وحدتهم تحت راية الإسلام؛ لأجل ان يتسنى لهم الانطلاق بعد ذلك الى الأمم المجاورة وهذا ما جعل الحرب بين الطرفين أمراً لامناص منه.

3- اعتمد العرب المسلمون في جبهة الثغور خطة تعبوية دفاعية عالية المستوى قائمة على الإفادة الى أقصى حد ممكن من معطيات الميدان (تضاريسه ومناخه)، من خلال الاختيار الدقيق والعقلاني للأماكن التي أقاموا عليها مشيداتهم الدفاعية من قلاع وحصون وما توفر فيها من مزايا سوقية وتعبوية من شأنها ان تحقق أهدافهم في زيادة حصانة هذه المنشآت وردع العدو والحد من اعتداءاته المتكررة وضمان التفوق عليه كالدروب الرئيسة وعقد المواصلات والمضايق والمنعطفات الجبلية المهمة و المخاضات والمفاوز الفسيحة الحيوية التي لابد لمن يقصد بجيشه مهاجمة دار الإسلام من المرور بها وبالعكس، وتضمنت هذه الخطة الإفادة مما خلفه الروم من قلاع وحصون عقب انسحابهم الى الداخل ومن أساليبهم ووسائلهم المتبعة في التحصين والنابعة من خبرتهم الجيدة بطبيعة الأرض واستخداماتها، وقامت هذه الخطة أيضا على توزيع تلك المنشآت الدفاعية توزيعاً دقيقاً ومحكماً يهدف الى إحكام السيطرة العربية على هذا الجزء الحيوي من ميدان الحرب وعلى المنافذ والدروب المؤدية الى بلاد الروم وبالعكس، وفي تطور لاحق وأمام مستجدات الحرب لم تعد تلك العقد الدفاعية محض متلق او متصد للهجمات الرومية، بل تم من خلالها تطبيق مبدأ الدفاع السيار والفعال، بأن اتخذت معسكرات تحشد وانطلاق متقدمة للمقاتلة المسلمين نحو الأراضي البيزنطية الى جانب واجباتها الدفاعية، وعملت الخلافة الأموية جادة على تشجيع المقاتلة المسلمين على الرباط والإقامة مع عيالاتهم هناك جهاداً في سبيل الله تعالى وتعزيزاً للوجود

والسيادة العربية الإسلامية، ودأبت على تجهيزهم بأسباب النصر وما يرفد صمودهم من أسلحة دفاعية وهجومية متنوعة وإقامة المخازن اللازمة لحفظها ووفرت ما احتاجوا أليه من طعام ومؤونة ودواء، وشيدت الأماكن الملائمة لخزنها، واعتمدت التحصين بالأسوار العالية المنيعة المفردة والمزدوجة، وأقامت الأرصاد والمسالح والمناظر واستخدمت الركاضة والعيون للإنذار والتحذير من خطر العدو ومنحت الخلافة المرابطين هناك الأراضي الزراعية لهم ولعيالاتهم تثبيتاً وتشجيعاً لهم على الرباط، وشيدت المساجد الجامعة تأكيداً منها على ذلك، وتعاورت أيدي الخلفاء هذه المدن الثغرية بالأعمار والتجديد كلما دهمها العدو او شعث طرفا منها.

4- استخدم العرب المسلمون في حربهم مع الروم أسلوبا آخر ومنذ خلافة عمر بن الخطاب ﷺ هو حملات الصوائف والشواتي، ذلك الأسلوب الذي لم يرد ما يشير الى استخدامه على جبهات الحرب الأخرى مع أمم الكفر، تدفعهم الى هذا طبيعة ميدان القتال ومقدار قوة الروم ونوعية أسلحتهم وعدد الحرب لديهم وخبرتهم الواسعة بتضاريس بلادهم ودروبها ومسالكها ونقاط القوة والضعف فيها، وقد أجادت الخلافة الراشدة ومن بعدها الأموية في اختيار القادة الأكفاء والمقاتلة الأشداء لأداء مهمات قتالية محددة سلفاً من قبلها في عمق بلاد الروم استهدفت توجيه ضربات مركزة وقوية الى عوامل الصمود وأسباب إدامة الحرب لدى الروم، حتى غدا هذا الأسلوب سمة مميزة من سمات العصر الأموي الجهادية، اذ تولى قيادة هذه الحملات خيرة أمراء البيت الأموي وقادتهم، وأحسنت الخلافة كثيراً في تجهيزهم بكل عوامل النصر ومقوماتـــه الماديـــة والمعنويـــة من عدد حربية – أسلحة ثقيلة وخفيفة وأسلحة حصار متنوعة وركائب مختلفة كالخيول للجري والمطاردة والبغال والثيران لحمل العدد والمؤن اللازمة في تضاريس صعبة ومناخ قاسي – وأمور معاشية وشؤون إدارية كالأكسية الثقيلة لمقاومة البرد والأطعمة الخفيفة الوزن وذات القيمة الغذائية العالية كالتمر والزبد والكعك والقديد وغيرها، أتحف الخلفاء أولئك الجند بالوصايا واستنفروهم بالخطب الحماسية المستوحاة من

أصول العقيدة الإسلامية، وأوغل هؤلاء المقاتلة المجاهدون بعيداً في ارض الروم سالكين الطرق والدروب النافذة عبر سلاسل الجبال وبين التلال والمرتفعات ليقوموا بأداء عمليات حربية متعددة وبأعداد متفاوتة تبعاً للهدف المتوخى تحقيقه ولطبيعة دفاعات العدو والطرق والدروب التي سيسلكونها واعتمدوا مختلف الأساليب التعبوية في قتالهم كالتمويه والخداع وحفر الخنادق الشقية للاستتار عند الضرورة واعتصموا بالصبر والمطاولة لفتح الحصون الرومية المهمة باستخدام احدث أسلحة الحصار المعروفة وقتذاك وابدوا من المواقف الجهادية ما لا يمكن إغفاله شاهداً على سمو وعظمة المبادئ التي قاتلوا من اجلها ونجحوا باستخدام هذا الأسلوب الحربي في نقل ميدان الحرب الى قلب بلاد الروم واخذ زمام المبادرة وعنصر المبادأة من أيديهم بحرب استنزاف طويلة الأمد قصد منها ضربهم في عقر دارهم وبأسباب قوتهم وبث الذعر والفزع بين صفوفهم وجعلهم متلقين للضربات الإسلامية – أكثر الوقت – تنفيذاً لمبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع.

5– توسيع ميدان الحرب مع الروم ليشمل مياه البحر المتوسط وجزره وسواحله المطلة على الأراضي العربية والأراضي الرومية، لذا أوجب على العرب المسلمين اعتماد كل الأساليب والوسائل القتالية البحرية التي تكافئ ما لدى عدوهم أو تتوف عليها، رداً عليه بالمثل، وقد خطوا خطوات متسلسلة في هذا الاتجاه كانت الأولى منها تقويم وتحصين الثغور البحرية وشحنها بما تحتاج أليه من العدد والعدة، وبعد إتمام تحريرها، ثم تلا ذلك تأسيس الأسطول الحربي العربي الإسلامي بالإفادة من خبرات وإبداعات رعايا ومواطني الدولة العربية الإسلامية على مختلف أصولهم ونحلهم، – في إطار استنفار جميع قدرات الأمة وطاقاتها لخدمة الجهاد – والانطلاق بهذا الأسطول لضرب القواعد الرومية في الجزر المتوسطية القريبة من السواحل الإسلامية التي كانت كأنها شوكة في جنب المسلمين، ومن ثم إتمام السيطرة العربية على مياه هذا البحر وتحويله الى بحر عربي – إسلامي تجوبه سفن المسلمين ومراكبهم شرقاً وغرباً بكل شموخ، واحكام القبضة على المسالك

والمنافذ البحرية فيه وفي بحر ايجه المفضية الى القسطنطينية واتخاذ ما هناك من جزر وقواعد وثغور إسلامية متقدمة في العمق الرومي تمهيداً لذلك العاصمة الرومية، وقد برع المسلمون في هذا الميدان وبزّوا عدوهم، إذ استخدموا من أساليب التعبئة البحرية والأسلحة المدمرة ما اكسبهم الظفر عليه، كالالتحام المباشر وربط المراكب الى بعضها بواسطة السلاسل وجره للالتحام المباشر والقتال على ظهور السفن باعتماد تعبئة الصفوف والاشتباك مع جنده بالسيوف وسائر أسلحة المشاة الأخرى او التراشق معه بالحجارة وسائر المقذوفات وأمطاره بالقذائف النارية والمواد المحرقة باستخدام المجانيق والزراقات وانزال الفزع والإرباك والدمار في سفنه، وتأكيدا على عظمة المعاني الجهادية التي خاضوا من اجلها عباب البحر اصطحب الجند المسلمون النساء والذرية معهم رفعاً للروح المعنوية وتعزيزاً للصمود واستماتةً في القتال، وهو أمر لم يؤثر لعدوهم فعله، وحملوا على ظهور سفنهم الخيول وسائر الركائب وأسلحة الحصار وعدده الثقيلة، لاسيما وان عليهم مطاردة العدو في تلك الجزر أو السواحل وحصار قلاعه وحصونه التي استتر خلف أسوارها، مما أعطى مؤشراً على ضخامة هذه السفن في حجمها وقدرتها الكبيرة على حمل مثل هذه الأثقال، وبما عرف عن العقل العسكري العربي الإسلامي من قدرة على الإبداع والابتكار جددوا باستمرار سلاحهم الحربي وعززوه بالمزيد من القدرات القتالية مع تواصل عمليات المجابهة بإقامة المزيد من دور الصناعة وفي اكثر من مكان، فضلا عما تقدم برعت البحرية الإسلامية في تقديم مختلف أشكال الإسناد والدعم اللازمين للمقاتلة المجاهدين في البر الرومي وحددوا نوعا ما إمكانية او احتمالية قطع الروم للطرق والدروب عليهم بإنزال الجند خلفهم باستخدام السفن واطباق الحصار عليهم وتدميرهم.

6- أصبح العرب المسلمون على يقين راسخ بان الخطر البيزنطي لم يزل قائما يهددهم وينذر كيانهم السياسي بالزوال، ما لم يتم فتح العاصمة البيزنطية رمز صمود بقاء دولة الروم التي يستمد منها جندهم القوة والإصرار على إدامة الحرب

وبؤرة ذلك الخطر ومصدره الأساسي، لهذا عمدوا الى انتهاج أسلوب آخر قائم على توجيه الحملات الحربية الكبرى مباشرة نحو القسطنطينية، لغرض الحصار وإرغامها على الاستسلام، وإنهاء لكل أشكال الخطر والتهديد الصادر منها، وقد شهد العصر الأموي بالفعل إرسال أكثر من حملة تم الإعداد لها كما ينبغي واتخذت التدابير اللازمة لانجاح هذا العمل الجهادى الكبير واعتمدت الخلافة الأموية أسلوب الحشد والاستنفار العام لجميع قدرات الأمة وطاقاتها وأكدت عظمة المعاني الجهادية لهذا العمل الحربي من خلال قيادة الخلفاء أنفسهم لتلك الحملات او بإسناد قيادتها الى أبنائهم ذوي القدرات القيادية المتميزة، وفرض الجيش العربي الإسلامي سيطرته المطلقة على الدروب والمنافذ الجبلية المؤدية الى قلب بلاد الروم بسلسلة من حملات الصوائف والشواتي الموفقة، واستطاع بهذه الحملات إلحاق الضرر بالروم واضعاف دفاعاتهم وتامين الطرق والدروب بإقامة الحاميات عليها تلك التي عززت ورفدت قوة الحملات الكبرى وقدراتها القتالية، هذا في الميدان البري، أما في الميدان البحري فقد كانت خطة المسلمين تقضي توجيه الضربات المؤثرة الى الأساطيل الرومية وقواعدها في الجزر والسواحل الرومية – لئلا تعرقل هذه الأساطيل تقدم القوات البرية العربية بإنزال المقاتلة أمامها واعتراضها في البر الرومي – وضمان مثابات تحشد بحرية وقواعد انطلاق للجند المسلمين في الجزر الايجية القريبة من القسطنطينية المؤدية أليها، ومساندة القوات البرية العربية الزاحفة عبر آسيا الصغرى وامدادها بما تحتاج أليه من مؤن وإمدادات، لاسيما وأنها في مسيرها تقطع مسافات طويلة تكلفها ما تكلفها من الجهد والمادة، فضلاً عن ذلك أفادت الخلافة الأموية من الظروف السياسية المضطربة التي كانت تجتاح الإمبراطورية البيزنطية بين الحين والآخر مما قد يضعف قدرتها على المقاومة والتصدي للمسلمين، لذا تزامن إرسال هذه الحملات مع ما كانت تمر به الإمبراطورية البيزنطية من ظروف كهذه، وعلى الرغم من عدم تمكن المسلمين من فتح القسطنطينية وضمها الى سيادتهم كنتيجة آنية لاتباع هذا الأسلوب من أساليب

المجابهة، – رغم إرسالهم اكثر من حملة لتحقيق ذلك في العصر الأموي – فأنهم حققوا نتائج بعيدة المدى منها انهم اصبحوا هم أصحاب المبادأة وانتقلوا انتقالة كبيرة من حالة الدفاع والاستتار بالتحصينات الدفاعية والتصدي للهجمات الرومية الى مرحلة الدفاع السيار الفعال أي مرحلة الحرب التعرضية وابلغوا الروم بذلك ان عاصمتهم التي كانت قوية وعصية بدفاعاتها البرية والبحرية الطبيعية والمستحدثة لم تعد بعيدة المنال من العرب المسلمين وان لهم القدرة على معاودة الهجوم عليها كلما اقتضت ضرورات المجابهة وتهيأت الأسباب، وقد نقلوا بذلك ميدان الحرب الفعلية الى قلب بلاد الروم حتى جعلوهم في موقف دفاعي على حرج بعد ان كانوا من قبل هم أصحاب القرار في ذلك والمسلمون مدافعون أنهى العرب المسلمون بذلك أية بارقة أمل للروم في معاودة احتلالهم ردحاً من الزمن، وابلغوا البيزنطيين ومن سواهم من الأعداء بأنهم آمة مقاتلة لا يثنيها عن أهدافها طول المسافات ولا صعوبات الارض والمناخ، باعثهم الأساسي في ذلك الجهاد في سبيل الله تعالى والعزم على القضاء على مكامن الخطر الذي يحيق بدولتهم المتجسد ببقاء القسطنطينية رمز صمود دولة الروم.

7– لم تقتصر أساليب المجابهة التي اعتمدها المسلمون على القتال والقيام بالفعاليات العسكرية فحسب، بل تعدى الأمر إلى ما هو ابعد من ذلك ازاء ضرورات ومستجدات الحرب مع الروم، ولما تميز به العرب المسلمون من قدرة على الإبداع والابتكار والتجديد وذلك باستخدام أساليب من قدرة الإبداع والابتكار والتجديد وذلك باستخدام أساليب ووسائل تبدو سلمية في ظاهرها وتسخيرها كأدوات حرب فعالة من شأنها اعانتهم في مسعاهم لامتلاك كل أسباب التفوق والظفر على عدوهم، فقد أجادوا استخدام العقل والرأي والمكيدة السياسية في حربهم مع الروم، لاسيما إذا ما نبا السيف أو كبا الجواد لعارض سوء ألم بهم يوماً ما، واعملوا العقل في سبيل عقد الهدنات معه لكسب الوقت والحفاظ على سلامة عموم المسلمين ولو اقتضى الامر دفع المال له، حتى يتسنى لهم استعادة القدرة اللازمة لمقارعته

والتصدي له، واستخدموا من أساليب الحرب النفسية ودعاية الميدان التي تيسرت لهم، وهذا الأمر منحهم الغلبة والتفوق عليه، ونجحوا في التصدي له وكبته بالقول الرادع والكلم المأثور المستوحى من جوهر الرسالة الإسلامية الخالدة، وسعوا جاهدين الى حرمان عدوهم من الإفادة من أية وسيلة بإمكانه الإفادة منها في توجيه الضربات المؤثرة الى مرتكزات قوتهم، حتى بدت هذه الأساليب وكأنها أسس أو ركائز لأساليب الحرب الحديثة السياسية والفكرية والاقتصادية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد بن القاسم الرعيني المعروف بأبن أبي دينار أبن (كان حياً سنة 1110هـ/1698م).

1- المؤنس في أخبار افريقيه وتونس، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة، (تونس د. ت).

أبن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن ابي شيبة الكوفي (ت235هـ/849م).

2- مصنف ابن ابي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، مكتبة الرشيد، (الرياض 1409هـ).

ابن الأثير، عز الدين بن الأثير الحسن بن علي بن محمد الشيباني (ت630هـ/1232م).

3- أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبعة جديدة ومنقحة اعتنى بتصحيحها: الشيخ عادل أحمد الرفاعي، ط1، دار إحياء التراث العربي، (لبنان 1996م).

4- الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت 1965م).

ابن الأثير، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت. 606هـ/1209م)

5- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، المكتبة الإسلامية احمد بن حنبل، ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ/855م)

6- مسند الأمام احمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، (مصر د.ت).

7- الورع، تحقيق: د. زينب إبراهيم القاروط، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1983م.

الأزدي، محمد بن عبدالله الأزدي (ت168هـ/784م).

8- تاريخ فتوح الشام، تحقيق: عبد المنعم عامر، مؤسسة سجل العرب.

الاصطخري، ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري (346هـ/957م).

9 - الأقاليم، مكتبة المثنى، (بغداد د. ت).

10- المسالك والممالك، تحقيق: محمد صابر عبد العال الحيني، وزارة الإرشاد القومي، (مصر 1961م).

الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت365هـ/975م).

11- جد الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: علي عبد مهنا وسمير جابر، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1986م). طبعة اخرى: تحقيق: عبد الكريم العزباوي و د. عبد العزيز المطر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت د. ت).

الأصفهاني، الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ/1038م).

12- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1988م).

ابن اعثم الكوفي، أبو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت314هـ/926م).

13- الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند 1968 - 1975م).

الأنصاري، حسان بن ثابت الأنصاري (ت54هـ/673م).

14- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، (بيروت د. ت).

البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ/869م).

15- صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، دارابن كثير، (اليمامة 1987م)

البسوي، ابويوسف يعقوب بن سفيان (ت277هـ/890م).

16- المعرفة والتاريخ، رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1981م).

ابن بطريق، افتيشوس سعيد بن بطريق (ت القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي).

17- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت 1910م)

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتـي الطنجي المعـروف بأبـن بطوطة (ت 779هـ/1377م).

18- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار، شرحه وكتب هوامشه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، (بيروت د. ت).

البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739هـ/1338م).

19- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط3، دار المعرفة، (لبنان 1954م).

ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله (ت256هـ/ 869م).

20- الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، مطبعة العاني، (بغداد 1972م).

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد الكريم البكري (ت487هـ/1094م).

21- معجم ما استعجم في أسماء المواضع والبلدان، حققه: مصطفى السقا، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة 1945م).

22- المغرب في ذكر بلاد افريقيه والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، (بغداد د. ت).

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ/892م).

23- انساب الأشراف: الشيخان ابو بكر وعمر وولدهما، تحقيق: د. إحسان صدقي العمد، مؤسسة الشراع العربي، (الكويت 1989م).

انساب الأشراف، ج1 ق4، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت 1979م).

جمل من كتاب انساب الإشراف، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت 1996م).

24- فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، (بيروت 1988م).

البيهقي، إبراهيم بن محمد البيهقي.

25- المحاسن والمساوئ، وقف على طبعه فردرك شوالي، مطبعة غليوم دورغولين، (ليبسك 1318هـ).

البيهقي، احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458هـ/ 1065م).

26- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، (مكة المكرمة 1414هـ/ 1994م).

ابن تغري بردي، جمال الدين ابو القاسم بن تغري بردي (ت 874هـ/1469م).

27- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (مصر د. ت).

الجاحظ، ابو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ (ت255هـ/ 868م).

28- البيان والتبيين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (مصر 1961م).

الجهشياري، محمد بن عبدوس الجهشياري (ت 331هـ/ 942م).

29- الوزراء والكتاب، ط1، مطبعة عبد الحميد احمد حنفي، (مصر 1938م).

ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت 597 هـ/1200م).

30- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، دار الفكـر، (بيروت 1995م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 398هـ/1007م).

31- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت 1987م).

ابن حبان، محمد بن احمد بن حبان البستي (ت 354 هـ/ 965م).

32- الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (الهند 1975م).

33- صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤط، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1993م).

ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب (ت 345هـ/ 956 م).

34- المحبّر، اعتناء: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، (بيروت د. ت).

ابن حبيش، الامام عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن يوسف بن حبيش (ت584 هـ/ 1188 م).

35- غزوات ابن حبيش، تحقيق: د.سهيل زكار، ط1، دار الفكر، (بيروت1992م).

ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ/1448م).

36- الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، (بيروت د. ت).

37- تهذيب التهذيب، طبعة محققة ومصححة، ط3، دار إحياء التراث العربي، (بيروت 1993م).

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1063م).

38- جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، دار المعارف، (مصر 1962م).

الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر (ت 709هـ/ 1309م).

39- آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، (مصر د. ت).

الحميري، محمد بن عبد المنعم الحميري (ت 610هـ/ 1213م).

40- الروض المعطارفي خبرالأقطار، حققه: د. احسان عباس، مكتبة لبنان، 1984م.

ابن حوقل، محمد بن علي بن حوقل (ت 356هـ/966 م).

41- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت د. ت).

ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 300هـ/ 912 م).

42- المسالك والممالك، مطبعة بريل، (ليدن 1309 هـ).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن علي بن خلدون (ت808هـ/1405 م).

43- المقدمة، ط9، دار القلم، (بيروت 1989 م).

ابن خلكان، ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خليكان (ت 681هـ/ 1282 م).

44- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه وكتب هوامشه: د. يوسف علي طويل د. مريم قاسم طويل، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1998م).

خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ/ 854 م).

45- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط1، مطبعة الآداب، (النجف 1967 م).

الدارمي، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ابو الفضل الدارمي (ت 255 هـ/868 م).

46 – سنن الدارمي، دار الفكر، د. ت.

أبو داود، سليمان بن الأشعث ابو داود السجستاني (ت 275هـ/ 888 م).

47 – سنن ابي داود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د. ت.

الديار بكري، حسين بن محمد بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت966هـ).

48- تاريخ الخميس في أحوال انفس النفيس، المطبعة الوهبية، (مصر 1132هـ).

الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي (ت 748 هـ/ 1347 م).

49- تاريخ الإسلام (الخلفاء الراشدون)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت 1987م).

50- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت 1989م). طبعة أخرى: تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير، مكتبة القدسي، (القاهرة 1367 هـ).

51- دول الإسلام، ط2، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الدكن 1364هـ)

52- سير أعلام النبلاء وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر وبن عرامة العمروي، ط1، دار الفكر، (بيروت 1996 م).

53- العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (الكويت 1960 م).

ابن رسته، أبو علي احمد بن عمر بن رسته (ت300هـ/ 912 م).

54- الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، (ليدن 1891 م).

الرقيق القيرواني (ت القرن الخامس الهجري).

55- تاريخ افريقيه، تحقيق وتقديم: المنجعي الكعبي، (تونس 1968 م).

الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني

56- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الابياري.

ابن الزبير، عروة بن الزبير (ت 94هـ/ 712 م).

57- مغازي رسول الله ﷺ، جمعه وحققه: د. محمد مصطفى الاعظمي، مكتب التربية لدول الخليج العربي 1981 م.

أبو زرعة الدمشقي، عبدالرحمن بن عمروبن عبد الله بن صفوان النصري (ت280 هـ / 893 م).

58- تاريخ أبو زرعة الدمشقي، دراسة وتحقيق: شكر الله نعمة الله، مجمع اللغة العربية (دمشق 1980 م).

الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري (538هـ/ 1143م).

59- أساس البلاغة، دار صادر دار بيروت، (بيروت 1965 م).
الزهري، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت124هـ).
60- المغازي النبوية، حققه وقدم له: سهيل زكار، دار الفكر، (دمشق 1981م).
الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين.
61- شرح المعلقات السبع، (بيروت د. ت).
ابن سعد، محمد بن سعد (ت 230هـ/844 م).
62- الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت 1957 م).
ابن سعيد الأندلسي (ت685 هـ/ 1286 م).
63 - المغرب في حلى المغرب، ج1، القسم الخاص بمصر، تحقيق: زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (المغرب 1953 م).
سعيد بن منصور، ابو عثمان سعيد بن منصور الخراساني (ت 277 هـ/ 891 م).
64- كتاب السنن، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، ط1، الدار السلفية، (الهند 1982 م).
ابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس (ت 734 هـ/ 1333 م).
65- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، عنيت بنشره مكتبة القدسي، (القاهرة 1356هـ).
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت 911 هـ/ 1505 م).
66- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة، (مصر 1952 م).
الشيباني، محمد بن الحسن الشيباني (ت 180هـ/ 896 م)..

67- شرح كتاب السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، (مصر 1958 م).

الصولي، ابو بكر محمد بن يحي الصولي (ت 336 هـ/ 947 م).

68- أدب الكتاب، تعليق: محمد بهجة الأثرى، دار الباز للطباعة والنشر، (القاهرة 1341 هـ).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ / 922 م).

69- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (مصر 1965 م).

70- جامع البيان في معاني القرآن، دار الفكر، (بيروت 1405 هـ).

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت242هـ / 856 م).

71- فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، (ليدن 1907 م).

72- فتوح مصر والمغرب، تحقيق: عبد المنعم، لجنة البيان العربي، (القاهرة 1965 م).

ابن عبد الحكم، ابو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت 214 هـ / 829 م).

73- سيرة عمر بن عبد العزيز، نسخها وصححها: احمد عبيد، ط2، مكتبة وهبة، 1954 م.

ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج الملطي.

74- تاريخ مختصر الدول، وقف على تصحيحه وفهرسه: الأب انطوان صالحاني، دار الرائد، (لبنان 1983 م).

ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن العديم (ت 660 هـ/ 1261م).

75- بغية الطلب في تاريخ حلب، حققه وقدم له: د. سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت د.ت).

ابن عذارى، أبو عبدالله محمد بن عذارى المراكشي (ت 695هـ/1295 م).

76- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، (بيروت د. ت).

ابن عربي، محيي الدين بن عربي (ت 638هـ / 1240 م).

77- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار في الأدبيات والنوادر والأخبار، دار اليقضة العربية، (بيروت 1968 م).

ابن عساكر، الإمام أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت 571 هـ).

78- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين ابي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، (بيروت 1995 م).

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت 395 هـ/ 1004 م).

79- الأوائل، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1987 م).

الفرزدق، همام بن غالب الفرزدق (ت 110 هـ/ 728م).

80- ديوان الفرزدق، دار صادر دار بيروت، (بيروت 1960 م).

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفدا (ت 732 هـ/ 1331 م).

81- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، (باريس 1840 م).

ابن فضل الله العمري، شهاب الدين احمد بن يحي بن فضل الله العمري (ت 749هـ / 1348 م).

82- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، يصوره فؤاد سزكين بالتعاون مع علاء الدين جوخوشا، (ألمانيا الاتحادية 1989 م).

ابن الفقيه، أبو عبد الله احمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن الفقيه (ت 292 هـ/ 904 م).

83 – كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، (بيروت 1996م).

84 – مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، (ليدن 1302هـ).

الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (ت816هـ/889م).
85- القاموس المحيط، دار الفكر، (بيروت 1983م).
ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م).
86- الإمامة والسياسة (منسوب)، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت 1997م).
87- عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، (بيروت د.ت) عن طبعة دار الكتب المصرية سنة 1925م.
قدامة بن جعفر (ت310هـ/922م).
88- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، (بغداد 1981م)
القرطبي، ابو عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ/1272م).
89- الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، (بيروت 1965-1966م).
طبعة اخرى: تحقيق: احمد عبدا لعليم البر دوني، ط2، دار الشعب، (القاهرة 1372هـ)
القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر ابو عبدالله القضاعي (ت454هـ/1062م).
90- مسند الشهاب، تحقيق: حمي بن عبدا لمجيد السلفي::، ط2، مؤسسة الرسالة، (بيروت 1986م).
الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ/1362م).
91- فوات الوفيات، حققه: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، (مصر1951م)
ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ/1372 م).

92- الاجتهاد في طلب الجهاد، حققه: د. عبد الله عبد الرحيم، ط2، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرباط 1981 م).
93- البداية والنهاية، دار الكتب العلمية، (بيروت 1986 م).
94- تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت (د. ت).
95- السيرة النبــوية، تحقيــق: مصطفى عبد الواحــد، ط3، دار الرائد العربي، (بيروت 1987 م).
الكلاعي، سليمان بن عبد الله الكلاعي (ت 634 هـ/ 1236 م).
96- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة السنة النبوية، (القاهرة 1970 م).
الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/ 961 م).
97- كتاب الولاة وكتاب القضاة، مهذباً ومصححا بقلم: رفن كَست، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت 1908 م).
اللالكائي، هبة الله بن الحسين الطبري اللالكائي (ت 418هـ / 1027 م).
98- كرامات الأولياء، تحقيق: احمد سعد الحمان، ط1، دار طيبة، (الرياض 1412 هـ).
المالكي، أبو بكر عبد الله بن ابي عبد الله المالكي (ت 453 هـ/ 1061 م).
99- رياض النفوس في طبقات علماء أفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم واوصــافهم، قام على نشره: حسين مؤنس، ط1، مكتبة النهضة، (القاهرة د. ت) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ/1058م)
100- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الفكر، (بيروت د. ت).
مجهول.
101- العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج3، من خلافة الوليد بن عبد الملك الى خلافة المعتصم، مكتبة المثنى، (بغداد د. ت).

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت 742 هـ/ 1341 م).
102- تهذيب الكمال في أسماء الرجال وبهامشه: نيل الوطر من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر، راجعه وقدم له: أ.د سهيل زكار، تحقيق: الشيخ احمد علي عبيد وحسن احمد الاغا، دار الفكر، (بيروت 1994 م).
المسعودي، ابوالحسن علي بن الحسين المسعودي (ت 446هـ/1054 م).
103- التنبيه والأشراف، منشورات مكتبة الهلال، ط4، مطبعة السعادة، (بيروت 1981م).
104- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط4، مطبعة السعادة، (مصر 1964م).
مسكويه، أبو علي مسكويه الرازي (ت421هـ/1030م).
105- تجارب الأمم، حققه وقدم له: ابو القاسم إمامي، دار سروش للطباعة والنشر، (طهران 1987م).
مسلم، ابوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت361هـ/971م).
106- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤادعبد الباقي، داراحياءالتراث العربي، (بيروت د. ت).
المقدسي، ابوقدامة عبدالله بن محمد المقدسي.
107- التبيين في انساب القريشيين، حققه: محمد نايف الدليمي، ط1، منشورات المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1982م).
المقدسي، محمد بن احمد المقدسي (ت287هـ/900م).
108- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د. ت).
المقري، احمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ/1631م).
109- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. احسان عباس، دار صادر، (بيروت1997م).

المقريزي، تقي الدين احمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م).

110- المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة المثنى، (بغداد 1970م).

المنبجي، اغابيوس بن قسطنطين المنبجي (من القرن الرابع الهجري).

111- المنتخب من تاريخ المنبجي، انتخبه وحققه: ا.د عمر عبدالسلام تدمري، ط1، دار المنصور، (لبنان 1986م).

112- كتاب العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بانواع الفلسفة الممدوح في حقائق المعرفة، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت1907م).

المنذري، عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ابو محمد(ت656هـ/1258م).

113- الترغيب والترهيب في الحديث النبوي، تحقيق ابراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت1414هـ/1997م).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت711هـ/1311م).

114- لسان العرب، دار صادر، (بيروت د. ت).

النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت732هـ/1131م).

115- نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصـــرية للتأليـف والترجمة والنشر، (مصر د. ت).

ابن هشام، ابو محمد عبدا لملك بن هشام (ت218هـ/833م).

116- السيرة النبوية، حققها وظبطها: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي (بيروت 2000م).

الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني (ت334هـ/945م).

117- صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 1989م).

الواقدي، محمد بن عمر الواقدي (ت207هـ/822م).

118- فتوح الشام، قدم له: عمر ابو النصر، ط1، المكتبة الأهلية، (بيروت1969م).
119- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، عن طبعة اكسفورد 1966م.
ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت626هـ/1228م).
120- معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، (بيروت د.ت).
121- معجم الأدباء، دار دار احياء التراث العربي، (بيروت د. ت).
يحيى بن آدم القرشي (ت203هـ/818م).
122- الخراج، دار الحداثة، (بيروت 1990م).
اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت292هـ/904م).
123- البلدان، مطبعة بريل، (ليدن 1891م).
124- تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية (بيروت 1999م).
ابو يعلى، احمد بن علي بن المثنى ابن يعلى (ت307هـ/919م).
125- مسند أبو يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دار المأمون للتراث، (دمشق 1984م)
أبو يوسف، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت182هـ/798م).
126- الخراج، ط3، المطبعة السلفية، (مصر1382هـ).
127- الرد على سير الأوزاعي، اعتنى بتصحيحه: أبو الوفا الأفغاني، ط1، لجنة إحياء المعارف العثمانية، حيدر آباد، (الهند د.ت).

المراجـــــع:

الأحمد والهاشمي، سامي سعيد و رضا جواد

1- تاريخ الشرق القديم إيران والأناضول، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (بغداد د.ت).

آشتور، آ. آشتور.

2- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالهادي أبو علية، دار قتيبة للطباعة والنشر، (سورية 1985م).

باشميل، محمد احمد.

3- العرب في بلاد الشام قبل الإسلام، دار الفكر، (بيروت 1973م).

باقر، طه.

4- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، مطبعة الحوادث، (بغداد 1973م). طبعة أخرى: ط2، (بغداد 1956م).

البرو، توفيق.

5- الدولة العربية الكبرى صدر الإسلام والخلافة الأموية، دار القلـــم العربي، (حلب 1973م).

بدران، عبد القادر.

6- تهذيب تاريخ دمشق، دار المسيرة، (بيروت 1979م).

البكر، منذر عبد الكريم.

7- دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، (جامعة البصرة 1993م).

بلتير و بيرسي، لويس سي و جي ايزل.

8- الجغرافية العسكرية، ترجمة: د. عبد الرزاق عباس حسن، مراجعة اللواء الركن عبدالمطلب أمين، دار الحرية، (بغداد 1975م).

ابن عبدالله، عبد العزيز.

9- جغرافية المغرب، (الرباط 1956م).

بول، أميل.

10- تاريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت د.ت).

بيغولفسكيا، نينيا فكتورفنا.

11- العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع الى القرن السادس الميلادي، نقله عن الروسية: صلاح الدين عثمان، (الكويت 1985م).

بينز، نورمان.

12- الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: حسين مؤنس محمود يوسف زايد، الدار القومية للطباعة والنشر، د. ت.

الجبوري، عدي سالم عبد الله حمد، دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي، دراسة تحليلية، ط1، دار الحامد (عمان 2012م).

الجبوري، نهاد عباس شهاب.

13- العمليات التعرضية والدفاعية عند المسلمين، دار الحرية، (بغداد 1987م).

جلوب، جون باجوت.

14- امبراطورية العرب، تعريب و تعليق: خيري حماد، ط1، دار الكتاب العربي، (بيروت1966م).

الجنابي، هاشم خضير.

15- جغرافية اوراسيا دراسة في الجغرافية العامة والإقليمية، جامعة الموصل 1987م.

جواد علي.

16- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، (بيروت 1976م).

جودة حسنين جودة.

17- جغرافية آسيا الإقليمية، منشأة المعارف، (الإسكندرية 1985م).

جونز، ا. هـــ م.

18- مدن الشام حين كانت ولاية رومانية، ترجمة: د. احسان عباس، دار الشروق، (عمان 1987م).

جيبون، ادوارد.

19- اضمحلال الإمبراطورية الرومانية و سقوطها، ترجمة: د.محمود سليم، مراجعة: محمد علي ابو دره، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت.

حتي، فيليب.

20- تاريخ سوريه لبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافقه، دار الثقافة، (بيروت 1958 م).

21- تاريخ العرب مطول، ترجمة: د.أدوارد جرجي د.جبرائيل جبور، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، 1950 م.

حسن، علي ابراهيم.

22- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي الى الفتح العثماني، ط4، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة 1954 م).

الخربوطلي، علي حسين.

23- الإسلام في حوض البحر المتوسط، دار العلم للملايين، (بيروت 1971 م).

خطاب، محمود شيت.

24- قادة الفتح الإسلامي المغرب العربي، ط1، دار الفكر 1973 م).

خليل، عماد الدين.

25- ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ط2، الدار القومية للطباعة، (بيروت 1971 م).

خماس، اللواء الركن علاء الدين حسين مكي

26- فن الحرب عند العرب دراسة في الفتوحات الكبرى في العصر الراشدي، بيت الحكمة، (بغداد 1999 م).

خيري، وليد يونس.

27- الجغرافية العسكرية، دار الحرية، (بغداد 1976 م).

داوني، جلانفيل.

28- إنطاكية القديمة، ترجمة إبراهيم نصحي، دار النهضة، (مصر 1967 م).

الدباغ، مصطفى مراد.

29- القبائل العربية وسلائلها في فلسطين، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1986 م.

دحلان، احمد زيني.

30- الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، (القاهرة 1968 م).

دروزة، محمد عزة.

31- عروبة مصر في القديم والحديث أو قبل الإسلام وبعده، ط2، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، (بيروت 1963 م).

دكسن، عبدالأمير عبد حسين.

32- الخلافة الأموية 65-86هـ/684-705م دراسة سياسية، ط1، دار النهضة العربية، (بيروت 1973م).

الدوري، عبد العزيز.

33- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، مطبعة العاني، (بغداد د.ت).

ديسو، رينيه.

34- العرب في سوريا قبل الإسلام، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي مراجعة: مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.

الذرب، يونس محمد.

35- السوق العسكري في صدر الإسلام العهود الإسلامية الأولى دراسة تحليلية، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 2000م).

رستم، أسد.

36- الروم في سياستهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، ط1، دار المكشـــــوف، (بيروت 1955م).

رنسيمان، ستيفن.

37- الحضارة البيزنطية، ترجمة: توفيق جاويد راجعه: زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة 1961م).

الزركلي، خير الدين.

38- الأعلام، ط4، دار العلم للملايين، (بيروت 1979م).

زيدان، جرجي.

38- العرب قبل الإسلام، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، دار الهلال، د.ت.

ساكز، هاري.

39- قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد 1999م).

سالم، السيد عبد العزيز.

40- تاريخ الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية 1982م).

41- تاريخ المغرب العربي، دار النهضة العربية، (بيروت 1982م).

سرهنك، اسماعيل.

42- حقائق الأخبار عن دول البحار، ط1، بولاق 1314هـ.

سميسم، حميدة.

43- الحرب النفسية، (بغداد 2000م).

الشامي وعبد المقصود، صلاح الدين وزين الدين.

44- جغرافية العالم الإسلامي، منشأة المعارف، (الإسكندرية 1982م).

شريف، إبراهيم شريف
45- دور الحجاز في الحيات السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ط1، دار الفكر العربي، 1968م.
شير، القس ادي.
46- التاريخ السعردي Turnhout / Belue 1981
صادق، دولت صادق وآخرون.
47- جغرافية العالم دراسة إقليمية، مكتبة الانجلو مصرية، (د. ت).
صقر، نادية حسني.
48- السلم في العلاقات العربية البيزنطية في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية لعهد الواثق بالله، ط1، المكتبة الفيصلية، (مكة الكرمة 1985 م).
عاقل، نبيه.
49- الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، جامعة دمشـــق، (دمشق د.ت).
العبادي و سالم، احمد مختار السيد عبد العزيز.
50- تاريخ البحرية الإسلامي في حوض البحر المتوسط البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، (الإسكندرية د. ت).
51- تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، (بيروت 1981م).
عبد الباقي، محمد فؤاد عبد الباقي.
52- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الشعب، (مصر 1378هـ).
عبد الرؤوف، قصي فالح عبد الرؤوف.
53- الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية 11هـ/ 632 م - 132هـ - 749 م، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد 1997 م).
العبد الغني، عبد الرحمن محمد.

54- أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين 653 – 1064م / 33- 457 هـ، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكويت 1989 م).
عثمان، فتحي.
55- الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة النشر، (مصر 1966 م).
العدوي، إبراهيم احمد.
56- الأمويون والبيزنطيون في البحر المتوسط، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1957 م).
57- مصر الإسلامية مقوماتها العربية ورسالتها الحضارية، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة 1976 م).
العريني، السيد الباز.
58- الدولة البيزنطية 323 – 1081 م، دار النهضة العربية، (بيروت 1982 م).
العسلي، بسام.
59- فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين الأمويين، ط1، دار الفكر، (بيروت 1984 م).
غنيمة، يوسف رزق الله.
60- الحيرة المدينة والمملكة العربية، مطبعة دنكور الحديثة، (بغداد 1936 م).
فازيليف، أ.
61- العرب والروم، ترجمة: د.محمد عبد الهادي أبو شعيرة، راجعه: فؤاد حسنين علي، دار الفكر العربي، د. ت.
فهمي، عبد السلام عبد العزيز فهمي.
62- فتح القسطنطينية، دار الكتاب العربي 1969 م.
كب، هاملتون.

63- دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة: د.احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، (بيروت 1964 م).

لامب، هارولد.

64- الاسكندر المقدوني، ترجمة: د. عبد الجبار المطلبي ومحمد ناصر الصانع، مراجعة: د.محمود أمين، المكتبة الأهلية، (بغداد 1965 م).

لسترنج، كي.

65- بلدان الخلافة الشرقية، نقله الى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، (بغداد 1954م).

لويس، أرشيبالد.

66- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500-1100م)، ترجمة: احمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم: محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة د.ت).

ماجد، عبد المنعم.

67- التاريخ السياسي للدولة العربية الإسلامية عصر الخلفاء الراشدين، ط5، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة 1976م).

ماجد والبنا، عبدالمنعم و د.علي.

68- الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، ط2، دار الفكر العربي، 1967م.

ماهر، سعاد.

69- البحرية الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت.

مجموعة باحثين.

70- تاريخ البحرية المصرية، جامعة الإسكندرية، (مصر 1972م).

المحاسني، زكي.

71- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الى عهد سيف الدولة دار الفكر العربي، د.ت.

المشهداني، محمد جاسم حمادي.

72- الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري 127-218هـ/744-823م، دار الرسالة للطباعة، (بغداد 1977م).

معروف، ناجي معروف.

73- أصالة الحضارة العربية، مطبعة التضامن، (بغداد 1969م).

مهران، محمد بيومي.

74- مصر، ط4، دار المعرفة الجامعية، (الإسكندرية 1988م).

مؤنس، حسين.

75- أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للأعلام العربي، (القاهرة 1987م).

76- تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ط2، الدار اللبنانية 1993م.

نولدكة، ثيودور.

77- أمراء غسان، نقله الى العربية: بندلي جوزي و قسطنطين زريق، المطبعة الكاثوليكية 1933م.

الهديب، فريال بنت عبدالله.

78- صورة يزيد بن معاوية في الروايات الأدبية دراسة نقدية، ط1، دار أجأ، (عمان 1970م).

هنتس، فالتر.

79- المكاييل والأوزان الإسلامية، الجامعة الأردنية، (دمشق 1970م).

ولهاوزن، يوليوس.

80- الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: يوسف العش، (دمشق 1376هـ).

البحوث والدراسات:

أديب، باسيلي انطوانيت.

1- ثغور العرب في التاريخ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 33 تموز 1981م، العدد34 آب 1981م، العدد36 تشرين الأول 1981م.

تدمري، عمر عبد السلام.

2- الجراجمة والمردة والأنباط في عصر الأموي، مجلة الفكر الإسلامي، العدد 10، السنة السادسة أيلول 1977م.

جاسم، هاشم اسماعيل.

3- الخطة الدفاعية في الثغور البرية والبحرية حتى نهاية العصر الأموي، مجلة آفاق عربية، العدد6، شباط، 1981م.

خطاب، محمود شيت.

4- مسلمة بن عبد الملك فاتح الأناضول ومحاصر القسطنطينية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المج 28 السنة 1977م.

الدوري، عبد العزيز.

5- العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام من القرن السابع الميلادي إلى القرن السابع عشر، الجامعة الأردنية، ط1، الدار المتحدة، (بيروت 1974م).

شتا، علي محمد.

6- ظهور القوة البحرية الإسلامية، مجلة الدارة، مارس 1975 م.

أبو شعيرة، عبد الهادي.

7- المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال الطوروس في صدر الدولة العباسية من كتاب الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين، دار المعارف، (مصر 1962 م).

عباس، إحسان.

8- العرب والمردة في تاريخ قسطنطين المولود في الأرجوان، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الثالث السنة الأولى، كانون الثاني 1979 م.

عبيد، طه خضر.

9- إمارة اقريطش العربية الإسلامية 211 – 350 هـ، مجلة التربية والعلم، العدد 23، السنة 1999 م.

10- ضرائب التجارة في الدولة العربية الإسلامية 2 – 4 هـ / 8 – 10 م، مجلة التربية والعلم، العدد 27 لسنة 2000 م.

العدوي، إبراهيم احمد.

11- دراسات في التاريخ البيزنطي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد 2، العدد 2، أكتوبر 1949 م.

العميد، طاهر مظفر.

12- تحصينات الثغور العربية البرية المواجهة للبيزنطيين، مجلة الدفاع، جامعة البكر للدراسات العربية العليا، العدد الثالث، السنة الثالثة 1983 م.

عنان، محمد عبد الله عنان.

13- حصار العرب للقسطنطينية، مجلة الهلال، السنة 34، يناير 1973 م.

القاسمي، خالد بن محمد.

14- الملاحة البحرية في العصور الإسلامية، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 91 – 92، أيار – حزيران 1986 م.

الكرملي، انستاس.

15- المردة او الجراجمة، مجلة المشرق، السنة السادسة 1903 م.

مختار، عبد المنعم.

16- أضواء على معركة ذات الصواري، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، كانون الثاني 1966 م.

مظهر، علي.

17- السفن والملاحة بمصر، مجلة المقتطف، يناير 1934 م.

المنجد، صلاح الدين.

18- بين الوليد وجوستنيان الثاني، مجلة العلوم، السنة الثانية، العدد الخامس أيار 1957 م.

مهدي، قاسم راضي.

19- مظاهر البيئة البحرية في الشعر الجاهلي، مجلة المورد، العدد الثالث سنة1981م.

مؤنس، حسين.

20- رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، المجلد 18، مدريد 1974 - 1975 م.

هيوار Huar.

21- مادة (بيلان) دائرة المعارف الإسلامية، نقلها الى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، (طهران د. ت).

الرسائل الجامعية:

الجبوري، محمود عباد محمد

1- أسلحة الحصار عند العرب حتى نهاية العصر العباسي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد 1988 م.

رشدي، زاكية محمد.

2- ميخائيل السرياني الكبير وتاريخه لعصر صدر الإسلام والعصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة 1961 م.

الشديفات، يونس محمد عبد الله.

3- الاستيطان في شمال شرق الأردن في الفترة الرومانية 63 ق. م - 324 م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد 1997 م.

الشمري، صالح حسن عبد عيسى.

4- العلاقات العربية - البيزنطية 40 - 132هـ/661 - 750 م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد 1988 م.

عبد الصاحب، شيماء سالم.

5- التجارة الخارجية في العصر الأموي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد 2001 م.

العبيدي، سالم عبد علي.

6- القوة البحرية الإسلامية في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل 1991 م.

العبيدي، محمود عبد الله ابراهيم.

7- بنو شيبان ودورهم في التاريخ العربي الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1983 م.

مهدي، مهدي حسوني.

8- إقليم العواصم والثغور دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية 1985م.

المصادر الأجنبية:

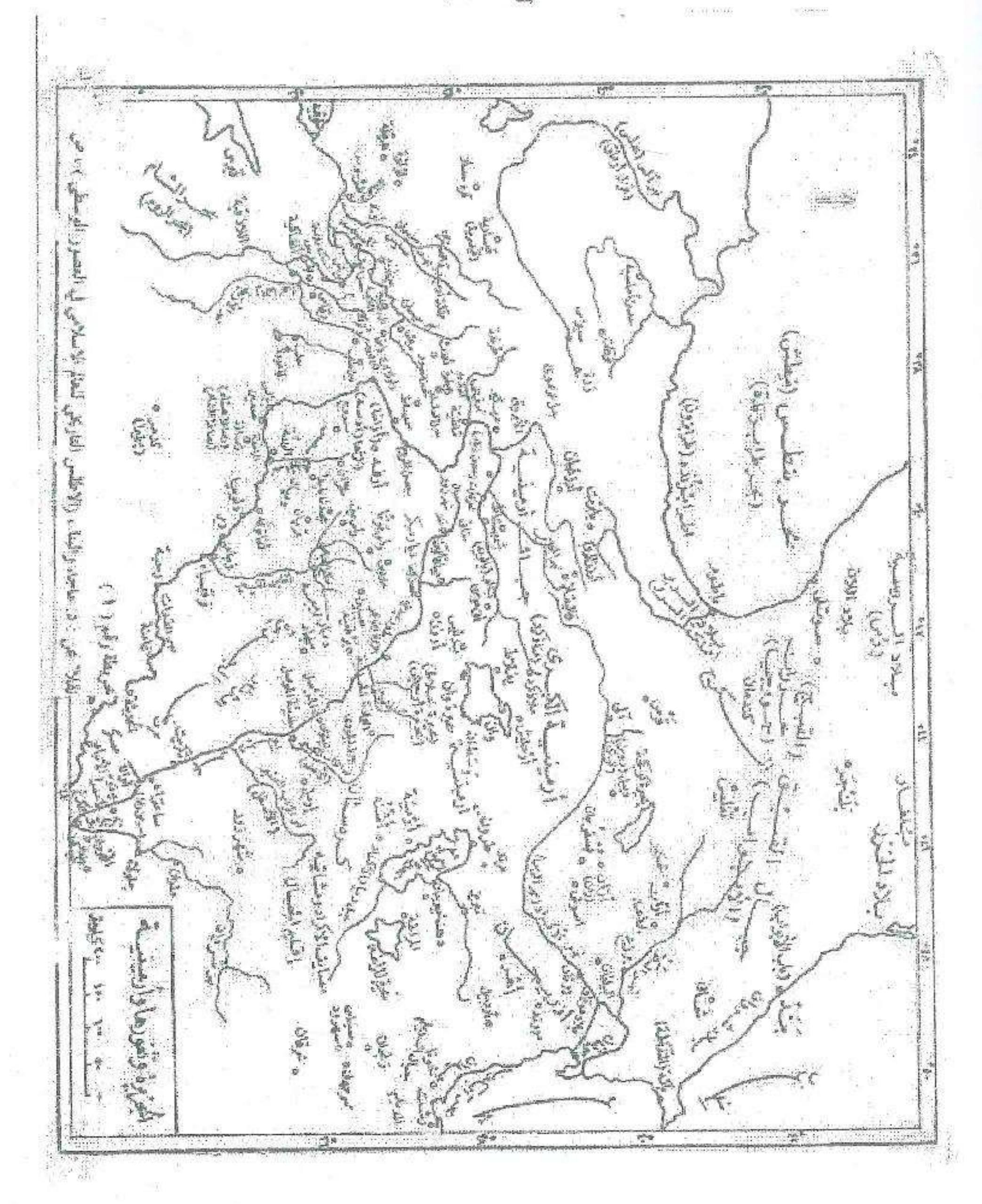
Baskin Oran:
1- Turkish - Yunan Liskilerind Baiti Trakay Sorunu (The western Thrace Question on Greek - Turkish Relation , Ankara 1986) .
Creswell , B. A. C:
2- Fortification in Islam Before A. D 1250 , (London 1952) .
Ostrogorsky , George:
3- History of The Byzantine State , Translated by: Joan Hussey, (Oxford 1968) .
Pendlbury , J. D. S:
4- The Archaeology of Crete , (London 1939) .
Posner , Nadine F:
5-The Muslim Conquest of Northren Mesopotamia Aninrodutory Eassey into Its Historical Background and Historigraphy , University Microfilms International , (Michigan 1989) .
Ramsay , W. M.:
6- Historical Geography of Asia Minor , (New York 1972) .
Rodinson , Maxime:
7 - Muhammad , Penguin Book , (England 1976) .
Runciman , Steven:
8- Pyzantine Civilization , (University Paperback , London 1961)
Trimingham , J. p. Spencer:
9- Christianty Among The Arab in Pre - Islam Times , (Longman London and New York) .
Vasiliev , Alexander:
10 - History of The Byzantine Empire 324 - 1423 , (University of Winston Press 1964) .

البحوث والمقالات الأجنبية:

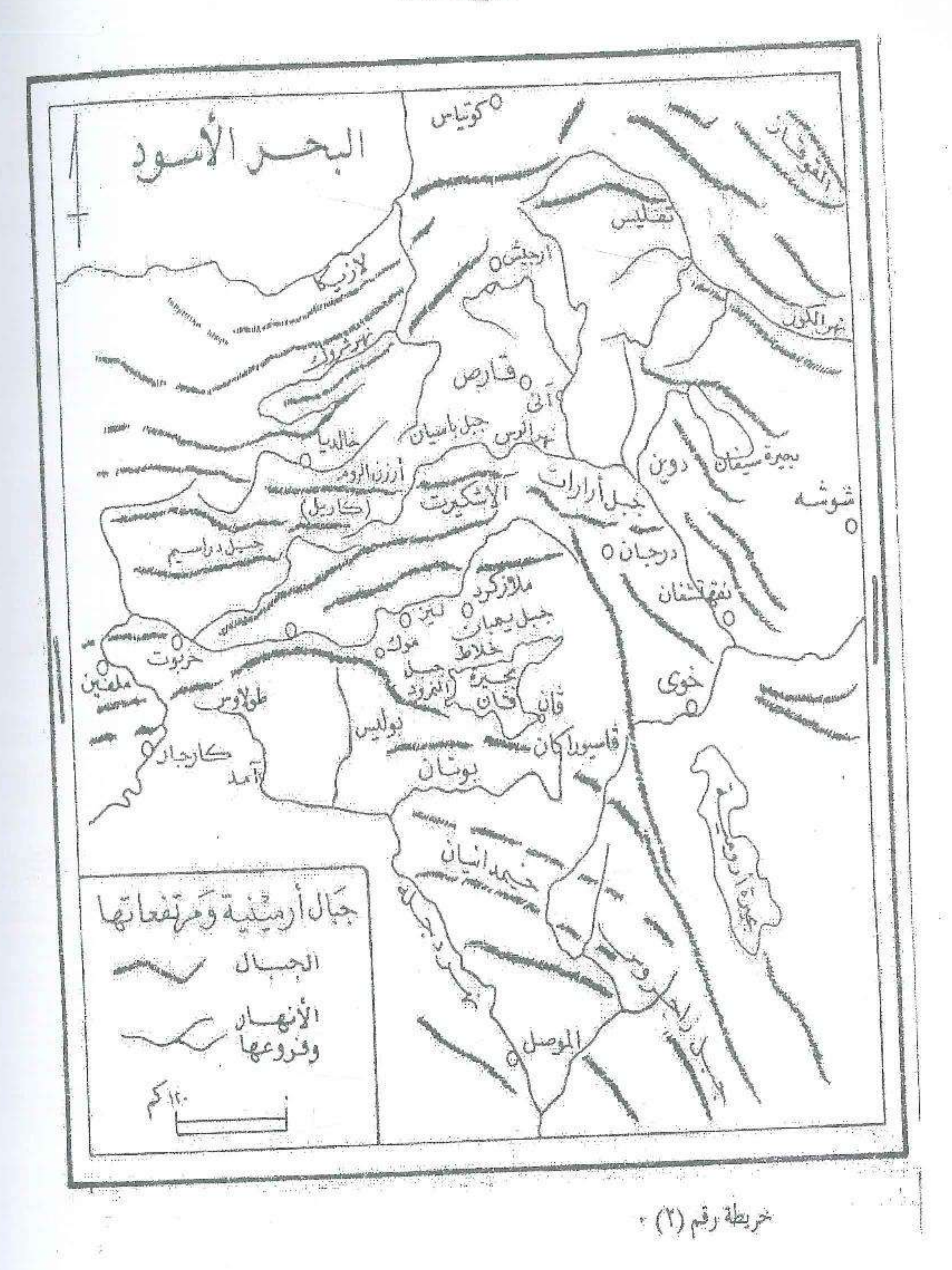
Bosworth , C. E :
The Byzantine Defence System in Asia Minor and the First Arab Incursions .
The Fourth International Conference on the History of Belad Al-Sham , (Amman 1987) .

الملاحق

خريطة (1)

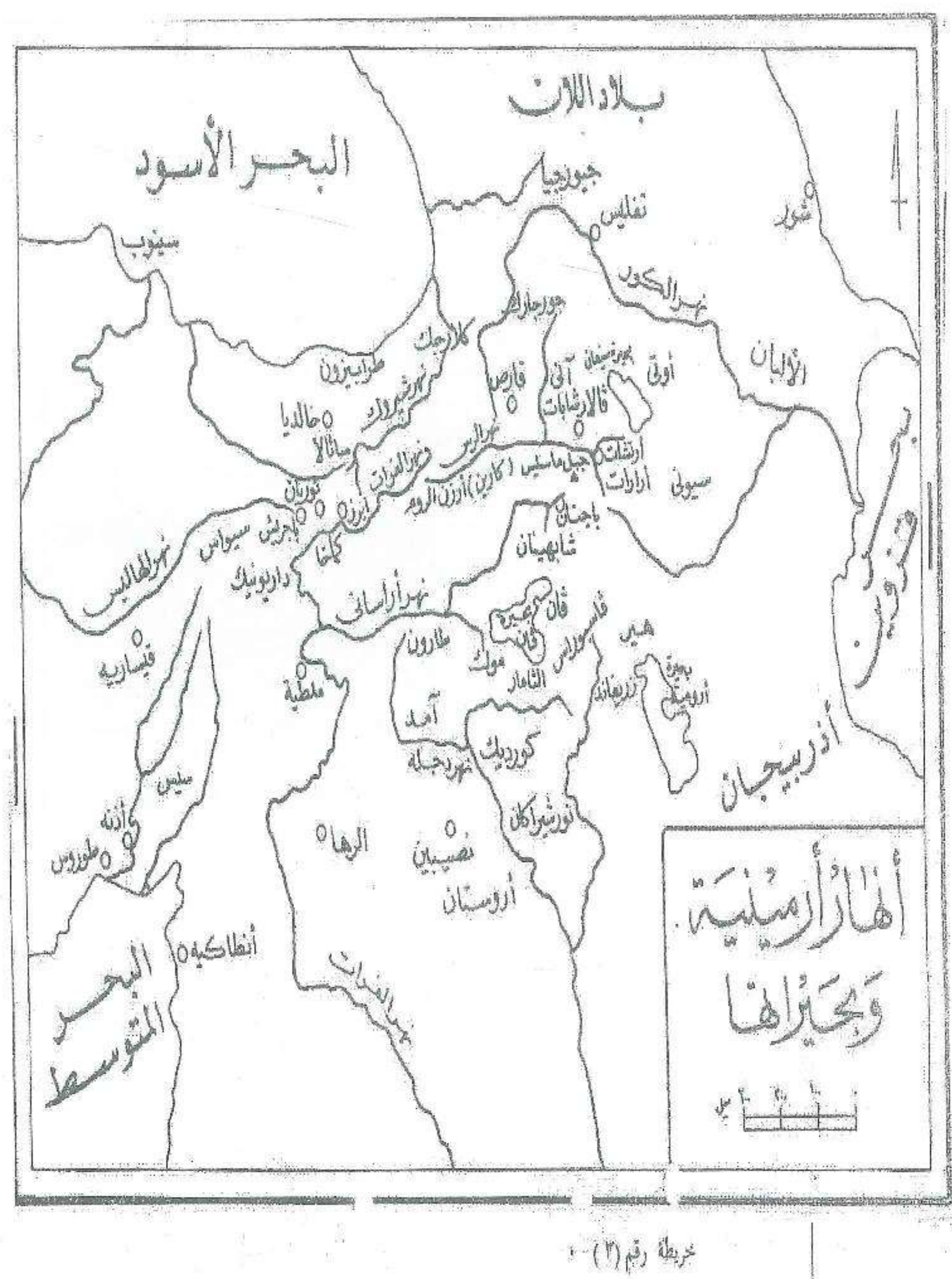


خريطة (2)



خريطة رقم (٢) :

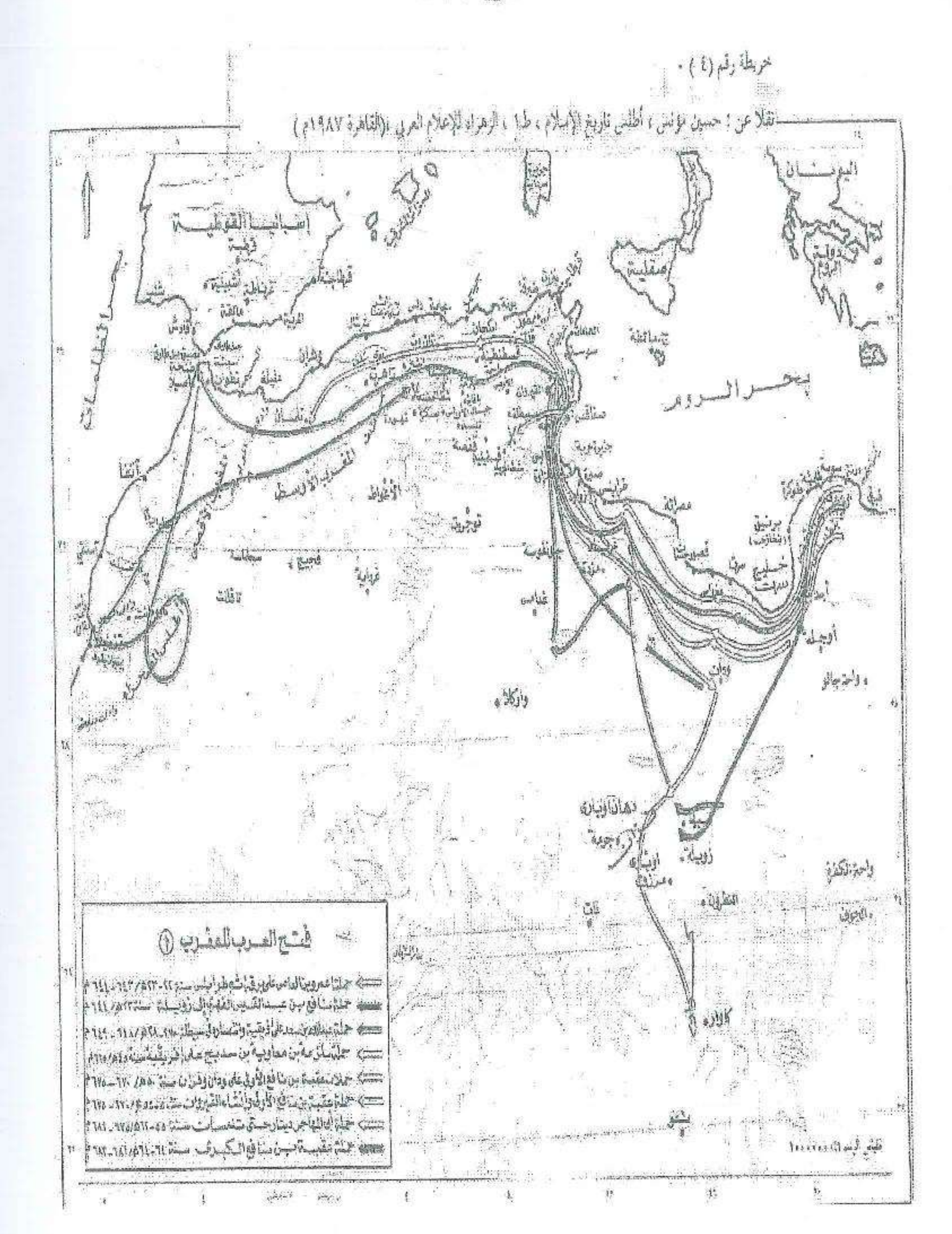
خريطة(3)



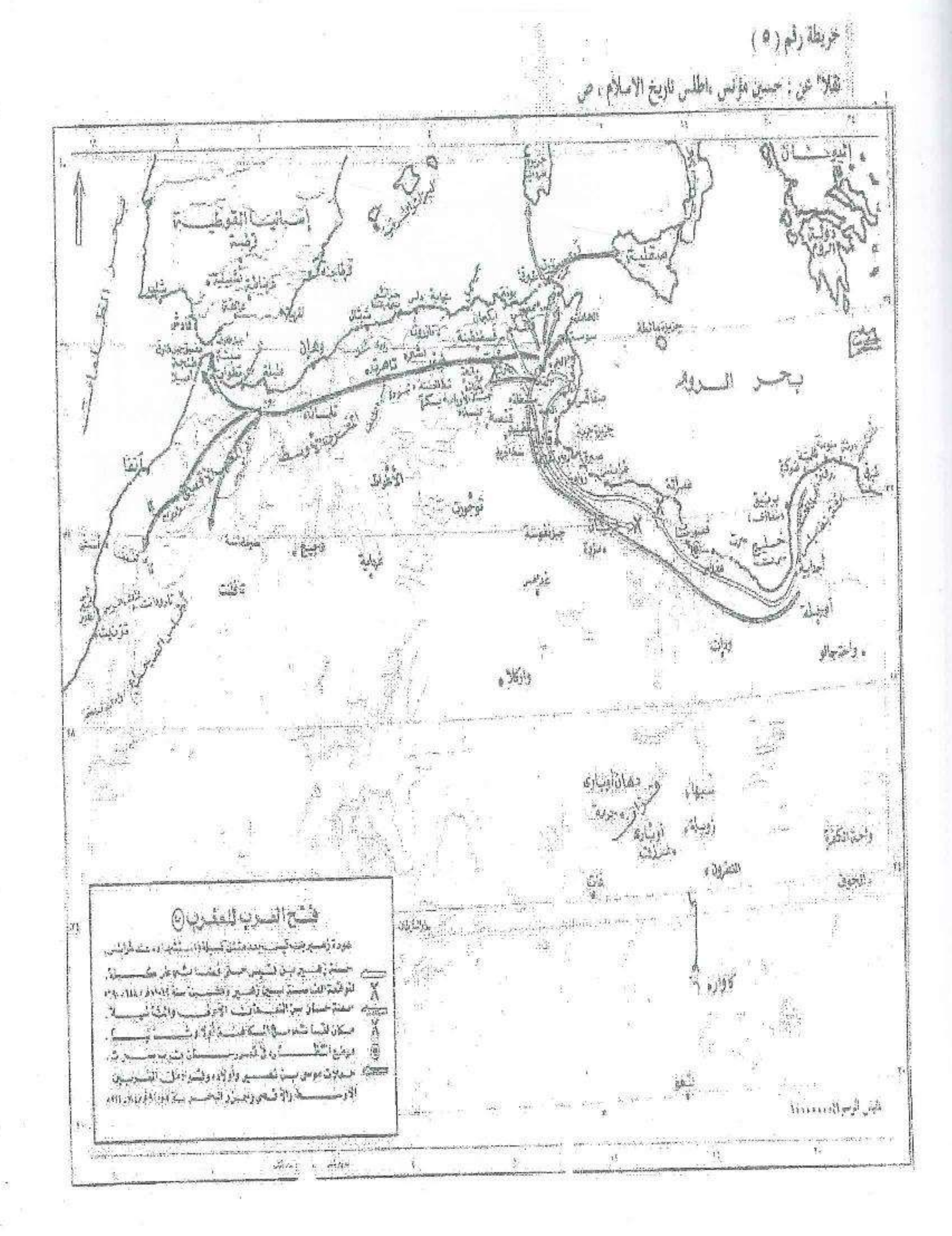
خريطة رقم (٣) ...

نقلاً عن : عبد الرحمن محمد العبد الغني ،أرمينية ، ص

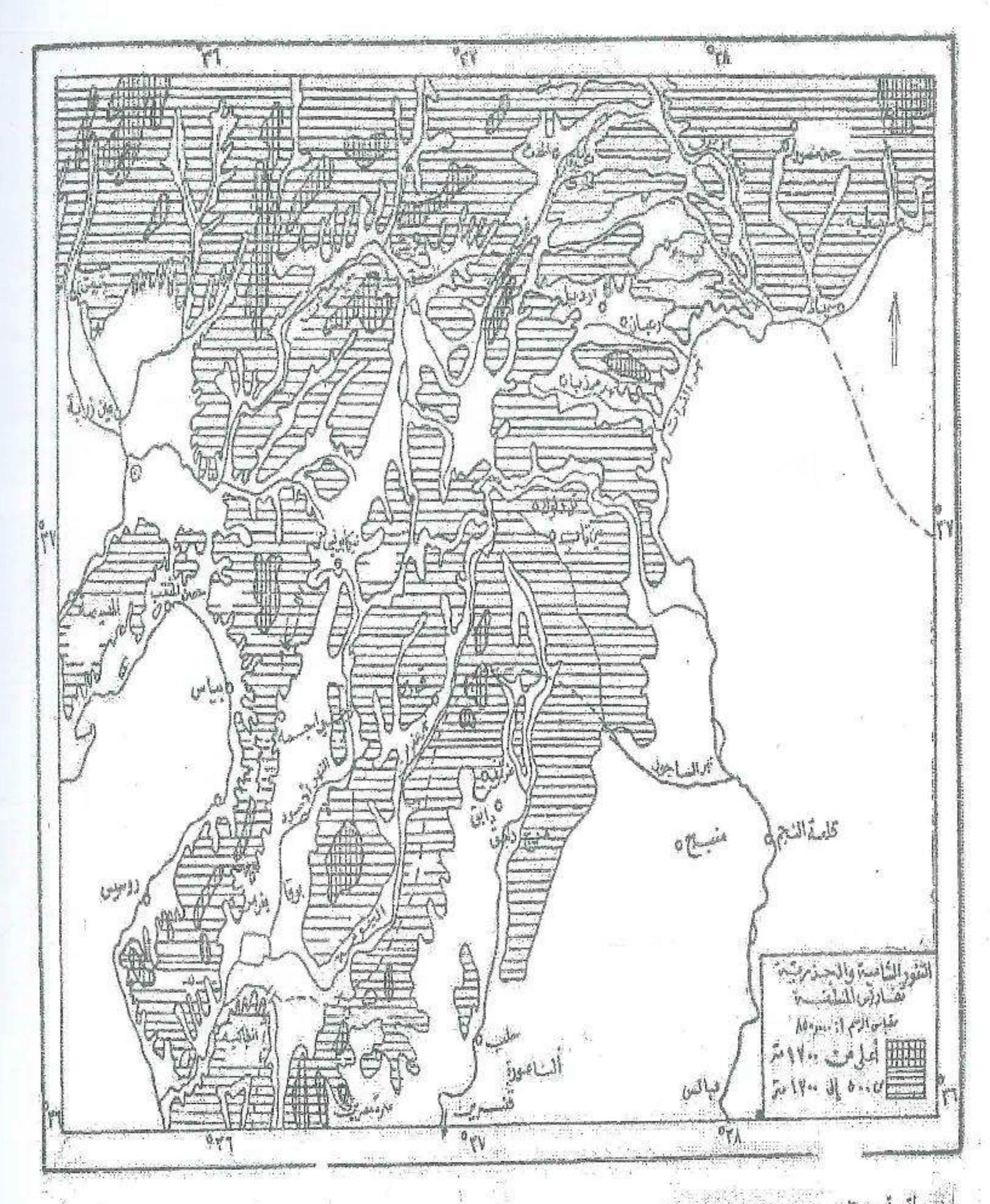
خريطة(4)


خريطة رقم (٤) .
نقلا عن : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، (القاهرة ١٩٨٧م)
اليونان
صقلية
بحر الروم
إسبانيا القوطية
أوجلة
ودان
زويلة
كاوار
فتح العرب للمغرب (١)

خريطة(5)


خريطة رقم (٥)
نقلاً عن : حسين مؤنس ،أطلس تاريخ الإسلام ، ص
إسبانيا القوطية
صقلية
بحر الروم
فتح العرب للمغرب

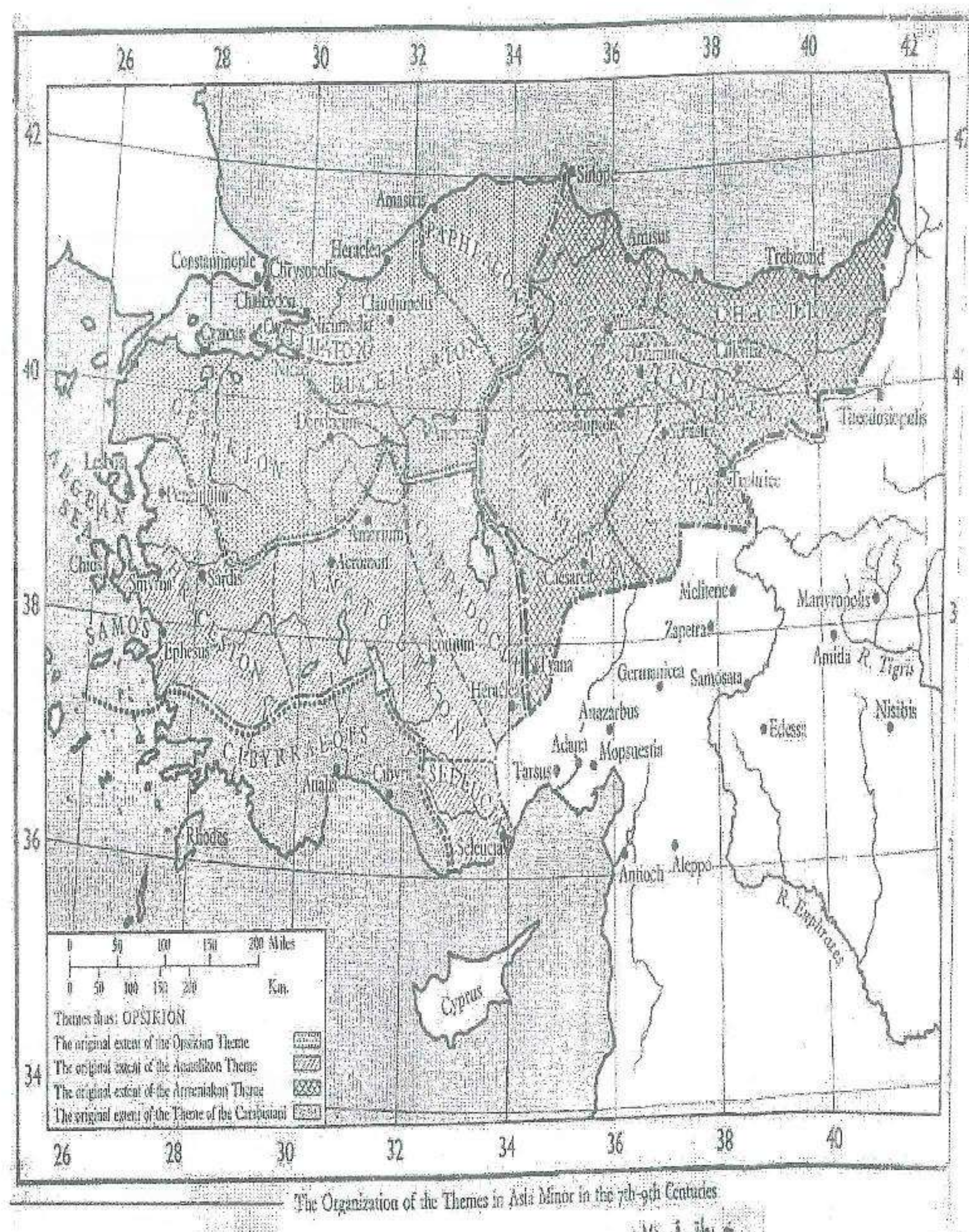
خريطة(6)



خريطة رقم (٦)

نقلاً عن : فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج ، ص

خريطة(7)



The Organization of the Themes in Asia Minor in the 7th-9th Centuries

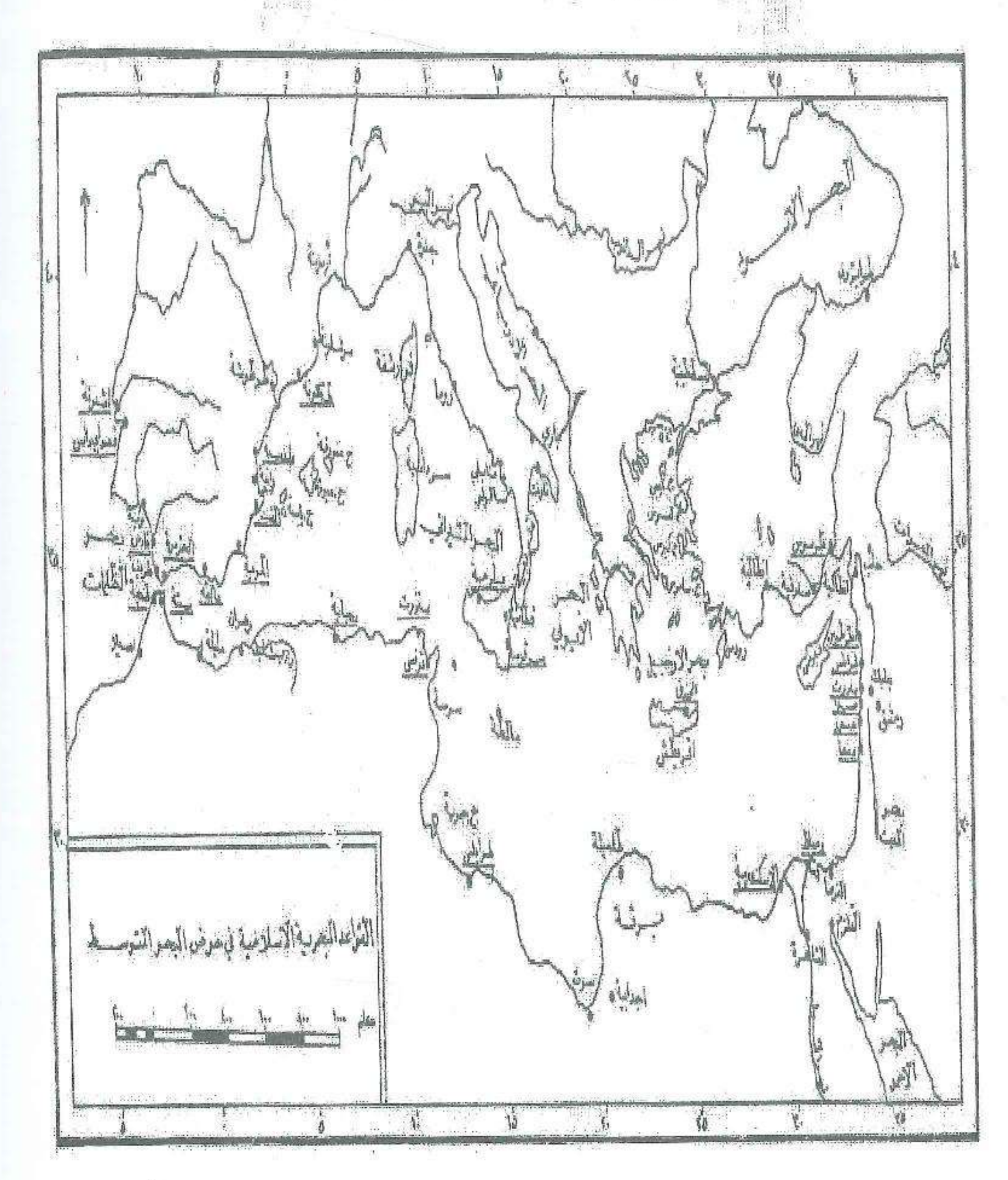
خريطة رقم (٧)

نقلاً عن: Vasiliev, Alexander: History of the Byzantine Empire, p.96

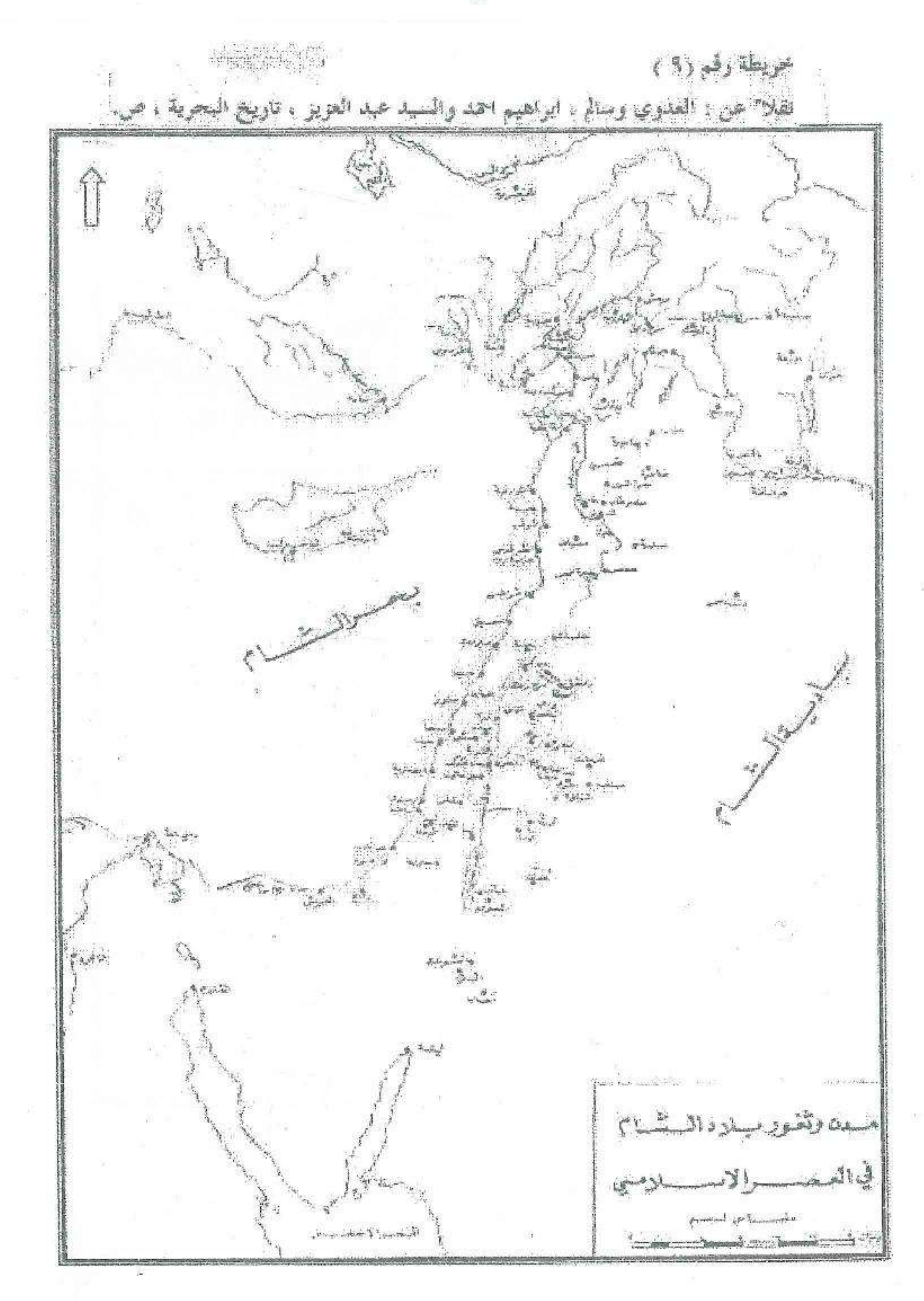
خريطة(8)

خريطة رقم (٨)

نقلاً عن: العدوي وسالم، ابراهيم احمد والسيد عبد العزيز، تاريخ البحرية، ص

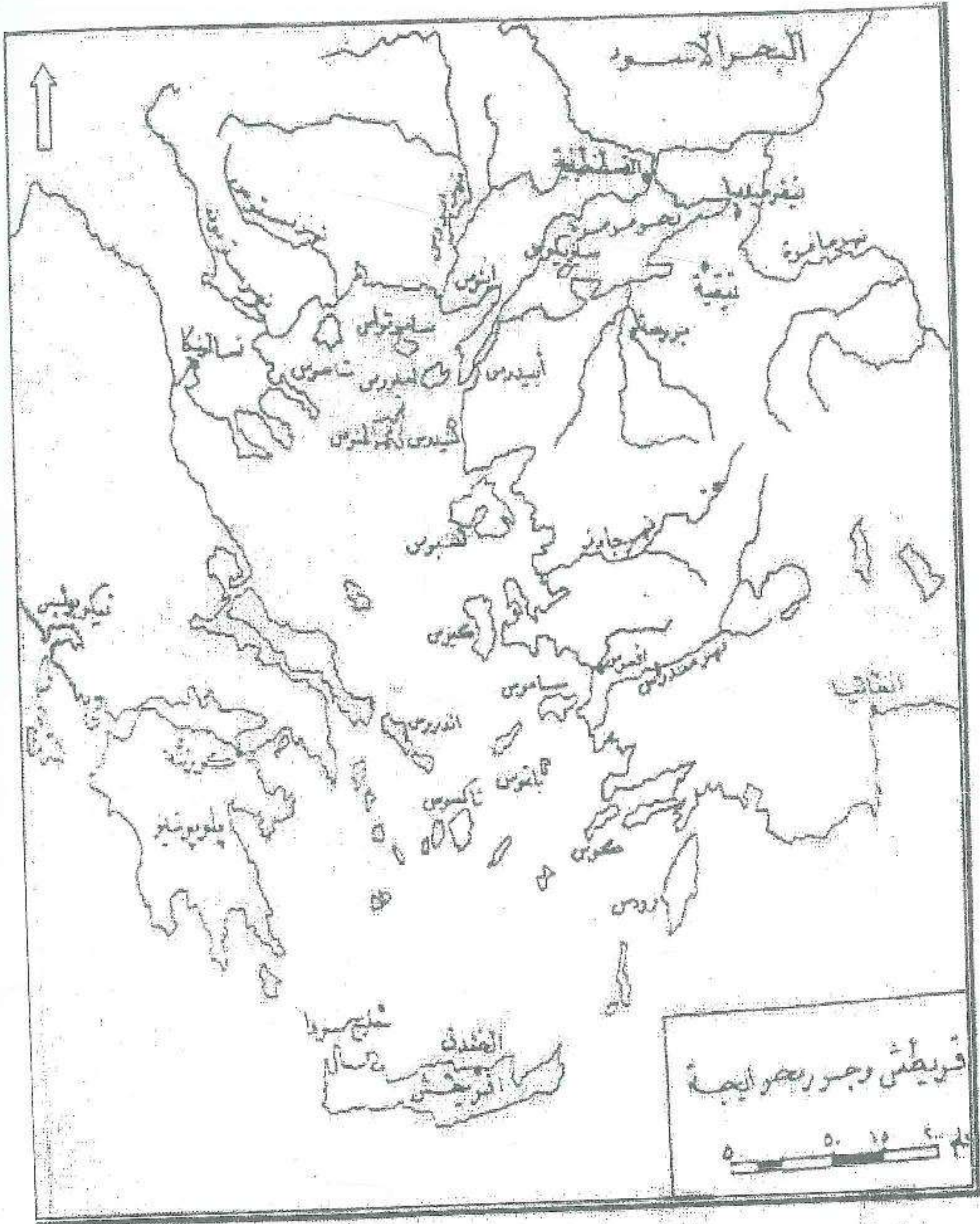


خريطة(9)



خريطة رقم (٩)
نقلاً عن : العدوي وسالم ، ابراهيم احمد والسيد عبد العزيز ، تاريخ البحرية ، ص

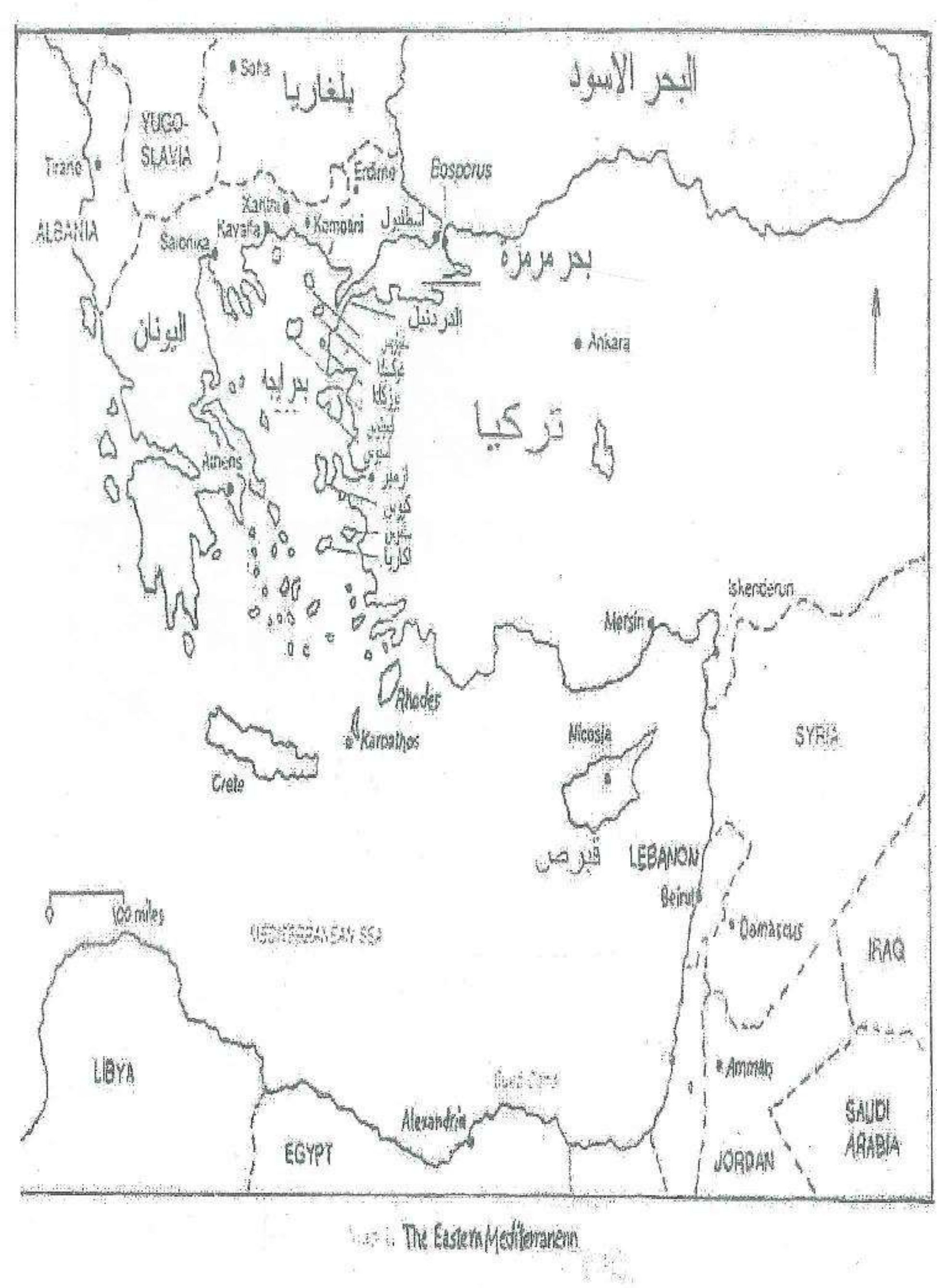
خريطة(10)



خريطة رقم (١٠)

نقلا عن: العدوي وسالم ،إبراهيم احمد و السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية ، ص

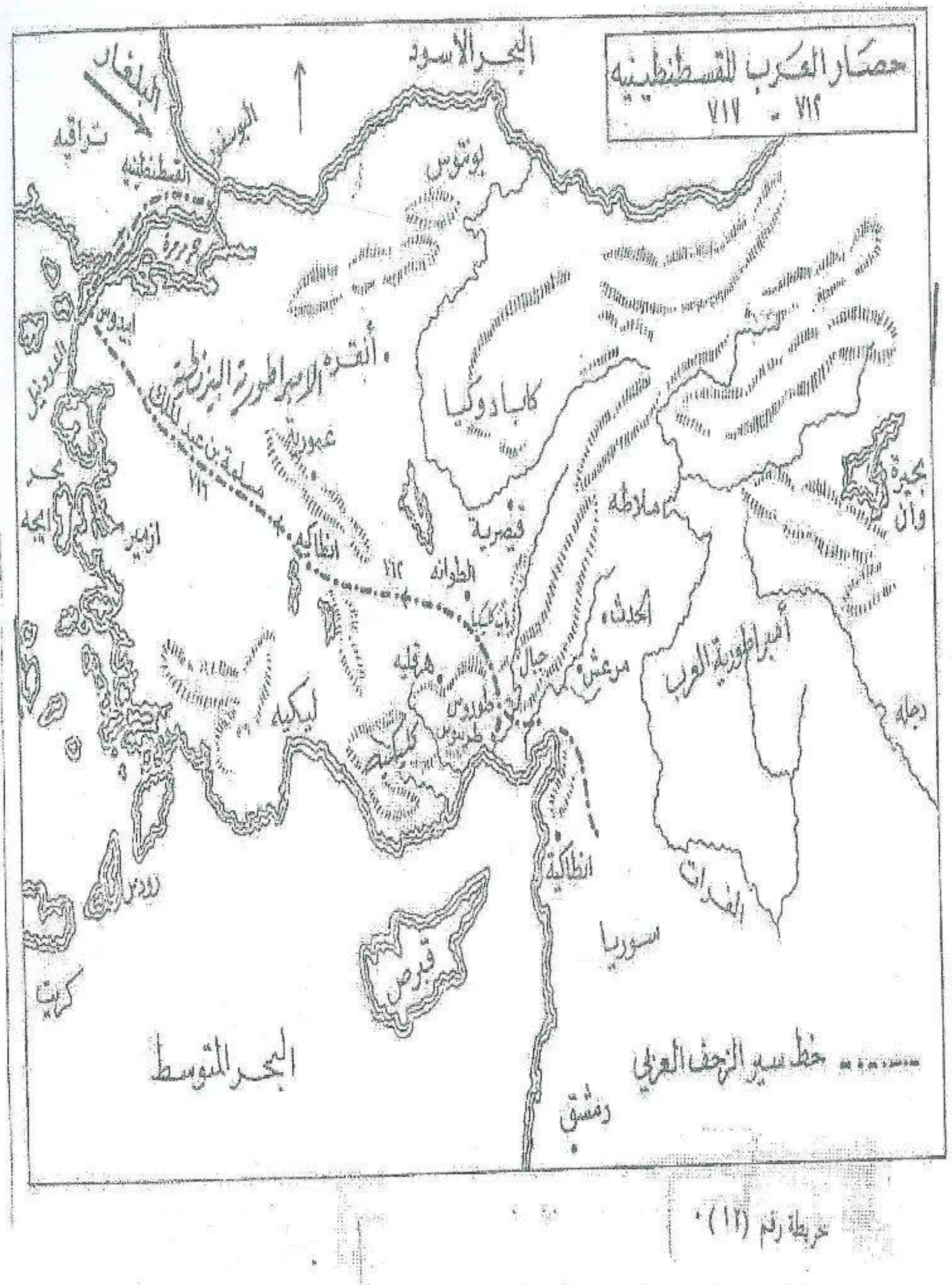
خريطة(11)



The Eastern Mediterranean

خريطة رقم (١١)

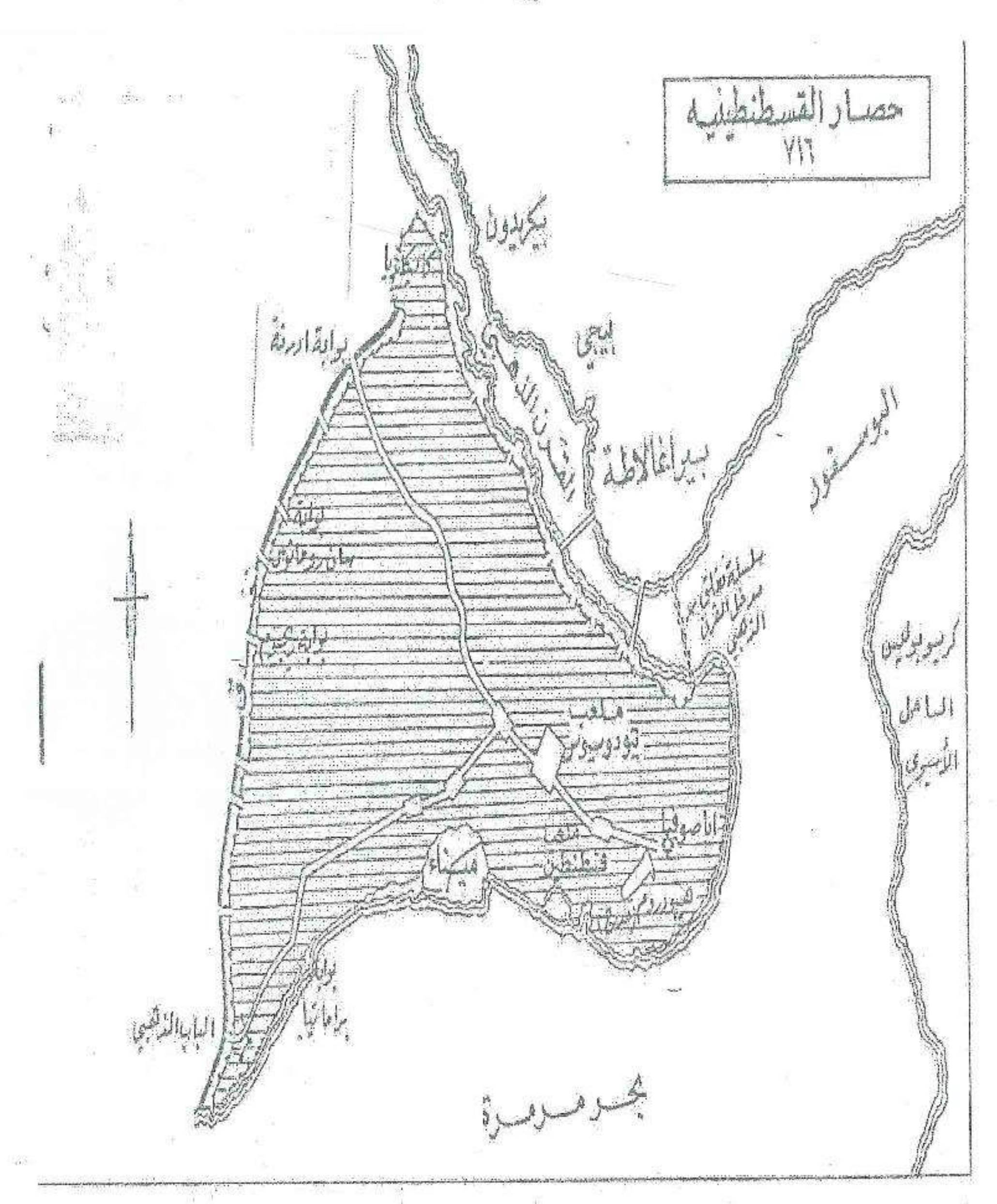
خريطة(12)



خريطة رقم (١٢)·

نقلا عن: جون باجوت غلوب، إمبراطورية العرب، ص ٣٢٠

خريطة(13)



خريطة رقم (١٣)

نقلاً عن : جون باجوت جلوب ، امبراطورية العرب ،ص،،٣.

أساليب المجابهة بين
العرب والبيزنطيين

المؤلف في سطور

الاسم الرباعي واللقب: د. عدي سالم عبدالله حمد الجبوري
محل وتاريخ الولادة : صلاح الدين – الضلوعية – 1/7/1973م
العنوان الوظيفي : أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية التربية – جامعة تكريت (العراق).

- أكمل الدراسة الإعدادية في ثانوية العلم للبنين عام 1992م.
- بكالوريوس تاريخ من قسم التاريخ في كلية التربية جامعة تكريت (الأول على الدفعة الأولى للقسم والكلية المذكورين) وبتقدير جيد جداً عام 1996م.
- ماجستير تاريخ إسلامي من قسم التاريخ في كلية التربية جامعة تكريت (الأول على الدفعة الأولى دراسات عليا للقسم المذكور) وبتقدير جيد جداً عام 1999م.
- دكتوراه تاريخ إسلامي (بتقدير جيد جداً) من قسم التاريخ كلية الآداب جامعة بغداد في 15/9/ 2003م.
- أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي بموجب الأمر الجامعي 7/10/4250 في 18/12/2006م .
- أستاذ مشرف على عدد من الرسائل الجامعية ((سبعة رسائل ماجستير وثلاث أطاريح دكتوراه)).
- عضو لجنة تقويم ومناقشة العديد من الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) في جامعة تكريت وغيرها من جامعات القطر.
- خبير علمي منتخب لتقويم بحوث ترقية في عدد من الجامعات وخبير علمي منتخب لتقويم العديد من البحوث المقدمة للنشر في المجلات العلمية.
- عضو مشارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية في جامعة تكريت وغيرها من الجامعات.
- له العديد من البحوث العلمية التاريخية المنشورة في مجلات علمية معتمدة وأخرى مقبولة للنشر.
- مؤلف كتاب (منتخبات مختارة من تاريخ العرب القديم) (تأليف مشترك) رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد المكتبة الوطنية (188 لسنة 2011م).
- مؤلف كتاب (دوافع الفتوحات الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي دراسة تحليلية) طبع في دار الحامد /عمان 2012م .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- عضو الجمعية العراقية للتاريخ والآثار.



دار الحامد للنشر والتوزيع
الأردن – عمان – ص.ب : 366 عمان 11941 الأردن
هاتف : 5231081 فاكس : 009626-5235594
E-mail: dar_alhamed@hotmail.com
daralhamed@yahoo.com
www.daralhamed.net

9789957327859